

بسم الله الرحمن الرحيم
قام الطالب بإمام حارة لجنة الحكم والمناقشة
لوزة الرسالة

عضو اللجنة (مناقشة خارجي) وحشي
" (مناقشة داخلي) ~~مناقشة~~
د. محمد الحبيب أبو
الرف: د. محمد زهير
هش

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية -
قسم الدراسات العليا

الشعر وحروب الخلافة العثمانية

..... هـ م / ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م



رسالة لنيل درجة الدكتوراة
في الأدب

إعداد

عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الزهراني

إشراف الأستاذ الدكتور
محمود عبد ربه فياض

الجزء الثاني



١٤١٢ هـ

الباب الثاني

الشعر وحروبها داخل الوطن العربي

الفصل الأول : حروبها في المغرب العربي .

الفصل الثاني : حرب طرابلس .

الفصل الثالث : الحرب العالمية الاولى

داخل الوطن العربي .

الفصل الأول

حروبها في المغرب العربي

* المرحلة الأولى .

* المرحلة الثانية .

* المرحلة الثالثة .

تمهيد :

إن مجيء العثمانيين إلى بلاد المغرب العربى مما يحمدهم فى تلك الحقبة التاريخية الحرجة ، إذ كانت تعاني تلك البلاد من النفوذ المتزايد للأسبانيين والبرتغاليين ، بل تم استيلاؤهم على أجزاء كثيرة منها ، فقام العثمانيون بإخراجهم بمساعدة أهل البلاد الأصليين ، وكذا مسلمى الأندلس الفارين من بطش النصارى ، الذين كثيرا ما شكوا حالهم من شدة وطأة النصارى عليهم .^(١)

فقد خاضت الدولة العثمانية وولاتها ، ومن والاهما من أهل تلك الأصقاع حروبا ضارية كان لها صدى واضح فى الشعر العربى ، ونظرا لطول تلك الفترة التاريخية وكثرة المعارك قمت بتصنيفها إلى ثلاث مراحل .

المرحلة الأولى :

- * استغاثة الأندلسى المجهول ، واستغاثة على بن هارون
- * معركة وادى المخازن .
- المعركة وقيمتها التاريخية .
- مداها فى الشعر .
- * تمجيد القوة .
- * صورة الجيش البرتغالى .
- * صورة الجيش الإسلامى والثناء عليه .
- * ذكرى الواقعة عند "محمد بن ماء العينين" .

(١) كمسا نلاحظ ذلك فى قصيدة الأندلسى المجهول وقصيدة على ابن هارون .

- * إشارة الحمية والحماس عنده .
- * سقوط أصيلا ودعوة علمائها للجهاد .

المرحلة الثانية :

- * استقرار العثمانيين بالجزائر .
- * استغاثات الشعراء لنجدة وهران ، واستجابة العثمانيين لذلك .
- * المدح .
- * جور الاستعمار وتذكيته بالمسلمين .
- * الدعوة لإنقاذ وهران مع وصف الجيش المنقذ .
- * الغال بالنصر .
- * وصف المعركة والهزيمة .
- * الحث على الجهاد ، واستعادة بعض المدن والشوق لاستعادة الأندلس .
- * الحث على الجهاد .
- * استرداد العرائش وطنجة .
- * الشوق لفتح سبتة والأندلس .
- * ملاقاتة فرنسا على باشا ودحرهم في حلق الوادي .
- ابراهيم الخراط ، وخليفة بن قايد -

المرحلة الثالثة :

- * احتلال الجزائر في نظر شاعرين من تونس .
- على ان العلاقات بين المغرب العربي والدولة العثمانية كانت تمر بقوة وضعف نظرا لمحاولة بعض الولاة الانغمال عن الدولة الام ، ولكن الدولة كانت متشبثة بالتمسك بهم ومحاولة ربطهم بها حتى في أشد الظروف سوءا .

استغاثة الأندلسى المجهول :

فى الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانية فى بداية ظهورها كقوة فعلية على الساحة العالمية ، كان المسلمون فى الأندلس يعانون الأمرين من تساقط دولهم بإيدى الأسبان والبرتغاليين ، ومع منتصف القرن التاسع الهجرى (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) فتحت "القسطنطينية" فلاحت لمسلمى الأندلس بارقة أمل فأرسلوا سنة ١٤٧٧م «سفارة» إلى استانبول وجهوا فيها نظر السلطان محمد أبى الفتوح إلى تدهور أحوال المسلمين فى الأندلس وناشدوه التدخل لإنقاذهم ... ولكنه كان منصرفا إلى مواجهة تحالف صليبي يهدد دولته بأفدح الأخطار^(١).

وبعد وفاة السلطان "محمد أبى الفتوح" ، استنجد مسلمو "الأندلس" بابنه السلطان "أبى يزيد الثانى" ، ولكن تزامنت على السلطان الجديد الأزمات الداخلية والخارجية مما استحال إجابة تلك الاستغاثة^(٢).

وقد تضمنت استغاثة أهل الأندلس للسلطان "أبى يزيد الثانى" قصيدة لأحد أهل الأندلس المصطفدين عرض فيها للأفكار التالية :

أول ما بدا به فى هذه القصيدة ، أن أزعج عبارات التحية والسلام إلى السلطان ومعاونيه من القضاة وأهل الديانة ، تخللها عبارات الإكبار والإجلال لهم .

سلام كريم دائم "متجدد" اخن به مولاي خير خليفة

(١) الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ٦٦٦/٢ .

(٢) نفسه ٦٦٧/٢ .

سلامٌ على مولاي ذى المجد والعلا
ومن ألبس الكفَّار ثوبَ المذلَّةِ
سلامٌ على من وسَّع الله ملكه
وأَيَّدَه بالنَّصرِ فى كلِّ وَجْهه
سلامٌ على مولاي من دارٍ مليه
قسطنطينةٌ أكرم بها من مدينة
سلامٌ على من زَيَّن الله ملكه
بجُندٍ واثراكِ من أهل الرِّعاية
سلام عليكم شرف الله قدركم
وزادكم ملكاً على كلِّ ملَّة
سلام على القاضي ومن كان مثله
من العلماءِ الأكرمين الأجلَّة
سلام على أهل الدِّيانة والحقِّ
ومن كان ذا رأى من أهل المشورة
ثم يوضح ممن كان ذلك السلام .

من عبيد تخلفوا بأرض الأندلس ، واحاط بهم الروم ،
وحلت بهم المصيبة ، وينوع فى تلك الشخصيات التى تهدى
السلام مع بيان ما أصابهم من عنت ومشقة ، من شيوخ ونساء ،
وبنات وعجائز لاحول لهم ولاطول ، ويختتم هذا المقطع بالدعاء
للخليفة أن يديم الله ملكه وينصره ويسكنه دار الرضا
والكرامة .

سلام عليكم من عبيد تخلفوا	بأندلس بالغرب فى أرض غربة
احاط بهم بحر من الروم زاخر	وبحر عميق ذو ظلام ولجة
سلام عليكم من عبيد أصابهم	مصاب عظيم يالها من مصيبة
سلام عليكم من شيوخ تمزقت	شيوخهم بالنتف من بعد عزة
سلام عليكم من وجوه تكشفت	على جملة الأعلاج من بعد سترة

سلام عليكم من بنات عواشق يسوقهم اللبَّاطُ قهراً لخلوة
سلام عليكم من عجائز أكرهت على أكل خنزير ولحم لجيفة
نقبَلُ نحن الكل أرض بساطكم وندعولكم بالخير في كل ساعة
أدامَ الإله ملككم وحياتكم وعافاكم من كل سوء ومحنة
وايدكم بالنصر والظفر بالعدى واسكنكم دار الرضا والكرامة
ثم يبدأ في بث الشكوى للسلطان ، وكيف كانوا على دين
النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم غدر بهم عدوهم ونصرهم
ويؤكد أنهم لم يستسلموا لهم بل قاوموهم على كثرة عتادهم
وعدتهم ، ففنى بترك المقاومة الرجال ، ومع ما حل بهم من
بلاء فإنهم لم يخلقوا أي دعم من إخوانهم المسلمين وآثروا
بعد ذلك الاستسلام لعدم جدوى المقاومة خوفا على الأهل
والأبناء .

شكونا لكم مولاي ما قد أصابنا
من الضر والبلى وعظم الرزية
غدرنا ونصرنا وبسذل ديننا
ظلمنا وعملنا بكل قبيحة
وكنّا على دين النبي محمد
نقاتل عبّاد الصليب بنيسة
ونلقى أمورا في الجهاد عظيمة
بقتلٍ واسرٍ ثم جوعٍ وقلّةٍ
فجاءت علينا الروم من كل جانبٍ
بسيلٍ عظيمٍ حملةً بعد حملة
ومالوا علينا كالجراد بجمعهم
بجدٍ وعزمٍ من خيولٍ وعُدّةٍ
فكنّا بطول الدهر نلقى جموعهم
فنقتل فيها فرقة بعد فرقة

وفرسانهم تزداد في كل ساعة
وفرساننا في حال نقص وقلة

فلما ضعفنا خيموا في بلادنا
ومالوا علينا بلدة بعد بلدة

وجاءوا باللفاظ عظام كثيرة
تهدم أسوار البلاد المنيعه

وشدوا عليها في الجمار بقوة
شهورا وأياما بجد وعزيمة

فلما تفانت خيلنا ورجالنا
ولم نر من إخواننا من إغاشه

وقلت لنا الاقوات واشتد حالنا
اطعنهم بالكره خوف القبيحة

وخوفا على أبنائنا وبنااتنا
من أن يؤسروا أو يقتلوا شر قتلة

ثم يبين شروط الاستسلام ، وعددها خمسة وخمسون شرطا ،
ولكن العدو غدر بهم ونصرهم بالقوة ، وحرق المصاحف وخطها
بالمزابل والنجاسات وكذا جميع الكتب الإسلامية .

ويعطينا صورة عن محاكم التفتيش العنيفة التي أجريت
للمسلمين هنالك إبائذ ، ويطلق أئات الاسى والحسرة على
ما آلوا إليه ، وكيف أضحت بلاد الأندلس معاقلة للمليب ، بعد
أن امنوا ردة فعل بقية المسلمين .

على أن نكون مثل من كان قبلنا
من الدجن من أهل البلاد القديمة
ونبقى على أذانينا وصلاتنا
ولانتركن شيئا من أمر الشريعة

ومن شاءَ مِنَّا البحرَ جازَ مؤمَّنًا
 بما شاءَ من مالٍ إلى أرضٍ عدوةٍ
 إلى غيرِ ذاكِ من شروطٍ كثيرةٍ
 تزيدُ على الخمسينَ شرطاً بخمسةٍ
 فقالَ لنا سلطانُهُم وكبيرُهُم
 لكم ما شرطتُم كاملاً بالزيادةِ
 وأبدى لنا كتاباً بعهدٍ وموثقٍ
 وقالَ لنا هذا أمانى وذِمَّتسى
 فكونوا على أموالكم ودياركم
 كما كنتم من قبلُ دونَ أذيةٍ
 وخانَ عهوداً كان قد غرَّنا بها
 ونصَّرنَا كرهاً بعنفٍ وسطوةٍ
 وأحرقَ ما كانت لنا من مصاحفٍ
 وخطَّها بالزُّبُلِ أو بالنَّجاسةِ
 وكلَّ كتابٍ كان في أمرٍ دينيٍّ
 ففي النَّارِ النَّارِ القُوَّةُ بهزءٍ وحَقرةٍ
 ولم يتركوا فيها كتاباً لمسلمٍ
 ولا ممحفاً يُخلَى به للقراءةِ
 ومن صامَ أو صلَّى ويعلمُ حاله
 ففي النَّارِ يلقيه على كلِّ حالةٍ
 ومن لم يَجِءْ مِنَّا لموضعٍ كُفِّرْهُم
 يعاقبهُ اللَّبَّاطُ شرَّ العقوبةِ
 ويلطِّمُ خديَّه وياخذُ ماله
 ويجعله في السَّجنِ في سوءِ حالةٍ
 وفي رمضانٍ يفسِدون صيامنا
 بأكلٍ وشربٍ مسرَّةٍ بعد مرةٍ

وقد امرونا أن نسب نبينا
 ولانذكرنه في رخاء وشدة
 وقد سمعوا قوماً يغنون باسمه
 فادركهم منهم اليم المفرّة
 وعاقبهم حكامهم وولاتهم
 بضرب وتخريم وسجن وذلة
 ومن جاءه الموت ولم يحضر الذي
 يذكرهم لم يدفنه بحيلة
 ويترك في زبل طريحا مجذلا
 كمثل حمار ميت أو بهيمة
 إلى غير هذا من أمور كثيرة
 قباح وأعمال غزار رديّة
 وقد بدلت اسمائنا وتحولت
 بغير رضا منا وبغير إرادة
 فأما على تبديل دين محمد
 بدين كلاب الروم شر البرية
 وأما على اسمائنا حين بدلت
 بأسماء أعلاج من أهل الغباوة
 وأما على ابنائنا وبناتنا
 يروحون للباط في كل غسوة
 يعلمهم كفرا وزورا وفريسة
 ولا يقدروا أن يمنعوه بحيلة
 وأما على تلك المساجد ستورت
 مزابل للكفار بعد الطهارة
 وأما على تلك المواضع علقت
 نواقيسهم فيها نظير الشهادة

وآها على تلك البلاد وحسنها
 فقد اظلمت بالكفر اعظم ظلمة
 وصارت لعباد المليب معاقلاً
 وقد امنوا فيها وقوع الإغارة
 وصرنا عبيداً لأسارى فنقتدى
 ولامسلمين نطقهم بالشهادة
 فلو ابصرت عيناك ماصار حالنا
 إليه لجادت بالدموع الغزيرة
 فياويلنا يا بؤس ماقد اصابنا
 من الضر والبلى وشوب المدة

ثم يحدد مطالبه من السلطان "بايزيد" لينظر فيما
 اصابهم من عنت ومشقة ، وأن يسأل "البابا" المقيم في
 "روما" ، لماذا تلك المجازر والأفعال الشنيعة بالمسلمين ؟
 ويقارن بين حالهم وماهم فيه من قهر ، وحال النصارى
 الذين استظلوا إبان حكم المسلمين بالأمن في دينهم ومغاشهم .
 ويذكر السلطان بكتابه السابق إلى النصارى وأنه لم
 يجد شيئاً ، بل زاد العدو عنفاً وشراسة في معاملتهم .
 وكذا يذكره برد النصارى على الممالك عندما هددوا
 بالانتقام من النصارى الموجودين تحت رعايتهم ، وزعموا في
 ردهم أن مسلمى الأندلس اعتنقوا النصرانية من تلقاء أنفسهم
 ويفند تلك المزاعم ، ويؤكد أساليب التعذيب والاضطهاد ، ثم
 يرجو السلطان أن يتوسط لهم إما بالبقاء بديارهم مع الحفاظ
 على معتقدتهم ، أو بالأذن لهم بالخروج إلى بلاد "العدوة" .
 ثم يختم القصيدة بالدعاء والسلام على الخليفة .
 سألناك يا مولاي بالله ربنا

وبالمصطفى المختار خير البرية

عسى تنظروا فينا وفيما أصابنا
 لعلَّ إله العرش يأتي برحمة
 فقولك مسموعٌ وأمرُك نافذٌ
 وما قلَّت من شيء يكونُ بسرعة
 ودينُ النصارى أصله تحت حكمكم
 ومن ثمَّ يأتهم إلى كلِّ كورة
 فبالله يامولاي ملُّوا بفلككم
 علينا برأي أو كلام بحجة
 فانتم أولو الإفضال والمجد والعلو
 وغوثُ عباد الله في كلِّ آفة
 فصل "بابهم" اعنى المقيم برومة
 بماذا أجازوا الغدر بعد الأمانة
 ومالهم مالوا علينا بغدرهم
 بغير أدنى ملٍّ وغيَر جريمة
 وجنسهم المغلوب في حفظ ديننا
 وأمن ملوك ذى وفاء أجلة
 ولم يخرجوا من دينهم وديارهم
 ولانالهم غدر ولاهتك حرمة
 ومن يعطِ عهداً ثمَّ يَغْدُر بهمه
 قبيحٌ شنيع لا يجوز بوجهة
 وقد بلغَ المكتوبُ منكم إليهم
 فلم يعملوا منه جميعاً بكلمة
 وما زادهم إلا اعتداءً وجراً
 علينا وإقداماً بكلِّ مساءة
 وقد بلغت أرسال "مصر" إليهم
 وما نالهم غدر ولاهتك حرمة



وقالوا لهلك الرُّسل عَنَّا بِأَتْنَا
رَضِينَا بِدِينِ الْكَفْرِ مِنْ غَيْرِ قَهْرَةٍ
وَسَاقُوا عَقُودَ الزُّورِ مِنْ أَطَاعِهِمْ
وَوَاللَّهِ مَا نَرْضَى بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ
لَقَدْ كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ وَكَلَامِهِمْ
عَلَيْنَا بِهَذَا الْقَوْلِ أَكْبَرَ فِرْيَةٍ
وَلَكِنْ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْحَرْقِ رَدَّنَا
نَقُولُ كَمَا قَالُوهُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ
وَدِينِ رَسُولِ اللَّهِ مَا زَالُ دِينُنَا
وَلَا بِالَّذِي قَالُوا مِنْ أَمْرِ الْخَلَاةِ
وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّا رَضِينَا بِدِينِهِمْ
بَغَيْرِ إِذْنٍ مِنْهُمْ لَنَا وَمَسَاءَةٍ
فَنَسْلُ «وَوَصْرًا» مِنْ أَهْلِهَا كَيْفَ امْبَحَسُوا
أَسَارَى وَقَتْلَى تَحْتَ ذُلٍّ وَمَقْنَةٍ
وَسَلَّ «بَلْفَيْقًا» عَنْ قَضِيَّةِ أَمْرِهِمَا
لَقَدْ مَزَّقُوا بِالسَّيْفِ مِنْ بَعْدِ حَسْرَةٍ
و«مَنْيَاةً» بِالسَّيْفِ مَزَّقَ أَهْلُهُمَا
بِجَامِعِهِمْ مَارُوا جَمِيعًا كَفْحَمَةٍ
و«أَنْدَرَش» بِالْخَارِ أَحْرَقَ أَهْلُهُمَا
كَذَا فَعَلُوا أَيْضًا بِأَهْلِ الْبُشُرَةِ
فَهَانَحْنُ يَا مَوْلَايَ نَشْكُو إِلَيْكُمْ
فَهَذَا الَّذِي نَلْنَاهُ مِنْ شَرٍّ فُرْقَةٍ
عَسَى دِينُنَا يَبْقَى لَنَا وَمَلَاتُنَا
كَمَا عَاهَدُونَا قَبْلَ نَقْضِ الْعَزِيمَةِ
وإِلَّا فَيَجْلُونَا جَمِيعًا مِنْ أَرْضِهِمْ
بِأَمْوَالِنَا لِلْغَرْبِ دَارِ الْأَحْبَةِ

فإجلاؤنا خيرٌ لنا من مقامنا
 على الكفر في عزٍّ على غير ملة
 فهذا الذي نرجوه من عزٍّ جاهكم
 ومن عندكم تُقضى لنا كل حاجة
 ومن عندكم نرجو زوال كربنا
 وما نألنا من سوء حالٍ وذلة
 فأنتم بحمد الله خير ملوكنا
 وعزُّكم تعلو على كل عزة
 فنسأل مولانا دوام حياتكم
 بملك وعزٍّ في سرورٍ ونعمة
 وتهدين أوطان ونصرٍ على العدى
 وكثرة أجناسٍ ومالٍ وشروة
 وشم سلامٍ الله تبارك وتعالى
 عليكم مدى الأيام في كل ساعة (١)

ويلحظ الدارس على هذه الوثيقة التاريخية الدامغة

مايلي :

تنحصر قيمة هذا النص في الإطار التاريخي ، أما القيمة
 الفنية فتحدودة أو عديمة ، ولعلها لأحد فقهاء المسلمين
 الذين عاينوا الأحداث ، ولمسوا محنة المسلمين في الأندلس ،
 وعرفوا تفاميلها ، وهي إن لم تكن أدبا بالمعنى الصحيح ،
 فهي مادة لملحمة خالدة لو صادفت أديبا موهوبا .
 لم يتعرض لأسباب الهزيمة وعلاجها بعد أن وصل بهم الحال
 إلى ذلك الممير المحزن .

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ١٠٩/١ وما بعدها ،
 ط/مندوق أحياء التراث الإسلامي ، أحمد بن محمد المقرئ .

وهذه القصيدة تعكس الحال الحى وصلت إليها اللغة العربية على يد "المورسكيين" ، فالشاعر ضعيف اللغة والجرأكيب ، نحو "بجند وأحراك" ، وكذا تكراره للفظه ومشتقاتها فى البيت الواحد دونما مبرر مما يدل على ضحالة مخزونه اللغوى .

سلام عليكم من عبيد أصابهم مصاب عظيم يالها من مميبة
أما صوره فضحلة ساذجة ، إذ أن تشبيهاته سطحية مالوفة
ويكتفى بالسرد والتسجيل دون أن نلمس خيال الشاعر .
تكاثر القصيدة تملأ من المحسنات البديعية التى أزهقت
شعراء المشرق فى تلك الحقبة التاريخية .

لا يجد القارئ فيها مدى يذكر لقصائد الرشاء السابقة
التي قيلت فى الأندلس .

(١)
وأما "على بن هارون" قاضى الجماعة بفاس فيستحث
العثمانيين لاستعادة "تونس" إلى حوزة المسلمين بعدما طغى
الاسبان على البلاد بقيادة "شارلكان" وذلك فى آخر عهد
الحفصيين ، إذ سمح لجنده بارتكاب أبشع أنواع الوحشية
والنهب والفتك بأهل البلاد .

فقد ساء هذا القاضى شكوى أهل البلاد مما حل بهم ،
وكسان الخبر بمثابة المفاجعة له ، لخوفه أن تقع تونس تحت
قبضة الاسبان من غير رجعة مثلما حدث للأندلس .

ويذكر بعض أعمال الاسبان بأهل البلاد ، حتى تغيرت وجوه
الغيد ، وتشوهت بعد ماكانت تعلوها الفخارة .

ويرسل صيخته للعثمانيين أن يسرعوا الخطى بقسيمهم
وسيوفهم لانقاذها .

(١) لم أعثر على ترجمته .

جاءك الغيثُ اذا الغيثُ انعمُ
 حضرة الانسِ البديعِ المؤنسِ
 لم يكنْ إلا كلمحٍ بالبحرِ
 او بريقٍ - لاح لي - من تونس
 يالها من فجعة زبدِ الخبرِ
 رثها شقيقة الاندلسِ
 كم خدودٍ في وجوه كالقمرِ
 خدّها دمعٌ جرى من رُجسِ
 حالكاتٍ غيرت منها المسورِ
 ذلُّ أسدٍ بعد عزِّ الانسِ
 امبحوا أسرى بأيدي من كفرِ
 ملككت ارقابهم بالافلسِ
 يا تركٍ بقسى ووترِ

(١)

أخرجوهم من ظلام حُددس
 والقميدة تتضمن بعض الفاظ موشحة "لسان الدين بن
 الخطيب" المشهورة وقافيتها على قفل تلك الموشحة .
 وقيمة هذه القميدة تأتي من قائلها لكونه مفتى مدينة
 فاس ومالها مما يعكس الإحساس العام عند أهل المغرب ممثلين
 في أمثال هذا القاصي بوجوب مجيء العثمانيين ، مما يدل
 دلالة واضحة على أن العثمانيين لم يأتوا غزاة أو مستعمرين
 كما يحلو للبعض وصفهم بذلك ، بل أتوا استجابة لميحات أولى
 النهم والغيرة من الطبقة المثقفة من أهل البلاد .

(١) الأديب المغربي حسن حلاوة مكتبة المراسم ودار الكتاب اللبناني ، محمد بن تايوب

معركة وادى المخازن :

سيطر العثمانيون على بلاد «الجزائر وتونس»، وبقيت «المغرب» خارج نطاق الولايات العثمانية ، ونظرا لما واجهه ملوك «السعديين» من ازدياد النفوذ البرتغالي والإسباني الذى يريد القضاء على المسلمين هناك . فمن الطبيعى أن يكون هناك تعاون بين المسلمين لدرء ذلك الخطر وكان فاتحة الامر معركة «وادى المخازن» ١٥٧٨م/٩٨٦هـ .

إذ لجأ الأميران السعديان «عبد الملك» الملقب «بالمعتصم» و«أحمد» الملقب «بالممنور» إلى الخليفة العثماني السلطان «مراد الثالث» يطلبان مساعدتهما ، لاستعادة الإمارة من عمهما «محمد» الملقب «بالمتوكل» ، فامدهما بجيش استطاعا به طرد عمهما فلجأ إلى «البرتغال» مستعينا بهم لحرب أبيي أخيه ، فقاد ملك «البرتغال» «سبستيان» جيشا «برتغاليا» يدعمه بعض «الاسبان والالمان والاطليان» ، وبالمقابل أمد العثمانيون «عبد الملك» وأخاه «أحمد» والتقى الجيشان على شرى «وادى المخازن» فى معركة عنيفة أسفرت عن هزيمة المليبيين وموت «سبستيان» ، أما «محمد المتوكل» فقد ولى هاربا فى البحر فمات غرقا ، فأخذ بدوره وسلخ فسمى الملك «المملوك» ، أما «عبد الملك» فمات لمرض أصابه فتولى «أحمد الممنور» الملك من بعده وأضحت (١) العلاقة بينه وبين العثمانيين على أحسن مايرام .

(١) الاستقما لاختبار دول المغرب الاقصى ٣/٣٢ ، ط/المطبعة الممرية ، أحمد الفاضل السلاوى ، التاريخ الاسلامى - العهد العثمانى ٥٣٤/٨ .

أثرها في الشعر :

ولاشك أن نتيجة هذه المعركة من الوجهة السياسية والحضارية كانت ضخمة ، إذ أخرجت الزحف الأوربي ودحا من الزمن .

وكان من المتوقع أن أجد كما شعريا يوازي ضخامة تلك المعركة ولكنني لم أعثر إلا على ثلاث قصائد قيلت في فترات مختلفة :

(أ) قصيدة داود بن عبد المنعم الدغوي^(١) وهو ممن عاصر المعركة .

(ب) قصيدة للوزير عبد العزيز الفشتالي^(٢) .

(ج) قصيدة لـ "محمد الإمام بن ماء العيين" في فترة جيشان^(٣) الاستعمار مرة أخرى .

وتدور القصائد الثلاث حول الأمور التالية :

تمجيد القوة عند "الدغوي" وانها سبب النصر ، وإملاك معالي الأمور ، فمن ملكها استطاع الظفر ومن لم يكن كذلك ولم يخض الحروب دفاعا واستبسالاً كان مطمع العدو .

(١) داود بن عبد المنعم الدغوي من أسرة عريقة بالمغرب ، من أدباء عصره المرموقين ، له بعض قصائد متناثرة في كتب التاريخ والأدب . انظر : الأدب المغربي ص ٣٠٤ .

(٢) عبد العزيز بن محمد الفشتالي "أبو فارس" وزير الملك أحمد المنصور وكاتبه وشاعره الذي قال فيه : "إن الفشتالي نفتخر به على الملوك ، ونباري به لسان الدين ابن الخطيب" ، توفي سنة ثلاثين ، أو إحدى وثلاثين وألف .

انظر : خلاصة الأثر ٢ / ، ربحانة الألبا ١ / ، روضة الآس العاطرة الانفاس .

(٣) لم أعثر على ترجمته .

جنى النهر ما بين الظبا والكناين
على سابقات المذبات الصوافس
فبين المعالي والمآثر في الوغى
يجول الذي يبغي اقتحام المدائن
هي السور من يجتزه حل بساجها
فحل له منها امتلاك الخزائن
ومن لم يخض بحر الحروب فلا يرى
لحوزته دون العدى خير ماثن
ومن لم يخفها بالثبات فرائه
يقلل ويمسي حظه جد خائب (١)

سورة الجيش البرتغالي بقيادة "سبستيان" :

كان جيشا يملا أطباق الأرض ، يثير الغبار الكثيف لدرجة
حجبه ضوء الشمس من كثرتة ، يقوده "سبستيان" المغرور الذي
غره مدد جيشه ، نفسه تغلى حقدا على الإسلام والمسلمين ،
يتوق لقتلهم ، وانتهاك حرمتهم ، وامتلاك بلادهم .
ولكن أنى له ذلك {ويمكرون ويمكر الله والله خير
الماكرين} (٢) ، فلم تخفهم مدافعه ولم تفت في عقد المسلمين بل
قاوموه فرد مخزيا صاغرا .
وماذا يُفيد الجيش إن كان ربه

"سبستيان" عند "وادي المخازن"

أتى سادرا يختال في غلوائسه
وفي صدره للدين غلي الضائن

(١) خل وبقل ص ١٠٦-١٠٨ ، ط/المكتبة المهدية عبد الله
كنون ، وانظر : الأدب المغربي ص ٣٠٥ ، محمد بن تاوت ،
ط/مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني .
(٢) سورة الأنفال : ٣٠

يُسْرَبُ نَحْوَ الْمَغْرِبِينَ جَنُودُهُ
كَمَثَلِ الدَّبْيِ عَنْ مَخْرَاجِ السَّفَائِنِ
وَمَا قَمَدُهُ إِلَّا انْتِهَاكَ حَرِيمِهِ
وَدَكَ صِيَامِيهِ وَبَعَثَ الدَّفَائِنِ
وَقُودُ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ لَأَرْضِهِ
يُقَدِّمُهُمُ لِلْمَلَبِ مِثْلَ الْقِرَائِنِ
وَلَهُوَ بِأَبْكَارِ الْخُدُورِ بِنَاتِنَا
فَيُمَيِّحُنُ مِنْ خُدَامِهِ وَالسَّوَادِنِ
فَذَا مَكْرُهُ وَاللَّهُ يَمْكُرُ مَكْرَهُ
بِهِ إِذْ حْدَاهُ نَحْوُ تِلْكَ الْأَمَاكِنِ
فَخِيمَ فِي تِلْكَ الْجِهَاتِ وَعَيْثُهُ
لَمَرَّاكُشِ الْحَمَارِ لَا يَحْطُطَاوِنِ
وَلَكِنَّهُ مَعَ حَقْلِيهِ بِمَدَائِجِ
وَبَيْضِ وَسْمٍ وَامْتِلَاءِ الْكِنَائِنِ
تَخْلُفُ رِبْطُ الْجَاشِ عَنْهُ قَسْرَدُهُ
(١) عَلَى خَزِيصٍ صَفْرًا وَلَوْ مِنْ فِرَاسِنِ

والنص خلو من روح الفن ، ولا يزيد من نظم للواقع الذي
اشترك في تصويره عامة المسلمين آنذاك ، لكن دلالة التي
تعنيها هي خمود القرائح ، وغياب المواهب الفنية التي كانت
قميصة أن تشعل الصدور غسيرة ، وحفيظة على من أرادوا
اعراضهم وديارهم ودينهم بسوء .
وفي ظني أن هذه الهجمة الشارعية على الإسلام والمسلمين
هي من جانب آخر إعلان عن الشغف والتفكك الذي حاق بالمسلمين
آنذا لأسباب عني المؤرخون بتحصيلها .

صورة الجيش الاسلامي والثناء عليه :

وصف "الدغوى" الجيش العثماني والمغربي بأنه "جند الله" ، وقد بدا في ترتيب بديع ، فكان الملك والعلماء والشيوخ أهل التقوى ، ثم الجنود المتطوعون ، وبقيّة أفراد الشعب .

تَجَمَّعَ جُنْدُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وقد عُثِّقَ مِنْ مَدِينِهِ كُلِّ دَائِنٍ
مَنْ الْمَلِكِ الْمُقْدَامِ فَالْعُلَمَاءِ فَالْـ
شُيُوخِ أُولَى التَّقْوَى وَأَهْلِ الْبُؤْطَانِ
وَتِلْكَهُمْ الْأَجْنَادُ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ
(١) تَضَلَّ بِهِمْ أَبْصَارُ كُلِّ مُعَايِنٍ
ولا أدري من أهل البوأتان الذين هم من جنود المقاومة !!
بينما يصفه "عبد العزيز الفشتالى" فى إحدى قصائده ،
بالكثرة ، والشجاعة فهم يملكون على العدو مواقع تخسب به ،
ولو علت كتائبه رضوى لاندك ، وهم كالحمى عددا ، وإذا ما جن
الليل هدتهم خرمان إلى مقاتل العدو .
صَبَّحَ عَلَى أَرْضِ الْعِدَاةِ مَوَاعِقًا
أَسْلَنَ عَلَيْهِمْ بَحْرُ خُسْفٍ وَرَجْفَانِ
كَتَائِبُ لَوْ يَعْلَمُونَ "رَفَّسَوَى" لَصَدَّعَتْ
مِفَاهِ الْجِيَادِ الْجَرْدُ تَعْدُو بِعُقْبَانِ
عِدَادُ الْحَمَى مِنْ كَسَلٍ أَرُوغٍ مُعْلَمٍ
وَكَسَلٍ كَمْسِيٍّ بِالرَّدَيْنِيِّ طَعْبَانِ
إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْحَرْبِ عَنْهُمْ طَلَى الْعِدَا
هدتهم إلى أوداجها شهبُ خرمان

من اللاء جرّعن العدك غمص الرّدى
وعقرن في وجع الثرى وجه بستان (١) (٢)

ولا يخفى أن قصيدة "الفشتالى" أقوى سبكاً وأجود معنى من قصيدة "ابن داود" ، مع ملاحظة أن "ابن داود" كان مسجلاً فقط وصورة نثرية ، بينما "الفشتالى" جنح إلى المبالغة في قوله "كتائب لو يعلنون رضوى لمدعت ... الخ" ، وقوله "هدتهم إلى أوداجها شهب خرمان" فيه لغة فنية جيدة .

صورة المعركة :

وصف "الدغوى" اشتباك الجيشين ، ورسم صورة للمعركة وقد حمى وطيسها ، فالمدافع أرمدت ، والميائل أبرقت في الميدان ، وانقضت فرسان المسلمين انقضاض مقور الجو على الحمام .

وكانت النتيجة أنك لا ترى إلا مجندلاً في الثرى ، مبقور البطن قد اندلعت أمعاؤه ، ولا تبصر إلا رؤوساً تتطاير بين سنايك الخيل كأنها الكرات بينما ولى قائدهم موب البحر هارباً ، فكان البحر كفناً له ، وأُمحت أشلاء الكفار مذتنة في ساحة المعركة ، لم تدفن لكثرتها ، ولكثرة رؤوسهم تمنى الشاعر أن يمنع منها مآذن .

وقد حقق الله النصر للمسلمين في ذلك اليوم وأصبحوا في مزة بعده ، ويشبهه في فتاحه بيوم بدر وحنين ، إذ ذاق "البردقيز" الخزي والعار ، نظراً لبغيه ، ويعيد التأكيد على كثرة القتلى من النصارى ، فجثثهم تهب بها الرياح في

(١) السابق ص ١٠٠ .
(٢) يريد "سبيستان" ملك البرتغال الذى قتل في تلك المعركة كما مر بنا .

الفيافي ، ولكن تلك الفيافي لاستفيد منها شيئا ، إذ لو
كانت في مكان آخر صالح للزراعة لكانت سمادا جيدا .

ثم يختم القصيدة بحمد الله على ذلك النمر .

فَشَبَّتْ لَطَى الْعِجَاءِ لَيْسَ وَقُودُهَا

سوى انْفُسِ الشَّجَعَانِ وَسَطَ الْمِيَادِنِ

إِذْ أُرْعِدَتْ تِلْكَ الْمَدَافِعُ أَبْرَقَتْ

مَقِيلَاتُ بَيْضِ الْعَنْدِ فَوْقَ الْيَمَانِينِ

قَدْ انْقَضَتْ الْفِرْسَانُ مِنَّا عَلَيَّ

هَمَّ انْقِضَافُ مَقُورِ الْجَوِّ فَوْقَ الْوَرَاثِنِ

وَصَابِرَ كُلِّ قَرْنِهِ فَمَجْنَدُلُ الشَّ

رَى وَجَرِيحٌ سَاحِبٌ لِلْمَمَارِنِ

وَهَامُهُمْ مِثْلُ الْكُرَيْنِ وَقَدْ غَدَّتْ

سَنَابُكَ خَيْلُ اللَّحْمِ مِثْلَ الْمَحَاجِنِ

و"سِبْطِيَانُ" كَفَنَتْهُ مِيَاهُهُ

هَزِيمًا وَمَاءُ النَّهْرِ أَفْطَحَ كَافُنَ

فَحِينِ قَفَى الْبَهْتَارُ فِي الْكُفْرِ مَاقُنِي

وَاشْلَاؤُهُ نَحْنُ بِغَيْرِ مَدَافِنِ

رَأَيْتُ الْوَفَاً مِنْ رُؤُوسِ تَجَمُّعَتِ

وَيَالَيْتَهَا أَيْلًا جِدَارُ الْمَدَائِنِ

هَنَالِكَ نَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ مَوْزَرٌ

عَلَى كُلِّ ذِي كُفْرٍ تَعْجَمُ ضَاغِنِ

فَذَلِكَ يَوْمٌ مِثْلُ بَدْرِ وَمِنْوَاهُ

حُنَيْنٍ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ الْمِيَامِنِ

لَقَدْ ذَاقَ "الْبَرْدَقِيزُ" مِنَ الرَّدَى

جَزَاءَ مَنْهَا حَيْثُ خَزَايَا مَلَأْنِ

بَغُوا فَجَنُوا جَنَى الْبَغَاةِ فَاصْبَحُوا

سَمَادٌ الْغِيَا فِي لَاسِمَادَ الْفُسَادِ

فَبِحَمْدِ رَبِّ الْعَرْشِ إِذْ كَانَ دِينُنَا

(١)
لَا هَلَّ الْوَعَى وَالْبَاسَ خَيْرَ الْمَعَادِ

والحق أن الشاعر يحمّد له تسلسل صوره ، فمن حديث عن
الجيش البرتغالي ، ووصف للجيش الإسلامي ، ورسم لصورة
المعركة .

ولكنه كان في هذا المقطع ميّا ، فالصورة في ذهنه ،
ولكن العبارة لم تكن مواثية لتأدية المعنى ، وهذه دلالة
على عدم قدرته الشعرية ، إذ التعقيد واضح في مثل قوله :

رَأَيْتُ الْوَفَا مِنْ رُؤُوسِ تَجَمُّعَتْ

وَيَا لَيْتَهَا أَيْضًا جِدَارَ الْمَادَنِ

وقوله :

بَغُوا فَجَنُوا جَنَى الْبَغَاةِ فَاصْبَحُوا

سَمَادٌ الْغِيَا فِي لَاسِمَادَ الْفُسَادِ

ثم إن قوله "أيضا" ، و"فدادن" فيها نبو وعدم ملاءمة
للغة الشعرية ، وخياله ساذج مألوف في كل الصور التي أوردها .
ولكن الشاعر من عصره ، فلا يطلب منه في تلك المرحلة
أكثر من هذا التسجيل والمشاركة ومحاولة إخراج الشعر مما
وقع فيه من موضوعات هزيلة .

وتمر الأيام ويجيش الاستعمار من جديد بجموعه على بلاد
المسلمين في "أفريقيا" ويروع أحد العلماء ذلك المنظر ،
(٢)
وليس هنالك من يصد المليب عن أهدافه ويستعيد تاريخ مقارعة
المسلمين للمليب في "وادي المخازن" وما أبداه المسلمون

(١) السابق ص ١٠٧-١٠٨ .
(٢) هو محمد بن ماء العينين ، ولم أعثر على ترجمته

وقتله من تحقيقات ، فجاءت عليه قريحته بقصيدة أعاد فيها
الإشادة بالرجال الذين أحرزوا النصر في ساحة "وادي
المخازن" ، إذ شيدوا الدين وأرشدوا رداء المعالي ولم
يخنهم لغو ولا مجون ولا خلعة ، لأنهم ليسوا من أصحابها ، إذ
"هم الناس إن عدت كرامُ المعادن" ويشمخ أنفه متطلعا لذكرى
ذلك الانتصار ، ولكنه سرعان ما يرتد حسير الطرف ، عندما يرى
بنى عمره ، وماهم فيه من ذل وهوان ، ولا يخفى ما في تلك
المقارنة من حث واستنهاض لهم معاصريه ، وكذا ما فيه من
تقريع لهم ..

خليلي مرّابي بسوادي المخازن
نجددُ شكراً بين تلك المواطن
مواطنٌ كانت للجهاد مشاهداً
بهنّ مياه العزّ غير أواسين
به وقعة ما زال يسرى نسيماً
على بُعدٍ عمرٍ وابتعاد المساكين
بأيدي رجال شيدوا الدين وأرشدوا
رداءً من العلياء صافي المحاسن
فلم تخنهم عن راحة المزّ راحةً
وحسوّ كؤوس بين شاذٍ وشاذين
رجالٌ من أبناء المغاربة الأولى
هم الناس إن عدت كرامُ المعادن
فشمخ أنفاً شم نطرق بعدها
حياءً لغوت بيننا وتباين
أولاك حموا أقصى البلاد وأنتم
مساكين محميون وسط المساكين

ومما إذاك إلا من نتيجة سعيكم

(١) ونبذ لدين الممطفى والتهاون

والباحث ينظر إلى مثل هذا الشعر من زاويتين :

(أ) لدلالته على ما آل إليه الشعر في عصر الشاعر ، من سقم وثقافت ، وعندما تعم الشعر هذه السمات فغالبا ما يكون ماهاها من هبوط في روح الناس ، ومن جمود في العمر كله .

(ب) يتصدى للشعر بعض العلماء الذين يجعلون الشعر من شعور عظيم وخيال خصب ، ومن رؤية شعرية متجددة إلى نظم ، أهم مايمله بالشعر انه موزون مقفى . إضافة إلى ارتكاب الفروقات والوقوع في المحظورات !!!...

إن الشاعر هنا يقرّع بنى قومه ، بتعاونهم ، ونبذهم لكثير من أمور الدين ، ويحاول بعث هممهم وتذكيرهم بيوم "وادي المخازن" ، وهو اليوم الذى كسروا فيه شوكة "البرتغاليين" الغزاة ... ولكن هل ينفع الغناء فى هذه الذكرى العظيمة بموت متحشرج !!!

سقوط أميلا :

عندما بدأ الاسيان والبرتغاليون فى الاستيلاء على السواحل المغربية تزكيتهم الفزعة المليبية ضد المسلمين من اهل البلاد او النازحين من الاندلس نجاة دينهم وارواحهم ، كان لابد ان يكون من العلماء من يقوم بمهمة الحفز واستشارة الناس ضد النصارى الغزاة ، والدعوة إلى الجهاد لتحرير الثغور المسلوبة ، لذا انبرى فى تلك الفترة التاريخية الحالكة بالمغرب العربى العالم الشاعر "محمد بن يـجـيـش التازى" (١) ليؤلف كتابا فى الجهاد ويختتمه بقصيدة يدعو فيها إلى الجهاد ، ونبذ الفرقة ، والتنازع - أصل البعثة والانحلال - ، ويبين أن الوحدة هى الامثل لاستعادة الحقوق المسلوبة ، ويظهر قلقه وخوفه من استئساد البرتغاليين وتوكل المغاربة واتخذ من سقوط "أميلا" بيد البرتغاليين أداة لشرح المأساة بكاملها معرجا على "أميلا" وما فعل العدو بها ، وكيف أن مساجدها تبكى لفقد روادها ، وموامعها أصبحت معطلة عن الأذان ومجالس العلماء فى باحاتها أصبحت ميدانا للرهبان .

ولم أستطع مبرا وكيف يمح لى
وقد هتكت من ديننا كل حُرمة
وشاركنا الاعداء فى قُطرِ عُربنا
وقد أخذوا جُل البلاد البهيّة

(١) محمد بن عبد الرحيم بن يـجـيـش التازى من اعلام الدولة السعدية ، له ديوان شعر وكتب أخرى منها فى الجهاد "تنبيه الهمم العالية" .
انظر : الحركة الفكرية ٢ /

وقد أُرْعِبَتْ تلك السَّوَاهِلُ مِنْهُمْ
 وصاروا يَبْذُلُونَ الْخَرَاجَ كَجَزِيَّةٍ
 وَأَنْتُمْ شَفَلْتُمْ بِالْتَّعَلُّلِ وَالْمُنَى
 بَلَّغْتُمْ مَرَادَ النَّفْسِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ
 وَاسَعَفْتُمْ الشَّيْطَانَ مِمَّا أَرَادَهُ
 وَمِلْتُمْ إِلَى نَهْجِ الطَّبَاعِ الْخَاسِيَةِ
 فَعَذَا هَوَانٌ وَاحْتِقَارٌ وَذِلَّةٌ
 وَعَارٌ شَنِيعٌ ثُمَّ قِلَّةٌ حِيلَةٌ
 لِقَمَةٍ أَمِيلًا عَرَفْتُمْ جَمِيعًا
 وَمَا فَعَلَ الْأَعْدَاءُ مِنْ شَرٍّ غَدْرَةٍ
 وَأَضَحَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ تَبْكِي رُسُومَهَا
 وَسَكَتُهَا قَدْ صَارُوا فِي أَرْضٍ غُرْبَةٍ
 مَسَاجِدُهَا تَبْكِي عَلَى فَقْدِ أَهْلِهَا
 كَانَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَرَدُّ سَوْرَةٍ
 مَوَاطِعُهَا قَدْ مَطَّلَتْ عَنْ أَذَانِهَا
 كَانَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَذَانُ مَصَوْتٍ
 مَجَالِسُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَاصَاحُ بَدَّلَتْ
 بِتَلْبِيسٍ وَهَبَانٍ وَرَجَسٍ الْأَخْسَةِ
 ثُمَّ يَحْضُ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَشْنَعُ عَلَى الْبُخْلَاءِ
 مِنْ ذَوِي الشَّرَاءِ :
 وَلَا تَبْخُلُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَهُوَ لِرَبِّكُمْ
 وَأَنْتُمْ لَهُ فَالْبَخْلُ شَرٌّ مَجِيئٌ
 فَمَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَلَمْ يَكُ ذَا نَدَى
 فَذَلِكَ مَمْقُوتٌ خَبِيثٌ الطَّوِيلُ
 وَيَسْتَنْهَضُ الْهَمَّ لِلْجِهَادِ ، مَذْكُرًا بِالْأَمْجَادِ السَّالِفَةِ الَّتِي
 سَطَرَهَا الْأَجْدَادُ دَاعِيًا إِلَى مَلُوكِ طَرِيقِهِمْ .

ايا اولياء النمر يا اهل غربنا
 بكم تُقرب الامثال في كل بلدة
 وانتم هم الشجعان في شدة الوغى
 وانتم هم الابطال عند الحقيقة
 فكيف يفيح المستجير بجاهكم
 وانتم ملاذ الخائف المتحير
 واسلافكم لم تال عن مستفيحكم
 على نهجهم فامضوا بمدق عزيمة
 فكم انقذوا من مستغيث بجاههم
 وكم كشفوا من كربة مستقرة
 وكم من جيوش اوردوها حتوفها
 وكم فرقوا في دهرهم من كتيبة
 فقد كان هذا والعدو ببرهم
 وفي الغرب عاد القوم في قرب عدوة
 وماروا يرومون البلاد ببركم
 يحطون منكم قرية بعد قرية
 فياعجباً من ذلكم لعدوكم
 وانتم لكم في الحرب اعظم مولة
 فابن اسود الغرب ابن رجالة
 وابن ذوو الخيل العتاق الأعرّة (١)
 والقميذة على مافيها من ضعف في الخيال والخرائب
 واختلال في الوزن عند قوله :
 فقصة اميلا عرفتم جميعا
 وسكانها قد صاروا في ارض غربة

(١) الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين ص ٢٠٠-٢٠١ ط فضالة

الا انها تعتبر شاهد عصر على دور بعض العلماء
العاملين الذين استشعروا واجبههم ، فكانى بهذا العالم قد
امتطى مهوة جواده وطلابه يحفونه من كل جانب ، ثم ومل
المسجد واعتلى منبره ، ثم قام خطيبا محررا منبها قومه
من خطورة عدوهم ، ولادل على ذلك من كثرة ادوات النداء فى
هذه القصيدة .

ولكن تلك المدينة لم تستمر طويلا بيد البرتغاليين ،
فما إن استقر "المنصور الذهبى" على كرسى العرش حتى جرد
جيشا لاستعادتها ، وعلى ذلك فلم تذهب صيحة "ابن يجيش" سدى
وهنا ينظم شاعر المنصور وكاتبه "عبد العزيز الغشتالى"
قصيدة يهنئه فيها بذلك الفتح .

ويشبه المدينة بعروس بكر زفت إلى خاطبها متهلة
مستبشرة ، اتته طائفة مختارة بعد ما شفق بحنينها له ،
ويبين مكانة تلك المدينة بين بقية الاممار المغربية .

بكرُ الفُتُوحِ لَكم تَهْلِلُ بِشْرُهَا
وافتَرَّ عن شَنبِ المِسْرَةِ شَفْرُهَا
وعقيلَةُ الاممارِ وهى اميلة
انت العزيزُ لَذا اطاعَكَ بِمِرْهَا
وَآخى بِهَا الفُتُحُ المَبِينُ بِزَفْرِهَا
بَكمِ وَاِيسَ سِوى قَبولِكَ مَهْرُهَا
شُفِفَتْ بِبَدْرِكَ وَاسْتَبَاكَ حَفِيْظُهَا
فَحَجَمَعَتْ بِكُمَا حُنَيْنٌ وَبَدْرُهَا
كَانَتْ لِيَالَى الكُفْرِ فِيهَا دَمْلًا
وَبِعَصْرِكَ الاَقْصَى تَبَيَّنَ فَجْرُهَا
خَضَعَتْ لَكم بِخُضُوعِهَا الدُّنْيَا وَقَدْ
لَبَّاكَ مِنْ بَطْحَاءِ مَكَّةَ حِجْرُهَا

ويدعو المنصور أن يجرّد الجيوش لاستعادة الأندلس ، وأن
ذلك استجابة لعواطف ذلك الجيش ، ويطالب بحمد رؤوس الكفار
بها .

أوطىء جيوشك أرض أندلس فقد
نذرت تطيعك كي يوفى نذرُها
واحمد رؤوس المشركين بها فقد
آن الحصاد لها وأرطب بسرُها (١)

وتدل صيحة هذا الشاعر الوزير إبانئذ على القوة
النسبية التي بلغها المغرب في عهد المنصور الذهبي .

(١) روضة الاس العاطرة الانعام ص ١٣٣ ، ط/الملكية الرباط ،
للمقرئ ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور .

استقرار العثمانيين :

عندما استقر وضع العثمانيين ومن والاهم في بلاد المغرب العربي كانت الجيوش "البرتغالية والاسبانية" لا تزال تحتل بعض الثغور الساحلية المهمة ، بينما بدأت "فرنسا وبريطانيا" تتطلعان إلى الديار الإسلامية بالمغرب للنزعة المليبية من جهة ، وإيجاد موارد اقتصادية من جهة أخرى ، نظرا للثغور البحرية المهمة التي تمر في عباها السفن التجارية الدولية مما يدر موارد ضخمة للدول المتحكمة في تلك السواحل .

لذا خاض ولاية الدولة العثمانية في المغرب حربا استعمارية شرسة ضد الدول الطامعة ، وكان طبيعيا أن نجد مدى لتلك الحروب في الشعر العربي ، فالفيينا بعض الشعراء العلماء يسировون جنبا إلى جنب مع الجيوش المحاربة ومع أهل الثغور المستعمرة ، استفاضة وتحريفا ووصفا للمبارك ، وتطلعا إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الحربية .

(١)
انقاذ وهران :

كانت من الثغور المهمة التي بقيت في يد الاستعمار المليبي "الاسباني" ، بعد استقرار العثمانيين بالجزائر "وامبحت قضية وهران هي القضية الاولى التي يهتم بها الرأي العام ويريد أن يصفى حسابها مهما غلا الثمن ... وهي في نظره قضية جهاد إسلامي عام ... والشعراء بقمائدهم العديدة

(١) هي من أكبر مدن الجزائر بعد العاصمة ، تقع بالقرب من حدود المغرب .

كانوا يلهبون الحماسة ، ويشحذون العزائم ، ويستنفرون الشعب والحاكمين من أجل الحملة النهائية ، ولقد حفظ لنا التاريخ بعضا من هاتيك القمائد المؤثرة التي تعتبر مرآة للرأي العام ، وصورة صادقة للإحساس الشعبي^(١) .

ويمكن تصنيف تلك الأشعار على المنوال التالي :

* الاستمراخ لإنقاذ وهران .

* المدح .

كان "محمد بكداش"^(٢) هو الوالي على الجزائر ، ووزيره "حسن باشا"^(٣) ، فحظي هذان العلمان بمكانة في شعر هذه الحقبة - في الجزائر - نظرا للمجهود الذي قاما به لإنقاذ وهران واستردادها .

(٤)
من ذلك قول "محمد بن يوسف الجزائري" :

"بشرى لمن قدومه خذل العدا" - - - - -

ومنها :

مستنصر ^١ باللّو في حركاته	ومؤيد ^٢ بالعزّ منه فأيّدا
من يمم السّلك السّعيد وأمه	واقصّ أشار السّادة والمّدى
ابدا أمير المؤمنين محمد ^٣	للناس من شيم الافاضل مابدا
.....	
ولقد علا بين الملوك بعدله	وجرى من العليا اقمى مدى

(١) حرب الثلاثمائة عام ص ٢٤٧ ط - الشركة الوطنية للنشر - أحمد الملاحي

(٢) محمد بكداش باشا والي الجزائر سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٧م ، عربي الأصل تركي المولد والنشأة ، له معرفة ومشاركة في بعض الفنون ، ولى خطابة بعض الجوامع في الجزائر ، مات مقتولا سنة ١١٢٢هـ / ١٧١٠م .

(٣) انظر : التحفة المرفية ، حرب الثلاثمائة عام . الأمير حسن باشا كان محبا للخمر والملذات ، ثم تاب وأناب عن ذلك ، وتزوج ابنة "محمد بكداش" وعين وزيرا له ، قتل سنة ١١٢٢هـ .

(٤) انظر : التحفة المرفية . أبو عبد الله محمد الملقب بابن يوسف الجزائري ، من أدباء وشعراء عصره ، شارك في المعارك التي دارت لاسترداد وهران . انظر : التحفة .

فوزيرُهُ وكفيلُهُ "حُسنُ" الذى
 ساقَ الجيوشُ إلى الجهادِ ومعداً
 يزجى عساكرَهُ "الوهران" التى
 اضحى بها الإِشراكُ مُلتَحِمَ السدى
 ويدعو الله أن ييسر على يديهما فتح مدينة "وهران" .
 ياربَّ يسرْ عن يديهم فتَحاً
 ربِّي وكنْ لها مُعيناً مُنجداً
 وتعودُ للإسلام دارُ مقامِهِ
 وبها منارُ المسلمين مُشيداً
 ويَزُولُ من بُعدِ الضلالةِ بالهدى
 ماغيَرُ الإِشراكُ قبلُ وأفسداً (١)

والشاعر على ضعف فى لغته وتراكيبه إلا أن الفاظه
 مناسبة لمقام المدح فهو يحذو حذو الملك ، ذو شيم رفيعة
 وعدل .

ويمدح "محمد بن عبد الله المستفائمي" (٢) والى الجزائر
 بقميدة سماها "الكوكب النائر فى مدح أمير الجزائر" منها :
 لا زِلْتُ أَقْتَبِسُ الإِشَارَ حَيْثُ بَدَا
 لِمَقَلَّتِي كوكبٌ بِالْفُجْمِرِ مُتَزَوِّراً
 إِمَامٌ عَدْلٍ حَمَاهُ الرَّبُّ حَيْثُ غَدَا
 مُعْتَمِماً صَابِراً لِلَّهِ مُنْتَمِراً
 سلطاننا المرتضى دامت سعادته
 وازداد نصراً على نصرٍ مدى العُمُرِ

(١) التحفة المرضية ص ١٧٧-١٧٩ .

(٢) لم أعثر على ترجمته .

فَقَدْ أَتَى وَاحِدًا فِي عَمْرِنَا رَاقِعًا
لِرَايَةِ الْعِلْمِ وَالشَّرْعِ الْقَوِيمِ حَرِي

.....
أَيَّامُكُمْ أَقْبَلَتْ وَدَوْلَةُ سَعِدَتْ
وَرَحْمَةُ وَسِعَتْ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ

بِحَاكِمٍ قَاضٍ وَمَالِمٍ عَامِلٍ
أَخِيَا الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ كَالْمَطَرِ

أَدَارَ مَلِكٍ فَلَا تَخْشَوْنَ مِنْ أَحَدٍ
فَكُلُّ أَعْدَائِكُمْ مِنْكُمْ عَلَى حَذَرٍ

وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَنْصُرَ الْمُسْلِمِينَ وَيَهْزِمَ الْمَلِيبِيِّينَ كَهَزِيمَةِ

الشُّرَكِّ فِي بَدْرٍ وَحَنِينٍ .

رَبِّي بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى فَكُنْ نَاصِرًا

لَهُمْ بَرِيحُ الْمُبَايَا خَيْرٌ مُنْجِمٍ

وَاهْزِمْ وَلَاةَ الْمَلِيبِ هُزْمٌ بَدْرٌ كَمَا

هَزَمْتَهُمْ بِحَنِينٍ سَلَّ مِنَ الْخَبَرِ (١)

وَالشَّاعِرُ مِثْلُ سَابِقِهِ مَهْلِكُ النَّسَجِ ، ضَعِيفُ الْقَرِيحَةِ ،

سَقِيمُ التَّرَاكِيِبِ وَالصُّوَرِ ، يَخْرُجُ كَظْفِيرِهِ مِنْ طَبَقَتِهِ عَلَى أَوْزَانِ

الْمَرْوُضِ ، وَحِينًا عَلَى قَوَاعِدِ النُّحُو ، وَهَذَا هُوَ وَقْتُ الْإِفْلَاسِ فِي

تَارِيخِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، وَوَقْتُ الانْحِطَاطِ وَالْجُمُودِ فِي تَارِيخِ

الْأُمَّةِ .

(٢) وَيَمْدَحُ "مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَوْجِيلِيُّ" ، "أَبَا الْعَبَّاسِ الْحَاجِّ

(٣) أَحْمَدُ دَايَ" بِقَمِيْدَةٍ مِنْهَا :

(١) السَّابِقُ ص ١٨١-١٨٢ .

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَسْعَدٍ الْمَلَقَبُ بِابْنِ آقَوَجِيلٍ لَهُ اشْتِفَالٌ بِالْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ ، أَحَدُ أَعْلَامِ زَمَانِهِ ، لَهُ بَعْضُ الثَّمَانِيَّاتِ ، كَانَ يَتَقَاظَى جَرَايِدَ مَنْ وَالَى الْجَزَائِرَ .

انْظُرْ : التَّحْفَةُ الْمَرْصُيَّةُ .
(٣) أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَاجُّ أَحْمَدُ دَايَ تَوَلَّى الْجَزَائِرَ سَنَةَ ١١٠٦هـ / ١٦٦٥م إِلَى سَنَةِ ١١٠٩هـ / ١٦٩٨م .
التَّحْفَةُ الْمَرْصُيَّةُ .

بسعادة تجديدكم وسرور وبه العناء على ممر دهور
فرحت جزائرنا بكم وتأنست بمقامكم فيها بحال حُبور
دبرتم أمر البلاد ومنتم أحوالها جُعدا من التغير
يهنئ أبا العباس تلك بلادنا مامثلها بلد بنقد بصير

ويدعو الله أن يبقيه ذخرا للبلاد :

(١) قاله يبقاكم لنفع بلادنا ظلًا قليلاً غاية التعمير

والشاعر ضعيف التراكيب ، سقيم العبارة ، دخيل على
الشعر الجيد كسابقه ، إلا أن الباحث يسوق مثل هذه النماذج
ليدل على ضعف الشعر ، وعلى تماقت الروح العامة ، وعلى
الحركة التي بدأت تسرى إلى الشعر من خلال الأحداث التي جشت
الوجدان فيها يخرج بها الشعر من وهدته .

ويثنى "محمد بن عبد المؤمن" على الأمير "حسن الشريف
(٢) باشا" بقوله :
(٣)

يا أيها الملك الذي أيامه

غرر غدت بكماله تهابه

ومن الذي أحيا معالم سنة

وشيد أركانها وبناها

ذاك الأمير أبو محمد الرضي

حسن به قطر الجزائر تاهها

أنت الأمير المركبى لكريهة

(٤) يوم النزال فانت قطب رحاها

-
- (١) السابق ص ٢٠٦ .
(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن ، توفى سنة ١١٠١هـ /
١٦٩٠م .
التحفة المرضية .
(٣) تولى سنة ١٠٩٢هـ / ١٠٩٤م .
التحفة .
(٤) نفسه ص ٣٠١ ٣٠٢

وهو مثل سابقه في ضعف التراكيب والاخلال بالوزن في قوله "وشيد ...".

وممن مدح "حسن باشا" ودعا له "عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن موسى" ^(١) ، عندما هدم "حصن المرسى" الأعلى وهرب النصارى من الحصن الأسفل ، إذ يشد من عزم "الباشا" لاستكمال البقية الباقية من حصون النصارى إربانئذ .

هَنِيئًا لَكُمْ بَاشَا الْجَزَائِرِ وَالْغَرْبِ
يَفْتَحِ آسَافُ الْكُفْرِ مَرَسَى قِرَى الْكَلْبِ
سَتَفْتَحُ وَهْرَانًا وَمَرَسَاتَهَا الَّتِي
أَمَرَتْ بِذَا الْإِقْلِيمِ طَرًّا بِلَا رَيْبٍ
فَتَحُّ بِالْإِلَهِ وَاسْتَعِينَ بِهِ وَاصْبِرَنَّ
يُنْذِرُكَ الْمَرَادُ يَا أَمِيرِي وَمُظَلِّبِي
وَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا قَدْ أَتَى ذَاكَ فِي الْكُتُبِ
وَقَدْ قَالَ فَارُوقُ أَبُو حَفْصٍ الرُّضِي
بِئْسَرِينَ عُسْرٌ وَاحِدٌ لَيْسَ ذَا عُتْبٍ
فَأَبْقَاكَ رَبِّي فَاتِحًا لِحُمُونِهِمْ
وَكَهْفًا مَنِيْعًا ذَا عُكُومٍ وَذَا صَوْبٍ
وَنُورَ قَلْبًا مِنْكَ بِالْعِلْمِ وَالتَّحْقِي
وَاعْطَاكَ مَا تَهْوَى مِنَ النُّصْرِ وَالْحُبِّ ^(٢)
وَيَقُولُ أَيْضًا دَاعِيَا اللَّهِ أَنْ يَمْنَحَهُ الْعِزَّ وَالنُّصْرَ ، وَيُفْرِجَ
كَرْبَهُ وَيَرْعَاهُ :

(١) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن موسى الوجديجي ، ولد سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٣م ، توفي سنة ١٠٠١هـ / ١٦٣٠م .
البحفة .
(٢) السابق ص ٢٧٨ .

تُحَيِّي بَنَمِرٍ مَعَ قُتُوجٍ تَوَاتَرَتْ
 عَلَى نَجَلٍ خَيْرِ الدِّينِ خَيْرِ الْمَطَالِبِ
 وَتُرْفِيهِ بِأَمْوَالٍ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
 وَتَمْنَحُهُ عَزًّا وَخَيْرَ الْعَوَاقِبِ
 وَتَكْشِفُ مُرَّهٗ وَتَحْفَظُ سِرَّهٗ
 تُفَرِّجُ كَرْبَهُ بِإِعْطَا الْمَأْرِبِ

.....

فِثْقٌ بِالْإِلَهِ وَاصْبِرَنَّ تَنْلُ بِوِ
 مَرَادَكَ وَهَرَانَا وَمَرْسَى الْقَوَارِبِ
 وَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ

(١) مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا لَسْتَ فِي ذَا يَغَاثِبِ

وَكَلَا الْقَمِيْدَتَيْنِ نَظْمٌ لَا يَجِدُ الْقَارِئُ فِيهِمَا رُوحَ الشَّعْرِ ،
 نَاهِيكَ . بِتَكَرُّارِ مَعَانِيهِ وَالْفَاظِهِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ .
 وَيَقُولُ "عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجَامِعِي" مَا دَحَا "حَسَنُ بَاشَا" أَنَّهُ
 أَرْعَبُ الْكَفَّارِ ، وَأَنَّ النَّمِرَ حَلِيفُ جَيْشِهِ آتَى سَارَ ، وَالْأَرْضُ دَانَتْ
 لَهُ بِدَوَاهَا وَحَضَرَهَا ، ثُمَّ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَنْزِيلَهُ مَأْرِبَهُ ، وَيَبْقِيَهُ
 فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ .

أَرَعَبْتَ خَوْفًا قُلُوبَ الْكَافِرِينَ فَهَمُّ
 قَتَلِي وَمَرْعَى لَدَى الْعِقْبَانِ وَالنُّسْرِ
 لَا زَالَ جَيْشُكَ آتَى سَارَ يَقْدُمُهُ
 نَمِرٌ وَفَتْحٌ مُبِينٌ غَسِيرٌ مِنْحَمِرٌ
 دَانَتْ لَهُ الْأَرْضُ دَانِيَهَا وَشَاسِعُهَا
 وَقَدْ أَطَاعَكَ أَهْلُ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ

وَأَخْرُفُ الْعِزَّ وَالنَّصْرَ الْمُبِينِ عَلَى
 لِيَاكَ قَدْ رَقَمْتُهَا أَنْمُلُ الْقَدْرِ
 أَنَا لَكَ اللَّهُ مَا تَهْوَى وَتَطْلُبُهُ
 مِنْ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ وَالظَّفَرِ
 قَالَهُ يُبْقِيكَ فِي خَيْرٍ وَعَاقِبَةٍ
 (١) مَا دَامَ فِينَا ضِيَاءُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 وَيَقُولُ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى إِنَّ الْإِسْلَامَ بَلَغَ غَايَتَهُ بِهِ ، وَانَّهُ
 هِمَامٌ شَجَاعٌ ، رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ .
 قَتَى مُحَسَّنٌ لِلْقَاصِدِينَ بِفَقْلِهِ
 إِذَا حَسَنًا سَمَاءُ ذُو الْمُلْكِ وَالْأَمْرِ
 بِهِ بَلَغَ الْإِسْلَامُ غَايَةَ سُؤْلِهِ
 وَأَصْبَحَ أَهْلُ الْكُفْرِ فِي الْحَشْرِ وَالْخُسْرِ
 هُمَامٌ حَوَى الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ يَأْفِئًا
 شَجَاعٌ كَسَى طَاعِنُ الْمَدْرِ وَالنَّحْرِ
 رَحِيمٌ بِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ مَلَاطِفُ
 (٢) رُوِيَ عَنْهُ عَطُوفٌ فِي النِّوَابِ ذُو صَبْرِ
 وَالنَّازِمِ عَمْدٌ إِلَى رِصْفِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ ذَاتِ الْوِزْنِ
 الْوَاحِدِ ، دُونَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ إِهْمَامُ مَعَانَاةٍ ، مِثْلُهُ مِثْلُ كَثِيرٍ مِنْ
 شُعْرَاءِ زَمَنِهِ .
 وَيُشْنَى "أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ حَفِيدُ الْمُهَدِيِّ الْجَزَائِرِيِّ"
 بِقَوْلِهِ :
 إِلَيْهِ تَنَاهَى الْحَزْمُ وَالْعِزْمُ وَالْعُلَى
 وَعَنْهُ إِلَى الْإِقْطَارِ تَرَوَى الْمَكَارِمُ

(١) السابق ص ٢٨٢ .

(٢) نفسه ص ٢٨٤ .

كَمْ قَدَمٌ فِي مَرْكَزِ الْعِزِّ شَابَتْ
وَرَأَى سَدِيدٌ لَمْ كَرُغِهِ الْعِظَانُ
رَفِيعُ الْبِنَا فِي الْمَجْدِ شَعْمٌ مُحَنَّتْكَ
خَبِيرٌ بِأَفْرَادِ السِّيَاسَةِ عَالِمٌ

.....

سَطَا سَيْفُهُ بِالْكَفْرِ أَقْطَعَ سَطْوَةً
لَقَدْ أَحْجَمَتْ عَنْهَا الْأَسُودُ الْفُرَاغُ
إِمَامٌ سَقَى الْكُفَّارَ كَأَنَّ مَنِيَّةً
لَهُمْ شَبَهُ بِالْثَّمَلِ وَالسَّيْفِ حَاطِمٌ
لَقَدْ مَّالَ فِيهِمْ صَوْلَةٌ هَاشِمِيَّةٌ
(١) فَاغْتَاهُمْ فِي الْحَرْبِ كَيْرَانٌ وَاجِمٌ
وَوَظَاهِرٌ أَنَّ أَوْصَافَهُ مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ الذَّاكِرَةِ ، وَالْأَبْيَاتِ الْآخِرَةِ
الَّتِي مِنَ الْأَوَّلَى لَمَلَحَتْهَا بِمَوْضِعِ الْحَرْبِ .

ظلم الاستعمار :

إِنَّ الظُّمَارَ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْحَارِيْجِيَّةِ مَازَلُوا أَرْضًا
إِسْلَامِيَّةً إِلَّا وَحَاوَلُوا بِشَتَّى الْوَسَائِلِ طَمَسَ كُلِّ أَثَرٍ إِسْلَامِيٍّ ،
وَإِظْهَارَ كُلِّ شَعْبَةٍ صُلَيْبِيَّةٍ ، فَسُكُوتُ صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ ، يُقَابِلُهُ دَقُّ
لِلنَّاقُوسِ ، وَخَفْضُ الْعِلَالِ وَتَدْمِيرُ الْمَسَاجِدِ ، يُقَابِلُهُمَا رَفْعُ
لِلصُّلُوبِ وَتَعْمِيرُ الْكُفَّانِ .

فَهَذَا "مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ" يَصِفُ مَا حَصَلَ لِمَدِينَةِ "وَهْرَانِ"
عَلَى يَدِ الْأَسْبَاطِ عِنْدَمَا اسْتَوْلُوا عَلَيْهَا رَدَحًا مِنَ الزَّمَنِ ، إِذْ
عَبَسُوا وَاسْتَبَاحُوا كُلَّ شَيْءٍ ، وَرَفَعُوا الصُّلُوبَ وَطَمَسُوا مَعَالِمَ
الْإِسْلَامِ بِهَا ، وَاسْرُوا وَشَرَدُوا أَهْلَهَا .

قد طالما عيشَتْ بها أيدي العِدَّةِ
 حتى استباحوا أرضها وجَمَها
 وتَصَرَّفوا في المسلمين فأصبحَتْ
 أُعْجُوبَةً لِمَن اغتدى بِرعاها
 اضحى الصليبُ مؤيداً والدِّينُ قد
 كَرَسَتْ معالمُه فلستَ تَراها
 جعلوا بها الناقوسَ في أوقاتهم
 بدل الأذانِ وغيَّروا مَعناها
 كم من أسيرٍ حوَّلَها لا يُفْتدى
 كم من فقيرٍ حلَّ في مَثَواها
 كم من نِمامٍ صَبَّحَ أَسْرَى بِها
 (١) أسرى بهم من لَيْسَ يدرى الله
 ويقول "ابن اقوجيل" إن النصارى في مدينة "وهران"
 اذاقوا المسلمين وبالا وسبواهم وكلَّفوهم غرامات لا تطاق .
 باقتِ أمورُ المسلمين وكُلِّفوا
 غُرماً طويلاً في مديرتِ شُهورِ
 وبغربنا وهران غُرومٌ مؤلِّمٌ
 سهل اقتلاع في اعتناء يسير
 كم قد اذت من مسلمين وكم سَبَتْ
 (٢) منهم بقهرٍ أسيرةٍ وأسيرِ
 ويمض في قصيدة أخرى المظاهر التي أحدثها النصارى
 بالمدينة لما حلَّوا بها ويعرض للخونة الذين رضوا بذل
 الاستعمار ، لقاء أجر مادي ، بينما الرعية تنادى بالخلع من
 ظلم المحتلين وجورهم .

(١) السابق ص ٣٠٢ .

(٢) نفسه ص ٢٠٦ .

تَمَلَّكَهَا جِزْبُ الشَّقَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
 زَمَانًا لِحَزْبِ الْحَقِّ عَنْهَا مُخَاصِمٌ
 بِهَا يُسَمَّعُ النَّااقُونَ مِنْ نَحْوِ قَرْسَخٍ
 وَمِنْ لُغَةِ الْكَقَّارِ فِيهَا تَرَاجِمُ
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ صِيحَةٌ مِنْ خُيُولِهَا
 يَنْوَحُ لَهَا الْإِسْلَامُ وَالشُّرْكُ بِاسْمِ
 زَهَاوَا مَتَلَّى التَّخْلِيثُ فِيهَا وَتُكْسَتُ
 لِمَادَهُمُ التَّوْحِيدُ مِنْهُ الْكَمَانُ
 وَكُلُّ رَنِييسٍ يُرْتَجَى لِيُخْطَبَ بِهَا
 تَشَاغَلَ فِي كَذَاتِهِ وَهُوَ نَائِمٌ
 وَرَبَّ أَمِيرٍ أَزْمَعَ السَّيْرَ نَحْوَهَا
 فَيَرْجِعُ لَمَّا كَلَّلَتْهُ الدَّرَاهِمُ
 رَضُوا بِالرَّشَا فِي الدِّينِ لَمَّا تَخَلَّفُوا
 (١) وَقَدْ رَسَخَتْ فِي الْأَرْضِ تِلْكَ الْأَرَاقِمُ

الدعوة لانقاد وهران مع وصف الجيش المنقذ :

كَانَ لِلشُّعْرَاءِ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي حَضِّ الْمَاسَةِ مِنْ وِلَاةِ الدَّوْلَةِ
 الْعُثْمَانِيَّةِ ، وَشَيُوخِ الْقِبَاثِلِ ، وَالْعُلَمَاءِ ، عَلَى اسْتِعَادَةِ
 "وهران" مِنْ يَدِ الْأَسْبَانِ .
 فَهَذَا "أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاسِي" ^(٢) يَسْتَنْهَضُ الْعَمَمَ وَيَحْضُرُ
 النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ ، خَاصًّا قَبِيلَةَ "بَنِي عَامَرٍ" ، مَسْمِيًا شَيُوخَ
 الْقِبَاثِلِ ، ثُمَّ يَعْمَمُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي نَدَائِهِ لِلاتِّرَاكِ ، وَسَادَاتِ

(١) التَّحْفَةُ الْمَرْصُوفَةُ ص ٢٩٥ ، حَرْبُ الثَّلَاثِمِائَةِ ص ٤٦٩ .
 (٢) لَمْ أَعْثُرْ عَلَى تَرْجُمَتِهِ .
 (٣) قَبِيلَةٌ كَانَتْ تَسْكُنُ حَوْلَ "وهران" أَسْلَمُوا قِيَادَهُمُ لِلْأَسْبَانِ
 وَأَصْبَحُوا لَهُمْ أَعْوَانًا وَعِيُونًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

العرب ، مناشدا إياهم أن يهتّبوا لإنقاذ "وهران" متسانلا كيف
رضوا بالذل والهوان ، فالعدو يسبى العذارى ، والوالى
اليهودى من قبل النصارى سام المسلمين خسفا وعذابا فابين
الهم وحماة الذمم .

فَمَنْ مُبْلَغٌ مِّنِّي قَبَائِلَ عَامِرٍ
ولاسيما وَمَنْ شَوَى تَحْتَ كَافِرٍ
وَكُلَّ كَمِيٍّ مِنْ صَنَادِيدِ "رَاشِدٍ"
بَتِجَانِهِمْ مَعَ رَاسِهَا "عَبْدُ قَادِرٍ"
وجيرانهم فى الغرب من كل ماجدٍ
طويلَ القنا أهلَ الوفا والمغافر
و"طلحة" والاحلاف فى غرب هبرةٍ
وشيوخَ سويدٍ بل وكُلَّ مُفَاخِرٍ
و"شيخَ بنى يعقوبٍ" الحامى الحِمَى
لكُلِّ قَبِيلٍ مَوْلَعٍ بِالْعَسَاكِرِ
ويامعشرَ الإسلامِ فى كُلِّ مَوْطِنٍ
وفى كُلِّ نَادٍ سَالِفٍ وَمُعَاوِرٍ
ويامعشرَ الاتراكِ ياكلُ عالمٍ
وكُلَّ وَلِيٍّ حَافِظٍ لِّلْأَوَامِرِ
ويأسادةَ العربانِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
وغيرِهِم بِاللَّهِ مَامِبِرُ صَابِرٍ
أُنَاشِدُكُمْ بِاللَّهِ مَا عُدُّرُ جَمْعِكُمْ
لدى الله فى وهرانَ ذاتِ الخنازِرِ
إِذْ لَكُمْ الْجَبَارُ ! كَيْفَ رَضِيْتُمْ
يَسْبِي العَذَارَى مِنْ بَنَاتِ الأكابرِ
فصرْتُمْ مِنْ جَوْرِ البَغَاةِ كَانَتْكُمْ
يهودُ الجزا تُعْطُونَهَا بِالْأَصَاغِرِ

فلاهمسة^١ تَعْلُو بِكُمْ عَنْ دَنِيَّةٍ
 وَلَاغَيْرَةٍ تَدْعُوَكُمْو لِلْمَآثِرِ
 وَلَاذِمَّةٍ تَرْمُونَهَا فِي نَبِيِّكُمْ
 وَلَا حَرَمَةٍ كَحَمُونَهَا بِالْبَوَاقِرِ
 عَلَيْكُمْ لِحَافُ الدَّلِ آيْنَ فَحَوْلُكُمْ
 أَمَّا أَبْمَرُوا فِي الدَّلِّ خَيْرَ الْحَرَائِرِ
 وَتَحْتَ الْيَهُودَى غَادَةٌ عَرَبِيَّةٌ
 يُعَالِيهَا الْخَنْزِيرُ فَوْقَ الْعَزَابِرِ
 وَمَا بَيْنَكُمْ إِلَّا خُمَى أَدَلَّةٌ
 بِمِيسِمِهِ النَّمِرَانِي يَأْتِي عَامِرُ
 أَهْلِيهِ مَلُوكِ أَم تَغْلِبُ ظَالِمُ
 (١)
 عَلَيْكُمْ رِمَاكُم فِي جَوَارِ الْكَوَافِرِ
 وَفِي قَمِيذَةٍ أُخْرَى يَحِثُّ النَّاسُ أَيْفَا عَلَى اسْتِعَادَةِ تِلْكَ
 الْمَدِينَةِ الْمَغْصُوبَةِ سَالِكَا نَفْسِ الْمَمْلُوكِ السَّابِقِ فَنَادَى الْمَلُوكُ
 وَالزُّعَمَاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُلُوكَانَ التُّرْكِي ، وَجِيشُهُ الْمُرَابِطُ فِي
 الْجَزَائِرِ مُحْرَقًا إِيَّاهُمْ جُنُودًا وَقَادَةً أَنْ يَخُونُوا لَجْجَ الْبَحْرِ
 حِفَاطًا لِدِينِ اللَّهِ ، وَإِنْ قَادَا لِبَنَاتِ الْعَرَبِ الْإِبْكَارِ مِنْ أَنْ
 تَنْتَهَكَ أَمْرَاهُمِنْ مِنْ قَبْلِ الظَّالِمِينَ .
 وَفِي اسْتِغْنَاهُم لِلاتِّرَاكِ يَذْكُرُهُمْ بِبَطُولَاتِ أَجْدَادِهِمْ فِي
 "الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ" .

وَمَنْ مُبْلَغٌ عَلَى مَلُوكِ الْأَقَالِمِ
 وَكُلُّ رَئِيسٍ مِنْ رُؤُوسِ الْعِمَائِمِ
 وَكُلُّ مُمَامٍ مَائِلٍ فِي حِمَائِلِ
 عَلَى مَخْنِ جَارٍ سَابِقٍ فِي الْعَزَائِمِ

(١) حرب الثلاثمائة عام ص ١١٧-١١٨ .

وكَلَّ زَعِيمٍ مُّوَلَّعٍ بِخَمْرِهِ
بَصِيدِ الْفَوَارِي مِنْ فُحُولِ الْقَرَاغِمِ
وَسُلْطَانَهَا الْحَرَكِيَّ فِي دَارِ مُلْكِهِ
وَبَيْتِ عِلَاحٍ فِي دَهْلَةِ الطَّهَاطِمِ
وَجُنْدُ بَنِي عَثْمَانَ فِي كُلِّ قَائِدٍ
جَيُوشُ كَمْوُجِ الْبَحْرِ عِنْدَ التَّلَاطِمِ
يَرِيدُونَ وَهْرَانَهُ مَا سَبَقَ الْقَضَا
بِتَنْفِيدِهِ لِلْوَقْتِ فِي جَفْنِ عَالَمِ
يَخْوضُونَ لُجَّاً فِي سَفَانِ رَاحِشٍ
حَفَاطَةً لِدِينِ اللَّهِ عِزُّ الْمَزَانِمِ
وَحِرْزَ بَنَاتِ الْعُرْبِ مِنْ كُلِّ قَاتِلٍ
بَابِكَارِهَا كَالْحَوَرِ فِي قَصْرِ ظَالِمِ
فَمَا لِبَنِي عَثْمَانَ فِي سِنَةِ الْكُرَى
وَوَهْرَانَ تَزْهَوُ نَخْوَةً بِالْمَرَاغِمِ
وَيَا مَعْشَرَ الْأَتْرَافِ مَا بَالُ سَعْيِكُمْ
وَكَلْكُمُ أَعْمَالُهُ بِالْخَوَاطِمِ
السُّتَمِ اخْدَتُمْ دَارَ مُلْكِكُمْ الْحَيِ
مِنْ أَشْرَاطِهَا وَهَذِهِ فِي الْعِلَاقِمِ
وَقَدْ ظَفَرَ الْمَرْحُومُ جُدُكُمُ السَّامِي
قُرُونِ الثَّرِيَا عَنُوءَ وَالنَّمَاثِمِ
وَدَانَتْ لَهُ الْبِلْدَانُ حَتَّى عِرَاقُهَا
إِلَى يَمِينٍ وَلَمْ يَخَفْ لَوْمْ لَائِمِ
وَفِي مَغْرِبِ الْبَدْرَيْنِ نَشْرُ بَنُودِهِ
وَأَعْجَزَكُمْ وَهْرَانُ مِنْ مُسْتَفَالِمِ
بَنِي الْأَسَدِ الْعَمَّارِ مَا الدُّلُّ شَانِكُمْ
وَلَا حَظُّكُمْ مِنْ دَاهِمٍ مُتَفَاقِمِ

عليكم سلامي ما استنارت بهديرو

(١)
قرائحُ مغرٍ بالقنا والصوارم

وكناني بالشاعر في كلا قميدتيه وقف خطيبا منذرا لقومه
فاضحى بعيدها عن الشعر ، ولم نلحظ فارقا يذكر بينهما في
الفكر والاسلوب فكان الواحدة تغنى عن الأخرى .
ويحمد له في استشارته تركيزه على القبائل ومحاولة صب
تجمعها لصالح المسلمين هناك ، وفي نفس الوقت لم يغفل دور
الاتراك لأنهم ولاية الأمر في الجزائر .

ويدعو "محمد بن عبد المؤمن" الداي "حسن الشريف باشا"
أن يجيب نداء وهران إذ هي تمرخ مستغيثة به ، لذا يطلب أن
تجيش الجيوش لغزوها ، وينبه إلى خطورة الخونة من أبناء
قبيلة "بنى عامر" وهذا يدل على دور هذه القبيلة ، وعلى
الشاعر خطرهما على المسلمين ، لأنهم لا يقلون عن العدو
الخارجي ، وأن القضاء عليهم وترويب الأوضاع معهم مدعاة
للظفر بما يراد من إحكام السيطرة على المدينة .
ثم يأمر المسلمين أن يقوموا بهبة واحدة فقد آن الأوان
لاستردادها .

كادتكَ وهرانُ قلباً ندامها

وانزل بها لاتقمدن سواها

واستدع طائفة المساكين نحوها

يُغزونها ولينزلوا بغناها

مستمحبين لواءك المنصور إذ

يلقاهم الفتح المبين وجاهها

صرخت بدعوتك العليّة فاستجب

لندائها وتكلمن منهاها

حاشاك أن تَفْنَى حَاشَاتُهَا وَقَدْ
 قَصَرَتْ عَلَيْكَ نِدَاءُهَا وَرَجَاهَا
 جَرْدَ ظَبَاكَ لِمَحْوِ أَثَارِ الْعِدَى
 حَتَّى تَرَى الْإِسْلَامَ فِي مَفْغَاهَا
 وَادْعُ الْغَزَاةَ لِفُزْوَاهَا مُسْتَنْجِدًا
 وَانْعِشْ إِلَيْهَا وَانْزِلْ مَرَسَاهَا
 عَرِّجْ عَلَى أَطْلَالِهَا مَعَ فَتْيِكَ
 سَحَرًا بَعِزِّمْ لِمُنْحَتِ نَوَاهَا
 مِنْ بَعْدِ دُحُوبِ لِنَاصِرِ دِينِهِمْ
 "ابْنَاءُ عَامِرٍ" سَاءَ لَهُمْ مَرَاتُهَا
 وَانْظُرْ بِرَأْيِكَ فِيهِمْ مُسْتَرْشِدًا
 أَهْلَ النَّهْيِ فَبِرَأْيِهِمْ تُعْطَاهَا
 وَاسْتَاغِلْ الْأَثَارَ حَتَّى لَا يُرَى
 مِنْ عَامِرٍ مَنْ يُرْتَجَى نَجْوَاهَا
 إِذْ ذَاكَ تَظْفَرُ بِالنَّمَى وَتَنَالُ مَا
 تَهْوَى وَتُصْبِحُ نَازِلًا بِدَرَاهَا
 قُولُوا لَهَا يَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ قَدْ
 أَنْ الْقِيَامُ لَهَا وَحَانَ لِقَاهَا
 خَوْضُوا إِلَيْهَا بِحَرْهَا يُصْبِحُ لَكُمْ
 رَهْوًا وَجُوبُوا نَحْوَهَا بِئِذَاهَا
 فَالَانَ أَنْ الْفَتْحُ إِذْ ظَهَرَتْ بِهَا
 أَثَارُ تَنْبِيِ أَنَّهُ وَأَفَاهَا (١)

ويدعو "ابن اقوجيل" "أبا العباس أحمد داي" أن يلتفت
 إلى الجهاد ، ويجهز الجيوش برا وبحرا ، وأن يضرع نار

(١) السابق ص ٣٠١-٣٠٢ ، حرب الخلاش عام ١٢٩-١٤٠ هـ .

الحرب على الكفار .

ثم يستشرف المستقبل متفائلاً ان يرى جيشاً ذاهباً لفتح
 وهران كالسيل عدداً ، والبرق والرمح عدة ، بنادقه كالصواعق
 في تدميرها للمدوؤوخيله تنقض انقضاض الصخور من عل ،
 افراده كل مقدم خوافض للمعارك ، ثم يدعو الامير لغزو عدوه
 والتأهب لذلك ، ليشتت شمله ، وإذا ماظهر بهم فليسب
 الذراري والنساء ، وليقتل كل مقاتل ويتركهم طعماً للنسور .

ولتلتفت نحو الجهاد بقوة

والكفر اقطع امله بذكور

جفّز جيوشاً كالأسود وسرحن

تلك الجوارى فى عباب بحور

أضرم على الكفار نار الحرب لا

تقلع ولا تمهلهم بفتور

فانهض بعزمك نحوها مستنصراً

بالله فى جدّ وفى تسمير

بعساكر مثل السيول تزاومت

للمبقي تحت لوائك المنصور

او كالسحاب بروقه ورعوده

نار المكاحل أوقدت بزفير

تلقى على الكفار منها مواعقاً

محفوظة برماحها المسطور

وسوابق كُنت وشهدت أضرمست

عند اللقاء تنقض وقع مخور

من كل مقدم إذا نار الوغى

حميت يخوض لهيبها بمسدور

مَا إِنْ لَهَا مِنْ رَاحِقٍ إِلَّا إِذَا
 سَفَكَ الدَّمَاءَ وَكَرَّ كُرَّ هَمُورٍ
 بَادِرٌ بِنَا نَغَزَوْا الْعَدُوَّ وَسَارِعَيْنِ
 فِي حَسْمِ شَوْكَتِهِمْ وَفِي التَّدْمِيرِ
 وَأَمَّرَ جِيوشَكَ بِالتَّاهِبِ لِلْعَدَى
 وَالْحَزْمِ حَرْضِ عَزَمَتِهِمْ لِلْفَيْرِ
 أَقْصَدَ بِلَادَ الْكُفْرِ شَتَّتَ شَمَلَهَا
 خَرَّبَ بِهَا مَا كَانَ مِنْ مَعْمُورٍ
 مَرَّقَهُمْ أَيْدَى سَبَا حَتَّى يَكْرُوا
 قَدْ حِيلَ بَيْنَ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِ
 وَاسِطِ الذَّرَارَى وَالْحَرِيمِ وَعَجَّلَنَ
 لِلنَّارِ كُلِّ مِقَاتِلٍ بِفُجُورٍ
 اقْتَنَعَهُمْ قِتْلًا ذَرِيعًا وَاحْتَرَكَنَ
 (١) أَشْلَاءَهُمْ نَحْنًا لِيُطْفِئَ نُسُورُ

ويختلف "محمد بن يوسف" بعقد راية الجهاد لاسترداد
 وهران، ويتمور الجيش، فالمؤمل أن يكون من كل فرغام حذق
 الحرب وجربها، يحزن العدو من رؤياه، النصر حليفه إلى
 كان.

في عسكري من حزبه ذي نجدة في المعطلات بهم يعز ويهتدي
 من كل فرغام بمير بالوغي وجه العدو إذا رآه توجدا
 والنصر مكتوب على أياهم نصر من الله الكريم على العدى (٢)
 ويصف "أبو عبد الله محمد حفيد المهدي الجزائري"
 الجيش الإسلامي المجاهد بأنه امتطى ظهور الخيل، وثقلد

(١) التحفة ص ٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) نفسه ص ١٧٩ .

السيوف ، إيذانا ببيع النفوس خالصة لله ، وعندما حمل على العدو أضحى ما بين قتل يشحط في دمه ، وأسير مكبل بالانلال وإلى الإبطال أن يدكوا حصون عدوهم بكل وسيلة ممكنة ، حتى تم النصر للمسلمين ، وما النصر إلا من عند الله الذي قال :
(١)
{وكان حقا علينا نصر المؤمنين} .

وفرت البقية الباقية هائلة ، وتاهت المدينة فرحا بعودتها لحوزة الإسلام .

وَتَاهَبَتْ فُرْسَانُنَا لِقَتَالِهِمْ
وَالْخَيْلُ حَرْفُلٌ بِالسُّرُوجِ وَتَمَهَّلُ
ثُمَّ امْتَحَطُوا لظُهُورِهَا وَتَقَلَّدُوا
بِكَوَاكِبِ الْأَسْيَافِ مِمَّا يُحْمَلُ
مِنْ كُلِّ هِنْدٍ كَانَ وَقُوعُهُ
نَجْمٌ أَهَارَ عَلَى الْأَبَالِيسِ مُشَقَّلُ
بَاعُوا النُّفُوسَ بَجَنَّةٍ مِنْ رَبِّهِمْ
أَكْرَمَ بِهِ بَيْعًا وَرَبْحًا يَحْمَلُ
وَتَمَادَقَتْ حَمَلَاتُهُمْ فَكَانَتْهُمْ
عِقْبَانُ جَوْءٍ بِالطَّرَائِدِ أَقْبَلُوا
مِنْ بَيْنِ ذِي قَتْلِ يُشَحِّطُ فِي الدِّمَاءِ
بَطْشًا وَذِي اسْرِ بِمِ يُحْمَلُ
وَتَعَلَّقَتْ أَبْطَالُنَا بِحِمَائِهِمْ
كَيْدَى نَعْمَ حَرْبًا أَمَرَ وَأَهْوَلُ
وَالْمَشْرِفِيَّةُ لِلرُّقَابِ قَوَاطِعُ
وَمِنْ الْبَنَادِقِ فِي الصُّدُورِ تَوَغَّلُ

ولاهل حزب الله تَمَّتْ مَوَلَةٌ
 وَبِعِزَّتِهِمْ رَبِّ السَّمَا مُتَكَفَّلٌ
 حَتَّى إِذَا مَا نُفِذَ الْمَقْدُورُ فِي
 حِزْبِ الشَّقَاءِ عَلَى الْعَزِيمَةِ مَوَّلُوا
 وَلَوَّاعِلًا لِلْأَدْبَارِ يَحْطِمُ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا كَأَنَّهُمُ الْقَطِيعُ الْمُفْعَلُ
 وَتَهَاقَّتْ أَبْطَالُنَا بِعَزِيمَةٍ
 نَحْوَ الْمَدِينَةِ وَاسْتَبَانَ الْمَدْخَلُ
 وَكَجُوا عَلَيْهَا كَالْمَقُورِ نَجَابَةٌ
 وَالْكَافِرُونَ بِكَفَرِهِمْ قَدْ أَبْغَسُوا
 فَتَمَلَّكُوهَا مُنَوَّةً وَزَهَتْ بِهِمْ
 فَرَحًا وَعَادَلَهَا الزَّمَانُ الْأَوَّلُ
 هَذَا بِفِعْلِ اللَّهِ نَرْجُو عَاجِلًا
 (١) وَاللَّهُ يَكْفِي مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ

وارى أن هذه القصيدة أقوى سبكا من القصائد السابقة
 مع ملاحظة إقوائه في قوله "تبدي لهم حربا أمر واهول" ، وهو
 مثل سابقه كان متفائلا بالظفر قبل وقوعه ، واستمد الفاظه
 من ثقافته القرآنية نحو قوله : "نجم أغار على أبالس مشعل"
 "باعوا النفوس" ، "ولاهل حزب الله" .
 والغال من سيما الشخصية المملمة ، والشعراء كانوا
 متفائلين كما سبق - وكما سيأتى - استنادا إلى إيمانهم
 القوى بحقوقهم ، وواجب الجهاد لرد العدو بعد أن دهمهم في
 أرضهم ، وذلك بعد امتلاكهم القوة التي هي مقوم من مقومات
 النصر بعد الاعتماد على الله .

(١) السابق ص ٢٨٨-٢٨٩ ، حرب الثلاثمائة عام ص ٤٤١ ، مع
 اختلاف في بعض اللفاظ .

على أن الغال في هذه الآونة واطفاره أمام القائد
وجنده وعرضه بهذا الزخم الإعلامي يعتبر عاملا قويا لتحميم
الجيش للولوج في المعركة ، لذا وجد الغال بالنصر عند بعض
الشعراء إضافة إلى ما سبق وذلك نحو قول "أبي عبد الله محمد
المستغانمي" : إن وهران فتحت أبوابها ، وجيش العدو بها
أضحى هائما كالحر ، إذ دب الرعب في قلوبهم ، وأمطرت
السماء عليهم شحبا وحجارة ، ويزجي البشارة للجيش الفاتح
بالفوز بإحدى الحسينيين النصر أو الشهادة .

أبوابُ وهران قد أَلْقَتْ قَلْبَهُمَا
وقد غدا جيشهما كهائم الحمر
وَأَدْخَلَ الرُّعْبُ فِي قَلْبِ الْعُدَاةِ وَقْدَ
من السَّامِ مُطَرُوا بِالشَّهْبِ وَالْحَجَرِ
يا جيشنا فأبشروا بالحسينيين لكم
أَجْنَةُ الْخُلْدِ أَوْ فَتْحًا هَنِيئًا مَرَى (١)

وينتظم هذا الشاعر النصر الذين أشار إليهم الباحث
صدر هذا الفصل ، فهذا شعر ركيك ، بادئ الضعف ، سقيم
التركيب ، معطل الوزن في مواقع كثيرة ، وأعود فأكرر أن
قيمة هذا الشعر تتجلى في أنه وثيقة تاريخية ؛ تدل على
المعان والمهانة والضعف الذي نزل بالمسلمين في هذا العصر
ولذلك نَمَّ الشعر عن المستوى الذي أحاط بهم ، فلما تحركت
الهمم بحركة الأحداث ، واستعادت تدريجيا شيئا من اليقظة
طفقت تهب على الشعر من ذلك ريح القوة رويدا رويدا . ليس
الشعر مرآة العصر قوة وضعفا ، وجمالا وقبحا ؟!

ويتطلع "أبو عبد الله محمد حفيد المهدي" إلى اليوم
الذي تعود فيه تلك المدينة إلى رحاب الإسلام ، وينصر دين
الله بعد خذلان الكفرة ، وتصبح «هران» دار إقامة للملوات
والذكر وحلق العلم .

وَرَجَعْتُ لِلْإِسْلَامِ رَجْعَةً مُشْفِقٍ
لِلَّذِينَ بَنَصُرُ وَالْكَوَاكِبِ تَخْذُلُ

حتى نرى وهران دار إقامة الص
لوات يسبقها الأذان المكمّل
ونرى بها القرآن يفسو درسه
والعلم حل بها فنعم المنزل
ويبوء عباده المليب بحسرة

لديار كفرهم الشنيع تزلزل
والخيّل تمرج في جوانب أرفهم
طَوْرًا وَطَوْرًا بِالْأَسَارَى تَقِفُلُ (١)

ويبلغ التفاؤل "بابن آقوجيل" مبلغه ، إذ يدعو "إلداي
أحمد باشا" إلى مايفعله بعد .

فَإِذَا فَتَحْتَ وَقَدْ ظَفِرْتَ بِبَغِيَّةٍ وَقَفَلْتُ بَعْدَ سَعْيِكَ الْمُشْكُورِ
وَقَسَمْتَ شَمَّ مَغَانِمًا حِلًّا وَقَدْ سِيقَ الْكُرَاعُ بِمَالِهَا الْمَوْفُورِ
فَارَعَ الرَّمِيَّةَ خَيْرَ رَاعٍ سُسَمِّ بِسِيَاسَةٍ مِنْ عَدِيكَ الْمَنْشُورِ
شَاوَرُ ذَوِي عِلْمٍ وَدِينٍ نَاصِحٍ وَدَعِ الْجَوَاةَ وَكُلَّ ذِي تَزْوِيرِ (٢)

والباحث يعجب من أن يفتخى الشاعر العربي في المغرب
إلى هذه اللكنة والفهاهة حتى أنه لا يكاد يستطيع الإعراب عما
يخالجه ، فيم التمسك بالشعر إذن إذا كان لا يستطيع أن يقيمه

(١) السابق ص ٢٨٧ ، حرب الثلاثمائة عام ص ٤٤١ .

(٢) التحفة ص ٢٠٨ .

أهـى المجاراة . ، والتمسك بتلابيب الشعر لأنه من أمة شاعرة ؟
والشاعر على كل حال يحض الوالى بعد الظفر بالعدو ،
على أن يعدل فى قسمة المغنم ، وأن يسوس الرعية بالعدل
أيضا ، وأن يقيم ملكه على الشورى ، لأن الاستبداد بالراى
لأريب يفضى إلى الفتنة .

وبعد أن استخلص المسلمون "وهران" من براثن المحتلين
سجل هذا النصر من الشعراء فرحتهم على لوح التاريخ .
فيهنىء "محمد بن عبد الرحمن المغربى" مدينة "وهران"
من يد العدو ، فاضحت منارة شكر لله ، بعد أن كانت معقلا
للشرك ، ومقاما للتوحيد بعد التخليث ، وأدانا وذكرنا لله
بعد دق النواقيس .

وإنقاذ من الأسر الشديد
بمنعك من يد الكفر العنيد
فعدّ مقام شكر للحميد
يقرر فيك توحيد المجيد
بآذان وذكر من مجيد (١)
وقل لوهران يهنىء افتكاك
لك البشرى وللإسلام أخرى
تذكره حيث كنت مناجى
وكنت مقام تخليث فامحى
وبدلت النواقيس فى الزوايا

ويذكر "محمد بن يوسف" عودة تلك المدينة لحوزة الإسلام
وكيف أضحت مأذنها مدوية بالتهليل والحيعة ، وانتشرت
قراءة القرآن فى أرجائها ، وخرجت الكروب بعد أن أصبح دين
الله بها .

كانت ومارت ربحها تارج
وبها يهلل تارة ويهزج
عادت إلى الإسلام داراً مثلما
أضى مؤذنها يحيعل تارة

وقراءة القرآن في أرجائها منها نتائج الاستقامة تنتج
والدين أصبح قيما وكفى بها من نعمة عنا الكروب تفرج (١)
وظاهر أن الشعراء قد اتفقوا في وصف ما حدث "الوهران"
مما يدل على حقيقة ذلك ، ولكنه ينم من جهة أخرى على ضعف
في القدرات الشعرية لديهم لعدم تمييز شاعر عن "آخر" .

وصف المعركة :

ما إن ذهبت الجيوش الإسلامية لاستعادة "وهران" وبدأت
تتساقط حصونها أمام ضربات الجند حتى تم الاستيلاء على
المدينة ، ورافق الشعر زحف أولئك المجاهدين وأشاد بهم ،
وصور دورهم في المعارك ، وهزيمة خصومهم الأسبان وكان أحد
أفراد المجاهدين "أبو عبد الله محمد بن يوسف" ، فنظم
قصيدة في ذلك الحديث العظيم باعتباره شاهد عيان ، وصف
فيها الجيش وقوته ، وقائده الهمام "أوزن حسن" ، إذ ما إن
وصلوا إلى "وهران" حتى بدأوا بحماها ، ورمتها المدافع
بكل قواها ، وأذاقوا العدو مرارة الموت ، وتوالى سقوط
حمولهم وباءوا بالهوان والخذلان ، وجندلوا في ميدان
المعركة ، وأتى الناجون ليكون حظهم العاثر .

جَمَزَتْ حَقًّا لِلْجَمَادِ عَمَّا كَرًّا
كَرَّبُ الْوَرَى بِقُدُومِهِمْ يُتَفَرِّجُ
مِنْ كُلِّ فِرْغَامٍ بِمَيْسِرٍ بِالْوَغَى
نَارُ الْحُرُوبِ بِعِزِّهِمْ تَحَاجُّجُ
كَمْ قَاتَلُوا الْأَبْطَالَ يَوْمَ الْمُلْحَقَى
حَتَّى مَحَوْا دَاجِيَ الْفَلَالِ وَقَرَّجُوا

(١) السابق ص ٤٤١-٤٤٢ ،

حَيَّاهُمْ الْمَوْلَى بِخَصْرِ عُنْدَمَا
 رَكِبُوا الْمَطَايَا لِلْجِهَادِ وَأَسْرَجُوا
 حَسَنَ خَلِيفَتِكَ الْعُمَامُ يَقُودُهُمْ
 وَالْعَيْسُ مَا بَيْنَ الْأَكَامِ تَفْجَعُ
 حَتَّى أَتَوْا حَقًّا لَوْهَرَانَ التِّي
 أَمْوَاجُ بَحْرِ ظِلَالِهِمْ تَتَمَوَّجُ
 نَزَلُوا بِهَا وَبَحْيَهَا قَدْ خَيَّمُوا
 وَالْخَيْلُ تَسْعَى وَالْجِيَادُ تُخْزِلُ
 قَدْ حَاصَرُوا أَهْلَ الْفُلَالِ لِيَالِيَا
 فِيهَا وَالْأَسْنَةُ الْعُدَى تَتَلَجُّ
 فَرَّتْ جِيُوشُ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُمْ
 لَمَّا رَأَوْا بَرْقَ الْعُدَى يَحْتَسِرُّ
 وَرَمَاهُمْ أَهْلُ الْعُدَى بِمَوَاقِ
 فَتَخَرَّمُوا فِيهَا وَمِنْهَا أُخْرِجُوا
 وَسَقَوْهُمْ كَأْسَ الْمَنَآيَا وَالرَّدى
 كَأْسًا بِهَا سُمُّ الْأَرَاقِمِ يُمَزَّجُ
 فَاسْتَفْتَحُوا مِنْهَا الْحُمُونُ بِعِزِّهِمْ
 وَمِنْ الْمَدِينَةِ لِلْحُمُونِ عَرَّجُوا
 دَارَتْ عَلَى أَهْلِ الْفُلَالِ دَوَائِرُ
 شَتَّى وَهُمْ قَطُّ لَا يَتَفَرَّجُ
 ضَرَبَتْ بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ رِقَابَهُمْ
 وَالرُّمَحُ فِيهِمْ وَالْأَسْنَةُ تُؤَلَّجُ
 جَعَلُوا لَنَا قَيْنًا وَرَدُّوا كَيْدَهُمْ
 وَاللَّهُ شَتَّتَ شُملَهُمْ فَتَدَحَّرَجُوا
 بِالذِّلِّ بَاءُوا وَالْهَزِيمَةُ عُنْدَمَا
 حَمَى الْوُطَيْسُ وَنَارُهُ تَتَأَجَّجُ

لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ الْخَلْقِ مُشْرِكٌ
إِلَّا أَتَى مِمَّا أَصَابَهُ يَنْشَجُ
قَدْ جَدَلُوا طَعْنًا وَضَرْبًا إِذْ جَثُّوا
يَوْمَ اللَّقَاءِ صَحِيحُهُمُ وَالْمُخْرَجُ (١)

وميزة القصيدة أن قائلها عاش المعركة بنفسه ، فصور لنا مآزاه ، ولكن لشح موهبته وعدم تمكنه من اللغة اتت تراكيبه واخيلته متهاففة ، ومع ذلك فالتسلسل الموضوعى داخل القصيدة متناسق إلى حد ما ، وانتقاله من حدث إلى حدث أت بعده ، وتصوير حركة الجيش أولا بأول مما يحمد له .
ويثنى "محمد عبد الرحمن المغربى" على الجيش لإنقاذه "وهران" فلقد دب العرب فى جنود العدو فولوا هاربين متخذين الليل ستارا ، واتجهوا صوب "مرسى الثغر" ظنا منهم أنه سيحميهم ، وأنى يكون ذلك وقد أحاطت بهم النيران برا وبحرا وتساقطت حمونهم ، وهدمت معقلهم ، وإن حاولوا الفرار فإننا سنتعقبهم إلى ذهبوا .

جَزَى جَيْشَ الْجَزَائِرِ كُلَّ خَيْرٍ
إِلَهُ الْخَلْقِ ذُو الْمُلْكِ الْعَتِيدِ
هَمْ الْمُسْتَنْقِذُوكَ وَقَدْ أَحَاطَتْ
بِكَ الْأَعْدَاءُ تَطْمَعُ فِي الْمَزِيدِ
وَمَا أَنْتَ الْمَجَارُ فَلَسْتَ تَخْشَى
عِدَاةَ الدِّينِ إِخْوَانَ الْقُرُودِ
فَقَدْ ذَهَبُوا وَمَا يَرْجُونَ عَوْدًا
إِلَيْكَ فَعَشَّ هَنِيئًا فِي خُلُودِ

(١) التحفة ص ٢٤٠-٢٤٢ ، حرب الخلاش عام ص ٤٦٧ .

وكَيْفَ وَقَدْ غَدَوْا وَالرَّعْبُ يَجْرِي
بِهِمْ بَيْنَ الطَّرِيدَةِ وَالطَّرِيدِ
وَلَوْ لَا اللَّيْلُ جَنَّهُمْ لَاضْحَكُوا
نَهَاراً فِي مَغْلُفَةِ الْقِيُودِ
وَلَوْ لَا أَنَّهُمْ شَرَدُوا بَلِيلِ
لَكَانَ الْقَتْلُ أَجْدَرَ بِالشَّرِيدِ
وَقَدْ ظَنُّوا بِأَنَّ لَهُمْ نَجَاةً
بِمَرَمَى الشَّخْرِ مِنْ بَعْدِ الشُّرُودِ
وَهِيَئَاتِ النِّجَاةُ لِمَنْ احَاطَتْ
بِهِ نَارٌ وَبَحْرٌ فِي صَعِيدِ
وَلَوْ أَغْنَى التَّحَمُّنُ عَنْ قَتِيلِ
وَحَالَ السُّورُ مِنْ قَدَرِ الْمُرِيدِ
كَمَا فَتَحَتْ بِرُوحِهِمْ وَمَدَّتْ
مَعَاقِلُهُمْ بِمَاعِقَةِ الرَّعُودِ
وَلَوْ عَقَلُوا لَمَا جَاءُوا لِشَيْءٍ
سِوَى دِينِ التَّحِيَّةِ وَالسُّجُودِ
وَإِنْ لَمْ يَسْجُدُوا لِلَّهِ طَوْعاً
لَقَدْ سَجَدُوا بِمَمْلَكَةِ الْهَلُودِ
وَإِنْ فُرُّوا سَتَدْرِكُهُمْ قَرِيباً
بِأَنْدَالِمْ جَنُودٌ مِنْ أَسُودِ
أَسُودٌ غَابَهَا السَّمَرُ الْعَوَالِي
وَمُورِدُهَا دِمَاءُ ذَوِي الْجُحُودِ
إِذَا غَرَسُوا الرِّمَاحَ جَنَوْا سَرِيعاً
شِمَارَ الْخَصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ (١)

(١) السابق ص ٢٦٠-٢٦١، ٤٦٦.

(١) وينشد "عبد الرحمن الجامعي" قصيدة اشاد فيها ببطولة الجيش ، فيه عز الإسلام لأن الجهاد شغله الشاغل ، خرب قلاع الصليب ، واسترد الثغور من يده ، وأبدل الله بهم اليسر بعد العسر .

سلامٌ على الجندِ المؤيَّدِ بالنَّصرِ
فَسَرَّاهُمْ خَلَقَ اللّهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
جِيوشُ بِهَا إِسْلَامٌ مَّزَّ مَنَالُهُ
فَأَصْبَحَ دِينَ اللّهِ مُبْتَسِمَ الثَّغْرِ
فَمَا شَغَلَهُمْ إِلَّا الْجِهَادُ جَزَاهُمْ
إِلَهُ الْوَرَى خَيْرًا يَفُوقُ عَلَى الْحَصْرِ
هُمْ مَنَعُوا إِسْلَامَ مِنْ كُلِّ صَائِلٍ
هُمْ قَصَمُوا الْأَعْدَاءَ بِالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ
هُمْ خَرَبُوا دَارَ الصَّلِيبِ وَمَزَّقُوا
لِحُومَ الْعَدَى لِلْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالْقَفْرِ
وَأَحْيَوْا رِسْمَ الدِّينِ بَعْدَ انْتِدَاسِهَا
وَعَارُوا عَلَى الدِّينِ الْقَوِيمَ مِنَ الْكُفْرِ
فَفَكُّوا شُغُورًا طَالَمَا لَعِبَتْ بِهَا
يَدُ الشَّرِكِ فِي الْإِسْرَارِ قَصْدًا وَفِي الْجَهْرِ
وَأَبْدَلَ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَأَصْبَحَتْ

دُمَى الْكُفْرِ فِي حَصْرِ وَعُسْرِ وَفِي خُسْرِ (٢)
ونلاحظ أن الأوصاف التي أطلقها على الجيش مناسبة ، وإن كان التعامل واضحاً في القصيدة برمتها بدءاً من التراكيب الجاهزة المستمدة من الذاكرة : مبتسم الثغر ، يفوق على

(١) عبد الرحمن بن عبد الله الجامعي الفاسي ، نشأ بفاس ثم رحل إلى الجزائر ، من كبار متأدبي عصره ، له شعر كثير في "التحفة" في مدح "محمد بكداش" .
انظر : التحفة المرصية .

(٢) التحفة المرصية ص ٢٨٣ ، حرب الثلاثمائة عام ص ٤٦٨ .

الحرر ، وانتهاء بالمقابلة بين عدد من اللفاظ : البر والبحر ، الأسرار والجهر ، اليسر والعسر .
وينظم "محمد أحمد الحلقاوي" ^(١) أرجوزة طويلة وصف فيها الجيش واستعداداته بآلات الحرب من مدافع وبارود ، وكيفية استجابة الناس للجهاد ، حتى طلبه العلم حفزهم داعي الجهاد فلبوا نداءه .

ثم وصف محاصرة الجيش للحمون ، ونصبهم المدافع حولها وأرسلوا منها صواعق على العدو ، حتى تناثرت قلامه ، وتبعوه في تحصيناته من مكان إلى آخر ، حتى تم الاستيلاء على المدينة وطرد الأسبان منها .

فَجَهَّزَ جَيْشًا حَمَى الدِّينَ فَسَادَ	إِذْ طَفَرَتْ بِهِ بَقَاعٌ مِنْ فَسَادِ
فَنَهَبُوا لِلَّهِ حَزْمًا وَأَعَدَّ	مَعَهُمْ آلَاتُ حَرْبٍ لَا تُعَدُّ
مِنْ نَحْوِ بَارُودٍ وَكَمْ مِنْ مَدْفِعٍ	وَمُنْجَنِيْقٍ مَالَهُ مِنْ مَدْفِعٍ
مُؤَمَّرٌ صِهْرُهُ "أَوْزَنَ حَمْنًا"	قَرْمًا رَغَى فَسَارَ سِيرًا حَسَنًا
وَالْحَازِمَ الْعَارِفَ "بِأَيِّ مُطْفِئٍ"	وَهُوَ مِنَ الْأَقْيَالِ "فَاقٍ" مُطْفِئٍ
كُمْتُ نَادَى بِالْجَهَانِ فِي الْأَفَاقِ	فَاعَزَّمُ الْحَازِمَ وَالْغُلَّ أَفَاقِ
فَسَارَعَ النَّاسُ لَهُ إِذْ طَلَبَهُ	لَا سِيَّمَا جَمَاعَةٌ مِنْ طَلَبِهِ
فَنَزَلُوا الْأَوَّلَ مِنْ رَبِيعِ	النَّبَوِيَّ مُنْسَلَخِ الرَّبِيعِ
فِي عَسْكَرٍ بَيَّوْتُكَ عِنْدَ مَقَرٍّ	وَتَرَكُوا الْأَثْقَالَ فِيهِ فَمَقَرُّ
وَقَمَدُوا حَصُونَهَا مِنْ كُلِّ شَقٍّ	بَزَمْنَ تَارِيخَهُ "يَهْدُ شَقٍّ"
فَاجْمَعَ الْجَيْشَ بِذَاكَ الثَّغْرِ	جَمْعًا كُبْنِيَّانٍ رَسَى أَوْ شَغْرِ
فَحَاصَرُوا الْبِلَادَ وَالْأَبْرَاجَا	مَرَاصِدِينَ حَوْلَهَا مِنْ رَاجَا
فَفَيَّقُوا مَا كَانَ مِنْهَا وَاسْعَا	إِذْ رَامَ كُلُّ كُلٍّ حَصْنًا وَسَعَا
وَنَصَبَتْ مِنْ حَوْلِهَا مَدَافِعَ	لِلرَّمَى كُلِّ أَسَدٍ مَدَافِعَ
وَمُرْعَدَاتٍ كُورَهَا فِي الْجَوِّ	كَفَجَمٍ رَجَمَ مِنْ سَمَاءٍ يَهْوِي

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الحلقاوي ، كان مفتيًا واعظًا فقيها ، اشتهر بهذه الأرجوزة التي شرحها عبد الرحمن الجامعي . انظر : التحفة .

تَلَمَّحُ مِنْ خِلَالِهَا الْبَوَارِقُ وَوَقَّعَهَا أَمْضَى مِنَ الصَّوَاعِقِ
فَنَشَرُوا مَا نَظَّمُوا مِنْ عِقْدِهَا وَنَقَضُوا مَا ابْرَمُوا مِنْ عَقْدِهَا (١)

الحث على الجهاد واسترداد العرائش وطنجة والشوق لاستعادة سبتة والاندلس :

إن حرب الجهاد التي كرس الشعراء لها اشعارهم لم تصرف
قلوبهم عن "الاندلس"، وما زال الإحساس بجرحها غائرا يحرك
وجداناتهم ، ودموع الأسى مازالت تتدفق من مآقيهم ، برغم
خروج المسلمين منها .

لذلك انطلقت صيحات بعض الشعراء في هذه الحقبة
التاريخية للقيام بأمر الجهاد ، وحث الشعب المغربي
لاستعادة تلك البلاد المسلوقة .

فهذا "اليوسى" (٢) يرغب في الجهاد ، ويمتدح كل مقاتل في
سبيل الله مجاهد لأعدائه همه اعزاز دينه ، امثالاً لأمره
سبحانه ، راجياً شوابه ، ثم يصور يقظة ذلك المجاهد ودوره ،
فهو يغضب لله ، تراه كالأسد المصور في الحرب ، غادياً على
جواده كالسرحان في سرعتة وهجومه ، وفي حالة الرمي تخاله
هزيراً ذا ثدا من أشباله ، وأحياناً يحرض المؤمنين ويراقب
عدوهم .

ثم يرغب في الجهاد ، ويدعو إلى قتال عباد المليب ،
ويحث الناس على السير مثلياً سار الأوائل في جهادهم للكفار

(١) التحفة ص ٢٥٢-٢٥٤ ، وانظرها هنا بتمامها .
(٢) أبو علي الحسن بن مسعود بن علي اليوسى ، ولد سنة
١٠٤٠هـ ، جال بلاد المغرب عالماً ومثعلماً ، وزار مصر
والحجاز ، له مؤلفات منها : المحاضرات في الأدب
واللغة ، وديوان شعر ، توفي سنة ١١٠٢هـ .
انظر : مقدمة المحاضرات ، الأدب المغربي .

وينطلق صوته منادياً سلاة الاندلسيين النازحين مستفهما
والحسرة تملأ فؤاده "الم تستخرجوا من ارضكم ؟
فهلا اجتمعتم لقتال العدو مثل اجتماعه عليكم ؟ ولا يخفى
ما فى هذا من دعوة معاصريه إلى نبذ الفرقة ، ومالها من
عواقب وخيمة ، ثم إن تأكيدهم بانهم احفاد الاندلسيين ادعى
لجيشان النفس واستشارتها لدرء الخطر الداهم ، واسترداد
الارض المتغلب عليها .

طوبى لعبداً خاشعاً يَهْتَلِبُ
فى طاعة المولى وفيها يَدَّابُ
وَيُجَاهِدُ الْكُفَّارَ لِمُسْتَجْلِبِ
فَخَرّاً وَلَا اِمْطَامِعٍ يَطْلُبُ
بَلْ يَبْتَغِىْ اِعْزَازَ دِينِ مُحَمَّدٍ
خَيْرُ الْوَرَى الْعَادِىِ الشَّفِيعُ الْاَقْرَبُ
وَيَقُومُ مِمْتَحِلاً لِأَمْرِ اللَّهِ فِى
أَمْرِ الْجِهَادِ وَفِى رِفَاهِ يَرْغُبُ
وَتَوَابِهِ يَرْجُو وَنَيْلُ شَهَادَةٍ
يَعْلُو بِهَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَيُقْرَبُ
فَيَكُونُ اَغْنَبَ مَا يَكُونُ إِذَا لُقِىَ
وَأَشَدَّ مَا يُلْقَى إِذَا مَا يَغْنَبُ
وَتَرَاهُ كَالْأَمِيرِ الْمُمُورِ إِذَا اَلْتَمَتَتْ
حَرْبٌ يَمْوُلُ عَلَى الْعِدَاةِ وَيَجْدُبُ
يَغْدُو بِهِ طَوْرًا جَوَادٌ سَابِحٌ
فِى الْخَيْلِ كَالسَّرْحَانِ حِينَ يُقْرَبُ
وَتَرَاهُ طَوْرًا فِى الرِّمَاطَةِ كَأَنَّهُ
مَنْ دُونَ أَشْيَالِ هَزْبُرٍ مُحْرَبُ

وتراءُ أحياناً بأعلى مرقب
للمؤمنين يحوطهم أو يرقب
إنَّ الجهادَ لخملةٌ محمودةٌ
ففي لربِّنا منمبها لعمري منمب
فهو الجديرُ بأن يرامُ سبيله
وأجل مايدعى إليه ويندب
وأجل ما بذلت نفوسُ ذوى العلا
فيه وأولى ما إليه تتعب
يأمة المختار أحمد شـروا
لقتال من هو بالنبي مكذب
لقتال عبادة الصليب وعصبة
عن كل خيرهم قديماً غيب
وأجروا كما جرت الأوائل منكم
أهل البماثر والليوث الغيب
يا أهل الدلس ألم تستخرجوا
من أرفكم ودياركم أوتنكبوا
هلا انتمرتم مثلما انتمر العدى
هلا تحزبتم غداة تحزبوا
هلا جعلتكم فى نحورهم القنا
ودعوتم رب العباد لتغلبوا
أين الشجاعة والحفاظ وانتهم
عرب وللعرب الحفاظ تنسب (١)

ولاشك أن الفكرة التى بنى عليها الشاعر قصيدته تعتبر
قيمة وذات غايات بعيدة ، إلا أنه لم يملك القدرة الشعرية

(١) الأدب المغربى ص ٤٣١ ، . . .

التي تصل إلى مستوى الفكرة إذ كان أقرب إلى الوعظ في تناوله لها .

وتعداده لدور المجاهد وتتبعه لوظيفته في المعركة يعد أمرا حسنا في حد ذاته ، ولو انتهى على تلك الصورة من مخيلته لكان أولى من تلك السطحية ، ثم إنه كرر لفظة "يقرب" مرتين ومشتقها "الأقرب" في ثنايا القصيدة ورغم عدم طولها مما يدل على ضحالة ملكته اللغوية .

وإدوات الاستفهام في آخر القصيدة تعد ميدانا لإطلاق خياله في الأسباب التي أدت إلى سقوط الأندلس وضياعها ، وكذا الدعوة إلى استعادتها ، ولكنه ابتسر القضية .

والشاعر بقصيدته في هذا الوقت يضرب في عمق التاريخ إذ تستعيد الذاكرة دور العالم المجاهد "عبد الله بن المبارك" في قصيدته المشهورة في فضل الجهاد ، والتي جاءت قصيدة شاعرنا حاذية حذوها وزنا ومعنى .^(١)

والخيل في قوله :

يغدو به طورا جوادا سابحا

الخيل كالسرحان حين يقرب

هي قريبة من صورة خيل امرئ القيس في قوله :

له أيتلا ظبي وساقا نعامة

(٢)

وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

(٣)

ونلقى "ابن زاكور" يستحث الشعب على الجهاد ويشكو

(١) انظر : ديوان الامام عبد الله بن المبارك ص ٤٠ ، ط/دار الوفاء للطباعة ، جمع د. مجاهد مصطفى بهجت .
(٢) أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن أحمد بن زاكور الفاسي ، ولد سنة ١٠٧٦هـ ، من كبار أدباء عصره تخرج على يديه كثير من المتأدبين ، له مؤلفات مخطوطة منها : عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة ، وديوان شعر "الروض الأريض" وغيرهما .
انظر : الادب المغربي .

ما حل بالاندلس "وسبحة" من الثمارى ، ويهيب بالمسلمين أن
 يغاروا على دينهم ، ويطهروا أرضهم من دنس الشرك .
 والبحر ممّا المّفا أبدى ضائره
 والبرح ممّا علا يكشف ما خلفه
 ولاحت الشمّ من اطوار اندلس
 تشكو ذراها الثّمارى وهى فى لطفه
 وقد بدت سبحة "منه" منادية
 يا اهل دين الهدى هل عندكم عطفه
 هل عزمة "تذر" المّليب مذكراً
 حتّى يظل الرّشاد لامحاً عطفه
 هل غيرة "تقتضى" ظهري من
 (١) الشرك بمطلق دين الملة الصّرفه
 وعبارة الشاعر لا تخلو من تعقيد يبهّم المعنى الذى فى
 نفسه مما يدل على عيه وضعف ملكته ، مع إخلال بالوزن .
 ولما استرجع المغرب مدينة "طنجة" من يد الإنجليز عام
 ١٠٩٥هـ فرح هذا الشاعر لذلك الحدث ، وقال إن الإسلام . علا لما
 تنفع الكفر ونادى منادى المسلمين بعودة تلك المدينة ، ثم
 يصف قوة الجيش وهمته ورغبته فى الحرب ، ورهبة العدو منه .
 سمّت ملّة الإسلام لمّا تفعّعت
 معاقل كفر بالصّواعق والسّجاج
 وجاشت جيوش من اباطح طنجة
 ونادى منادى الجيش حيّ على الفلاح
 لقد أصبح الإسلام باليمن مسفراً
 بقوم حماة بل كفاة لدى الكفاح

لهم همةٌ في الضرب والطعن بالقنا
لهم رغبةٌ في الحرب إن قعقع السلاح
لهم رهبةٌ في الحرب والحزم دأبهم
ليوتٌ لهم فخرٌ سراةٌ لهم مباح (١)
ويسترد المسلمون مدينة "العرائش" من يد الأسبان سنة
(٢) ١١٠١هـ فيقول "الرافعي" :

إن الأسبان عندما احتلوا تلك المدينة بنوا التحصينات
حولها اتقاء لهجمات المسلمين ، ولكن لم تغن عنهم شيئاً ،
إذ مال عليها المسلمون ميلاً واحدة فولى العدو مذعوراً
حائراً من هول ما رأى .

وخذوا خدوداً بها مُعلنين	بداير العرائش قد أهدقوا
فكانت وبلاً على المجرمين	وشبوا لها النار في قعرها
فغاروا وحلوا بها مُسرعين	ومالت عليهم أسود الوغى
وخزي عراهم وهم داهشين	وإن النصارى لفي حيز
من الأمر شيئاً لدى المسلمين	فلم تغن عنهم معاقبهم
أسارى لحزب الهدى المفلحين (٣)	واعطوا نفوسهم كلهم

ويقول في ذلك "أبو محمد عبد الواحد البوعناني" :

يبدأ القميدة بتهنئة "الشريف" ، ويمدحه بذلك النمر
الذي حققه إذ حمى بيعة الإسلام بجهاده ، وتسييره السفن
للحرب ، واسترداد العرائش وقهر العدو بها فاضحوا ما بين
قتيل وجريح وأسير ، وتمر الطير والذئاب فتنتقى أطايبهم

(١) السابق ص ٤٣٠ .
(٢) لم أعثر على ترجمته .
(٣) ٤٣٠ ص . (٤) لم أعثر على ترجمته .
(٥) اسماعيل بن الشريف ولى المغرب سنة ١٠٨٢هـ ، وفرق
الملك على أولاده سنة ١١٢١هـ ، كانت بيته وبين والى
الجزائر العثماني صداقة ومودة .
انظر : الاستقصا ٢/

لحماء ، والمسلمون فى فرح ونشوة بذلك النصر :

إلا ابشر بهذا الفتح نور
 وطير السعد نادى حيث غنى
 وضوء النصر ساعده الثمانى
 وقد وافقكم الخيرات طرا
 حميتكم بيعة الإسلام لقا
 وجاهدتم وقاتلتم فانتم
 واطلعت صوارمكم نجوماً
 وفى ثغر "العرائش" قد تبدى
 ملكك قياد عزتها بذل
 قهرتهم بأبطال فخام
 فكم راس من الكفار امسى
 وكم نحر قلادته رماح⁹⁹
 وكم اسرى وكم قتلى بأرض
 تمر بها الطيور فتنتقيها
 واضحى الناس كلهم نشاوى

وواضح أن الشاعر بدأ فى موضوعه مباشرة إذ المدح هنا
 يتمل اتصالاً مباشراً بموضوع الحرب ، وعمد إلى بعض التركيبات
 المجازية المناسبة ، "طير السعد" ، "وضوء النصر" ، "ونور
 الفجر" .

والمصورة فى قوله : "وكم نحر ... " مناسبة لموضوع
 الحرب ، على أنه أخل بالوزن فى قوله "بعين الحق حرس
 الثغور" ، وأكثر من بعض الروابط بين الجمل كـ "قد" فى
 أربعة أبيات متتالية مما يشى بالضعف فى اللغة والتركيب
 الشعرية ، وتكراره "لكم" فى قوله :

وكم اسرى وكم قتلى بأرض وكم جرحى دماؤهم تغور

قلل من قيمة البيت فنيا برغم إرادة الكثير .
ويبشر أهل "سبته" بالنصر والإنقاذ ، ويردق القول
محرضا الأمير على استعادتها ، وكذا أخذها "وهران" ويستفهم
على لسانها "متى يأتى الإمام" ؟ وينادى الأمير ويحثه على
استرداد "الاندلس" ، ويطالب بجهاد العدو بها ويجب ألا تحول
الحوادث دونها ، وفى هذا إشارة إلى من يخطط العزيمة ويهول
استردادها ، ويختتم القصيدة بالدعاء للأمير لأعماله تلك .

بسيِّفِ اللَّهِ مُلْطَافٌ وَقُورُ	ألا يا أهل "سبته" قد اتاكم
تَنَادِيهِ إِذَا كَانَ الْبُكُورُ	إِذَا مَا جَاءَ "سبته" فَيَمْشِي
مَتَى يَأْتِي الْإِمَامُ مَتَى يَزُورُ	"وَوَهْرَانُ" تَنَادَى كُلُّ يَوْمٍ
وَيَلْحَقُ أَهْلَهَا مِنْهُ ثُبُورُ	مَتَى يَأْتِي وَيَفْتَحُهَا سَرِيعًا
لَأَنْدَلُسٍ فَانَتْ لَهَا الْأَمِيرُ	أَيَامُولَايَ قُمْ وَانْهَضْ وَشَمِّرْ
جَمُوعُهُمْ فَرُبُّكُمْ النَّمِيرُ	وَجَاهِدْهُمْ وَحَارِبْهُمْ وَفَرِّقْ
كَمَا قَدْ قِيلَ بُرٌّ أَوْ بَحُورُ	وَلَا يَمْنَعْ بِفِعْلِ اللَّهِ مِنْهَا
وَمَعْنَى الْحَالِ تَفَعُّهُ الْمُدُورُ	لِسَانِ الْحَالِ يُنْشِدُ كُلُّ يَوْمٍ
وَيَأْتِي الْعَزُّ وَالْمَلِكُ الْكَبِيرُ	بِقَرِطَبَةٍ تَنَالُ الْمَجْدَ طُورًا
عُبَيْدُكُمْ الْقَعِيفُ الْمُسْتَجِيرُ	أَيَامُولَايَ اسْمَاعِيلُ هَذَا
دُعَاءٌ لَا تَعْيِبُهُ الدَّهُورُ	بِنَادِيكُمْ يَنَادِيكُمْ وَيَدْعُو
وَيَارْحَمَانُ يَا نَعْمَ الْمَجِيرُ	فِيَارَبِّ الْبَرِيَّةِ يَا أَلْمَى
وَلَا تَجْعَلْ تَجَارِكُهُ تَبُورُ (١)	أَثَبَ هَذَا الْأَمِيرَ بِكُلِّ خَيْرٍ

والشاعر فى هذه المقاطع عمد إلى النداء كثيرا مع
بداية كل مقطع وهو أمر محمود لأن الموقف يستدعى ذلك ، وإن
كان بعضها ركيكا ، كما فى قوله : "فيارب البرية ... " ،
"دعاء لا تعيبه الدهور" .

واستخدم افعال الامر محتالية في الحث ولا فرق يذكر في معناها ، قم وانفض وشمر ، جاهدهم ...

ويقول في ذلك الحدث الفقيه "أبو محمد عبد السلام بن حمدون جسوس" ^(١) إن "سبحة" ، وبادهس ، وبريجة " يشكين ماحل بهن على يد العدو ، ويدعو الامير «الهاشمي» أن يقضى حقهن بعد أن طهر "طنجة والعرائش" .

ومن العار أن تظل "سبحة" أسيرة ، فلا بد من فك أسرها والثار لها .

وينبذ إلى ترك آراء المثبطين عن استردادها ، ويذكر أن الأولى سبقوا جادوا بأموالهم وأنفسهم فدانت لهم ، ويحرض على إرسال الجند ومدهم بالمؤن لإعادتها وقطع دار الكفر بها .

ويؤكد أن استئصال شافة العدو بالمغرب ، سيرفع من شأن البلاد ، ثم يختم القصيدة بالدعاء للامير أن يبقيه الله ذخرا للخلافة .

رَفَعَتْ مَنَازِلُ "سَبْحَةِ" أَقْوَالِهَا	تَشْكُو إِلَيْكُمْ بِالَّذِي قَدْ هَالَهَا
مَعَ "بَادِيَسٍ وَبَرِيْجَةٍ" فَتَعَطَّفُوا	وَتَنَبَّهُوا كَيْ تَسْمَعُوا تَسْأَلَهَا
يَا بَنَ النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ	قُلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُنَالَهَا
فَلَقَدْ قَضَيْتُمْ لِلْعَرَائِشِ حَاجَةً	مَعَ طَنْجَةٍ فَاقْبُوا الَّذِي آمَالَهَا
عَارٌّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونَ أَسِيرَةً	بِجَوَارِكُمْ وَجُنُودِكُمْ تُفْزَى لَهَا
إِنْ لَمْ تَكُونُوا آخِذِينَ بِثَارِهَا	مَنْ ذَا يَفُكُّ مِنَ الْوَشَاقِ حَبَالَهَا
لَا تَسْمَعَنَّ مِنْ جَاهِلٍ وَمُثَبِّطٍ	وَمُصْعَبٍ مِنْ جِهْلِهِ أحوالَهَا

(١) أبو محمد عبد السلام بن حمدون جسوس ، كان ورعا تقيا ، عمل قاضيا لغاس ، وامتنح في عهد المولى اسماعيل فثبت ومن أجلها نهبت داره وممتلكاته ، قتل غدرا سنة ١١٢٠هـ .

إِنَّ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا قَد جَاهَدُوا بِنَفْسِهِمْ وَبِمَالِهِمْ أَمْثَالُهَا
 فَتَمَلَّكُوا أَمْلاكَهَا وَدِيَارَهَا وَتَقَسَّمُوا أَمْوَالَهَا وَرِجَالَهَا
 فَابْعَثْ لَهَا أَهْلَ الشَّجَاعَةِ عَاجِلًا حَتَّى تَرَاهُمْ نَازِلِينَ جِيَالَهَا
 وَامْدُدْهُمْ بِمُؤْنَةٍ وَمُعُونَةٍ كَيْمَا تَقَطَّعَ بِالْعَدَى أَوْصَالَهَا
 وَارْفَعْ لِهَذَا الْغُرَبَى رَأْسًا إِنَّهُ

فِي الشَّعْرِ مَا دَامَ الْعَدَى أَنْزَالَهَا
 أَبْهَكَ رَبِّي لِلْخَلْفَةِ عُدَّةً (١) تَقْفُو الشَّرِيعَةَ مُؤَثِّرًا أَعْمَالَهَا
 وَشَعْر "ابن حمدون الفقيه" يشاكل غيره من شعر بعض
 الفقهاء الذي يعتمد فيه أصحابه سرد المعاني سرداً ، يخلو
 من الانفعال والمواظف ، ويخلو من الخيال المؤثر ، الذي
 يبعث في النفوس مشاعر حية ، ويهز أريجيتها .
 أما هذا الشعر الذي معنا فهو شعر تسجيلي وشائقي ،
 أهم أغرافه أنه حفظ التاريخ على صورة من الصور ، ورسم لنا
 ماذا كان وراء الأحداث في هذه الحقب الدامسة التي سقطت من
 كف الزمن فلم يبق بها إلا حوادث مماء ، تسرد سرداً كأنها
 سلبت روحها !

ملاقاة فرنسا في "خلق الوادي" : ٩٨١ هـ

وفي الفترة الثانية يقدم اسطول قرسنى إلى "خلق الوادي" فيهب وإلى تونس "على باشا الاول" لحربه وطرده ، فيمدحه شاعران من تونس :

(٢) أحدهما : "ابراهيم الخراط" ، إذ يبدأ قصيدته مادحا الباشا وحاضا إياه على الجهاد ، مهددا الفرنسيين ، ويذكرهم بما حصل للمليبيين السابقين في دار "ابن لقمان" ، وأن "تونس" أعدت مثلها لهم ، ويؤكد أن حلفهم قد آن ، ويشبههم في حربهم بالغراش عندما يرى النار في الليل فتكون مقبرته .

لك العلم فاعزم غازياً واحمم الكفرا
وجاهد فدين الله يهدي لك النمر
الافا خبروا جمع الفرنسيين لم يروا
لدى ملكنا إلا البواحر والسمرا
ودار ابن لقمان لديهم إنني
أعدت بممر مثلها له بالخضر
يمينا بدينى يافرنسيين ما أتى
تم "تونس" إلا استثمرتم العمر (٣)

(١) على بن حسين بن على أمير تونس ، عفى بالحديث والفقه بويج سنة ١١٧٢ هـ ، حارب الفرنسيين ، أمد السلطان "مصطفى خان" في إحدى حروبه مع روسيا ، عهد بإدارة البلاد إلى ابنه "حمود الثانى" بعد أن شاخ ، توفى سنة ١١٩٦ هـ .

انظر : الأعلام / ٤
(٢) أبو اسحاق ابراهيم بن الشيخ أحمد الخراط المفاقي ، فتن من ممدوحه "على باشا الثانى" بسبب وشاية أهل السوء ، شفع فيه أحد أمراء قاس ، توفى سنة ١٢٥١ هـ .

انظر : عنوان الأريب / ٢
(٣) يعنى أن أجلهم ينتهى بحلولهم في تونس ، لأن التونسيين سيقضون عليهم .

تهاقتم قس حراً نيران حربنا
 فكنتم قرأشاً من رأى قبره الجمراً
 إلا فابشروا معنا ظمئكم نجيعكم
 بهذا اليوم لم تلقوا به أكوساً حمراً
 يمدق فيكم قول شاعر مصرنا
 فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى
 ثم يلتفت إلى التونسيين حاشا إياهم على الجهاد في
 سبيل الله ، دفاعاً عن الدين ، ويثبه إلى خطر الفرنسيين
 الذين اتوا في غفلة الناس .
 فيا أهل الفريقية فارقوا الكرى
 وقوموا بحزم واقطعوا عنكم العذرا
 وأموا عداكم بالبدار ودافعوا
 عن الدين تطفئوا ما على كبدى الحرى
 فحقوا شفورا بالحراسة إننى
 أرى الداء يسرى غفلةً والذي أسرى (١)
 والركاسة والضعف فى الحراكيب والتمقيد فى المعانى
 جليلة فى القصيدة ولكنها تعطينا صورة عن إحساس هذا الشاعر
 بالخطر الداهم وتحذير الناس منه .
 (٢)
 وثانيهما : "خليفة بن القائد منصور" ، يهزه نفس
 الحدث فينشد قصيدة مادحا "على باشا الثانى" شادا من عزمه
 على حرب العدو ، معليا من شأنه فهو أعلى من أن يطاوله عدو
 ويؤكد ولاء البلاد له .

(١) عنوان الأريب ٥٥،٥٤/٢ ، المطبعة التونسية سنة ١٣٥١هـ -
 تأليف محمد الذيفر .
 (٢) خليفة بن القائد منصور المشرق كان أبوه واليا على
 سوسة ، ولكنه أساء معاملة أهلها فعزل ، اتجه الابن
 لطلب العلم فبرز فيه ، كان حيا سنة ١١٨٠هـ .
 انظر : عنوان الأريب ٢/

قاتل بسعدك فالمعالي تنجد
 واعزم فجدك لم يزل يتجسد
 فلائت أعلى مزة بل منعة
 من أن تجاريك العداة الحسد
 والحرب أنت مجيلها ومديرها
 والخلق تعلم والوقائع تشهد
 والامر أمرك والبلاد بأسرها
 طوع اليدين ومن عليها أعبد
 ثم يصف موقف الخيل عندما سمعت بالحرب وتوقها لها ،
 وكذا دورها في المعركة ، وإن الرماح سرت من كثر ما ارتوت
 من الدماء ، ثم يصور دور القائد وذهابه بالجيش إلى "حلق
 الوادي" ، وغبار الجيش قد حجب ضوء النهار ، إذ "البيض
 تبرق والمواقع ترعد" ، مما أدى إلى فرار العدو من ميدان
 المعركة ثم رحيلهم بعد ذلك .

سمعت خيولك بالحروب فهزها
 طرباً وباتت للصهيل تردد
 ومدلل في الحرب يلقي سارحا
 نبت الرؤوس ومن دماها مورد
 نهذا إذا استنجدته في وقعة
 أعطاك عفواً مدره ماتقصد
 والسمهرية في سرور خلتها
 سقيت طلى من كثر ماتقاود
 عودتها في الحرب تخرج أكوساً
 يسقى العداة به الغمام الاسود
 ولطالما اشمرتها من هامهم
 إذ أنت يثمر في يدك الأملد
 لله يوم أتيت حلق الوادي في
 فخر أقر له العدى والحسد
 في جحفل ستر الضحى بغبساره
 والبيض تبرق والمواهل ترعد

متوقدُ الجنابِ تلتاحُ الظُّبا
والسُّمر فيه لبعضها تتأودُ
من كلِّ ملتئمٍ على بدر الدُّجى
يعدو المباحُ بنوره يُستنجدُ
فارتدَّ سُرْبُ الكفر يهفى نفسه
ود حله العمُّ المقيمُ المُقعدُ
لو تعقلُ السفنُ التى قابلتها
نطقت محييةً وخرت تسجدُ^(١)

(١) السابق ٥٦/٢ .

احتلال الجزائر :

كانت فرنسا، تبين النية لاحتلال الجزائر، فتدبرت بحادثة القنصل الفرنسي "دوفال" مع والى الجزائر "حسن باي" فجهزت جيشا للاستيلاء عليها .

وفعلا تم لها ذلك برغم المقاومة العنيفة من قبل الجزائريين ، وولاتها العثمانيين وانتهى الفرنسيون من احتلال الجزائر كاملة سنة ١٢٥٥هـ ، أى بعد قرابة تسع سنوات من فزوم لها ، واستحالت حركة الجهاد بعد ذلك إلى حركة وطنية خالصة لاشان للعثمانيين بها .^(١)

وكان لذلك الاحتلال اثره فى شعر بعض شعراء "تونس" احساسا منهم بذلك الخطر عليهم ، فانبروا لبيان ذلك ورشاء الجزائر ، وحث الناس على الجهاد لاستردادها .
فهذا "احمد القليبي" من "تونس" يعزى فى الجزائر ، ويعتبر ان من حقها ان ترحى ، وان يلبس السواد وتحلق الغدائر حدادا من اجلها كناية عن عظم المصيبة .
عظم الله اجرکم فى الجزائر وجزاکم برزئها اجر صابر
فهمو والله فى البلاد لحق ان تعزى بها وتبكي الجزائر
وبحق علينا لبس سواد بعد وقعها وحلق الغدائر
ثم نلقى الشاعر يتحدث عن الاحتلال ، ولماذا بدا بالجزائر ، واستعدادهم لفربها ، والمسألة فى ذهنه لا تعدو خلافا قديما بين المسلمين والروم ، وظل الصراع مستخفيا ثم استعلت بانقضاء "فرنسا" على "الجزائر" واحتلالها .

(١) انظر : تاريخ الدولة العلية ص ٤٤٧ ، التاريخ الإسلامى العهد العثمانى ١/٥٤٩ .

(٢) لم اعثر على ترجمته .

هذه السَّرومُ أَقْبَلَتْ تَعَالَى
 بدأتْ بالجزائرِ حينَ كانت
 وأَعَدُّوا لِحَرْبِهَا مَا اسْتَطَاعُوا
 وَرَمَوْهَا بِرَمِيَّةٍ فَصَمَوْهَا
 وكان الشاعر متفائلا ومتوقعا أن الله سيقبض للجزائر
 من يثور على "فرنسا" ، بعد أن أظهروا الكفر بها ، واستولوا
 على خزائنها .

ودنوا من أميرها دون زاجر
 يدُ "قارون" لم تزل تتفاخر
 وأطاعتهم أناسٌ فواجر
 فيها لله قبل ذاك شعائر
 بعد هذا التمام والله قادر
 وهى بعد شبابها فى الفواجر
 مابه تحسدون أهل المقابر
 وتفاهم بمسلم طوع كافر
 يأتى الله عقبى ذاك بشائر
 بعد أن تبلغ القلوبُ الحناجر
 دخلوها وملكوها خداعا
 وتولوا خزائنة لوجوئها
 وأقاموا علامة الكفر فيها
 ومحووا حسنها كأن لم تكن
 قدر الله أن تعود للنقص
 فمى بعد علوها فى انخفاض
 إن تعيشوا من بعدها سترون
 ذللة وإهانة وعناء
 وتقولون إن قتلتم فسوف
 لنعم إن بلغت مأسائكم
 والشاعر هنا فى منتهى اليقظة للدمار الذى لحق بها ،

فهو يعرضها بمعانيها الحسية ، ويستثير النخوة والحماسة ،
 فالفرنسيون اتوا على ما فى خزائنها فجعلوها خاوية ، ووسموا
 كل شئ فيها بسمه المليب ، وللأسف وجدوا من أهل البلاد من
 مالا هم ، ومشى فى ركبهم .

والشاعر يتوقع وهذا حال الغزاة من الجبر والقهر
 والإذلال أن يبلغ الهوان بالجزائريين مبلغا يحسدون معه أهل

(١) انظر : الأدب التونسي فى العهد الحسينى ص ٦٠ ،
 ط/الوحدة للنشر والتوزيع ، والدار التونسية للنشر ،
 د. الهادى حموده الغزى .

القبور ، ثم يتندّر بقومه الذين ينتظرون ظهور شاعر من
بينهم ينقذهم ، ويخلصهم مما هم فيه ، لكنهم لن يبلغوا هذا
إلا بعد أن تبلغ القلوب الحناجر .

فالمعاني كما تبدو حسنة ، لكنها صيغت صياغة رديئة
متهافئة افسدت حسناتها ، وضيعت تأثيرها في النفوس ، وتامل
قوله :

إِنَّ تَعِيشُوا مِنْ بَعْدِهَا سَتَرُوا نِ مَابِهِ تَحْسُدُونَ أَهْلَ الْمَقَابِرِ
ذِلَّةٌ وَإِهَانَةٌ وَعِزَاءٌ وَتَفَاهُكُمْ بِمُسْلِمٍ طُوعَ كَافِرٍ
فَاللَّفَظُ الْمَكْتُوبَةُ لَا تُؤْدِي مَا يَعْنِيهِ الشَّاعِرُ إِلَّا مَعَ تَسَامُحٍ
شَدِيدٍ ، ومرة أخرى فهذا الخور في المعاني وفي صور الأداء
يعكس خور الأرواح ، ويقدم الدليل على الضعف العام الذي
أطمع فيهم عدوهم .

ونرى الشاعر بعد ذلك يهيب بالجزائريين بل بالمغاربة
والمسلمين جميعا أن يعملوا الحزم ، وأن يستقيموا على
طريقة حق ، وأن ينبذوا خلافاتهم وراء ظهورهم ، لأن البلاء
عظيم لا يدفع إلا بالوحدة والاعتماد بحبل الله ، ثم ينمى على
الخلافة العثمانية وعلى بعض رجالاتها تعاونهم وتفاعسهم عن
نمرة "الجزائر" فيقول :^(١)

هُوَ ذَا الْمَوْتِ وَالْبَلَاءِ عَظِيمٌ
وَالْمَمَابُ الَّذِي يُهْرِيقُ الْخَوَاطِرَ
فَاعْمَلُوا الْحَزْمَ مَا اسْتَطَعْتُمْ إِنَّ
هَذَا الزَّمَانُ بِالنَّاسِ غَادِرٌ
وَأَسْتَقِيمُوا عَلَى طَرِيقَةِ حَقٍّ
وَاتَّفَاقٍ وَنَظْمٍ سَوَا كَالْجَوَاهِرِ

إِنَّهَا نَارٌ فِتْنَةٌ أَوْقَدُوها
 بِيَدِي نَجَسٍ وَسَمَوِهِ "ظاهر"
 كَافِرٌ فَاجِرٌ ظَلُومٌ خَوُونٌ
 عَامِدٌ لَأُولَى السَّالِلِ وَنَاصِرِ
 أَصْحَكَ النَّاسَ سَاعَةً ثُمَّ أَبْكَى
 مَنْ لَهُ مَقْلَةٌ بِدَمْعٍ تَحْسَادِ
 وَأَبَانَ الْخُدَاعَ فِي النَّاسِ فَهُوَ
 لَمْ يَزَلْ ذَاهِبًا بِشَرٍّ وَأَمْرٍ (١)

والشاعر لم يعد في هذه القصيدة أن يكون مسجلا للحدث
 حسب مفهومه ، دون أن يكون سابرا لغوره مدركا إدراكا عميقا
 لمرامييه ، لذلك اتت اساليبه ضعيفة هشّة في مجملها ، لاتحس
 فيها أن هذا شعرا إلا من خلال الوزن والقافية .
 كما انه يشير إشارة تاريخية إلى موقف الدولة
 العثمانية وتهاونها ، وإرسالها مندوبا ومفه بانه "أضحك
 الناس ساعة ثم أبكى" مما لم تشر إليه المراجع التاريخية
 التي بين يدي .

وهذه القصيدة على ما فيها تعد "مثالا حيا لانبعاث فن
 رثاء الممالك من جديد في تلك الفترة" (٢)
 ويمف "محمد الشاهد" من تونس حالة الجزائر على يد
 المستعمر الفرنسي وكيف عطلت المدارس ودور العلم .
 أمن مولد الاعداء مول الجزائر
 سري فيك رعباً أم ركنت إلى الاسر

(١) السابق ص ٦٠-٦١ .

(٢) نفسه ص ٦١ .

(٣) لم أشر على ترجمته .

لبست سواد الحزن بعد مسرة
 وعمت بواديك الفتون بلا حصر
 رفضت بياض الحق عنك فامبحت
 نواحيك تشكو بالامان الى الجور
 وعطل درس العلم والجهل عسمن
 ونادى بتعطيل العلوم عن النشر
 وناح على الاسوار طير خرابها
 فاصبح فاس الدم ينبيء بالغدر
 اصبحت بسهم من عيون سهامهم
 تزيد عن المعيان بالشفع والوتر
 واضمرت للاعداء وجهه ملاحه
 وابرزت للاحباب وجهاً من النكر
 شم نجده يبكيها بدمع عزيز ، ويمف ماحل بها من دمار
 وتخريب ، وباموالها من ذهب ، وطال التخريب حتى الاشجار مما
 يدل على عنف الاستعمار ، ووعى الشاعر كسابقه بالوان الخسف
 والقمر حتى مارسها الفرنسيون ابان احتلالهم للجزائر .
 عليك لذا اُجريت نهر مدامعى
 وفيك استحق العقل للمكر بلا حصر
 نقت عموءا بالوداد تقرررت
 وواليت اقواماً تمالوا على ضرر
 فجاموا بروجاً للحروب تشيدت
 وداسوا دياراً بالنواهي وبالامر
 ونالوا من الاموال يسراً وميسراً
 وفازوا بها والقلب يملأ على جمر
 ومن لطفه ان السيوف اتت لنا
 وسلت على الاشجار تقطع بالشمس

ويختتم القصيدة ببيان حال أهلها عندما دهمهم الاستعمار
إذ فارقوا ديارهم ، وباعوا أنفسهم ما يملكون ، وهاموا على
وجوههم في الصحارى ، ثم يبكى على لسان أهل "الجزائر" البلاد
المضاعة ، ويتساءل سؤال المتحسر الحيران كيف يطيب العيش
تحت كنف الكفار المستعمرين ، ويسأل نفسه مؤملاً أن يبدل ذلك
العسر بيسر بعده .

فُجِئتُ أناسٌ والعقولُ تولعتُ

وباعوا على مَرِّ الفراق بلا فِكر

فباعوا غنائيمَ المتاعِ ببحسبها

وهاموا حيارى في الغياض وفي البحر

فآه على جهدٍ وما به منعةٌ

وآه على دارٍ يسودُ بها غيري

اموتُ وما تدرى البواكي بقمتي

وكيف يطيبُ العيشُ والأنسُ في الكفر

أياعينُ جودي بالدموعِ ساحةٌ

ويا حزنُ شيد في الفؤادِ ولا تسر

ويا دارَ تدبيرِ الأمورِ لحالِتي

(١) فصبوا عسى عسرٍ يبدلُ باليسر

ولاشك أن الشاعر مثل سابقه في مدق عاطفته ، وبعد نظره

في خطر المستعمر ، وتتبعه لآحوال الجزائر وما حل بها ،

ولكن لم يكن شعره من الناحية الفنية على مستوى فكره ،

وعمد إلى المحسنات اللفظية وخاصة الطباق فهو يعبر عن

مستوى الشعر في عصره ، ولكنه يعطينا مثل سابقه دلالة على

بداية يقظة أدبية وفكرية على وقع الخطر الداهم من أوربا

على بلاد المسلمين .

الفصل الثاني

حرب طرابلس

١٣٢٩هـ - ١٩١١م

- (١) إضاءة حول الحرب .
- (٢) الدعوة إلى الاتحاد .
- (٣) الدعوة إلى الجهاد بالمال .
- (٤) الدعوة إلى الجهاد بالنفس .
- (٥) شوق بعض الشعراء للجهاد .
- (٦) نصرانية المعركة .
- (٧) وصف المعركة والجيش .
- (٨) انين الجريح .
- (٩) البعثات الطبية .
- (١٠) المعدات القتالية .
- (١١) تنفيذ دعوة السلم الأوربية .

إضاءة حول الحرب :

كانت هذه الحرب إحدى الخطط الأوروبية للاستيلاء على البلاد الإسلامية ، إذ توزعت البلاد العثمانية في شمال إفريقيا بين كل من "فرنسا" و"بريطانيا" ، فبقى نصيب "إيطاليا" التي كانت تطمح أيضا إلى إنشاء مستعمرات لها في إفريقيا .

فأخذت الفؤء الأخضر من فرنسا وبريطانيا في أن تستولى على "ليبيا" لقاء سكوتها عنهما فيما يملكان من بلدان عثمانية .

وكانت قد مهدت لخطتها تلك - شأنها شأن بقية المستعمرين - بأن تخلق البلد الذي تريده بقروض تجعل قضية السيطرة عليه أمرا ميسورا ، وبعد أن اطمأنت إلى ذلك ، لاحظت أن الأتراك أخذوا يدعمون وحداتهم العسكرية بطرابلس فأرسلت إنذارا إليهم بوجوب سحب قواتهم من "ليبيا" في غضون أربع وعشرين ساعة ، ولما لم تستجب "تركيا" قام الأسطول الإيطالي بضرب "طرابلس" وقوبل ذلك الهجوم بمقاومة عنيفة ، وهب المسلمون عربا وأتراكا يحطومون لدحر "إيطاليا" ، لكن حكومة "الاتحاد والترقي" كانت ضعيفة لم تقو على المقاومة ، فأثرت تسليم "ليبيا" لإيطاليا ، على أن المجاهدين بقوا زمنا يقاومون العدوان .

وبذلك انفرط آخر عقد من ممتلكات العثمانيين في

(١)

إفريقيا .

وكان للهجوم الإيطالي والدعوة لمقاومته أثر كبير في الشعر العربي ، إذ أدلى عدد جم من الشعراء بدلوهم فيها على شتى أقطارهم .

(١) انظر : التاريخ الإسلامي - العهد العثماني ٥١٧/٨ - ٥٢٠ ، تاريخ أوروبا في العصر الحديث ص ٤٥١ .

وكانت أهم المحاور التي عالجها الشعر الذي عثرت عليه
في هذه الحرب الأمور التالية :

(١) الدعوة إلى الاتحاد ونبذ الفرقة :

اتسعت رقعة الخلاف - في هذه الحقبة التاريخية - بين
العرب والأتراك نظرا لسيطرة الطورانيين على الحكم ، وقامت
هذه الحرب ضد طرابلس ، ولحق بعض الشعراء التناكب والنفور
بين الأمة الواحدة ، وأخذ ذلك الجرح يزداد اتساعا ، في وقت
يحاصر العدو البلاد المسلمة ويخطط لابتلاعها .
فدعوا إلى الاتحاد ونبذ الفرقة ، ليقف الجميع صفا
واحدا في وجه العدو وضد أطماعه الاستعمارية .

فيلقى "شوقي" قميدة في "جماعة الهلال الأحمر في مصر"
يدعو في مقدمتها إلى التعاون بين العثمانيين ، ويستلهم
قول النبي صلى الله عليه وسلم : "إن المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشد بعضه بعضا" ^(١) إذ يقول :

يا قوم عثمان والدنيا مداوكة

كعاونوا بينكم يا قوم عثمان

كونوا الجدار الذي يقوى الجدار به

(٢) فإله قد جعل الإسلام بئيانا

ويشبه "الخزنه دار" الاتحاد للأمم بالغيث للأرض ، ولولاه
لما كانت هذه الأجرام السماوية بخلق القوة والعظمة ، وما من
أمة أقامت بنيانها على الاتحاد إلا وانقادت لها الأمم
وانصاعت .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة .

(٢) ديوانه : الشوقيات ١/٢٤٥ .

الاتحاد كمثل الخيط هاطله
 مذ جاد من نقطٍ بالعارضِ الهامِ
 الاتحاد ولولاه لما برزت
 فى العالم الحيوي أشخاص أجرام
 قل فهو حينئذ سرُّ الوجود وما
 ادراك ما السرُّ فاعلم فضله السامى

ماكان فى امرٍ إلا وكان لها
 (١) شأنٌ تجرُّ له أعناقُ اقوام
 ويبين "الكاظمي" بلغته الجزلة الرصينة فوائد الاتحاد
 وعاقبة الفرقة ، ويحذر الامة من أن يقول اعداؤها عنها هاهم
 تشرذموا فى وقت احتدام الشر عليهم :
 إذا اتَّحدْتُمْ أَمِنْتُمْ كُلٌّ فائِلَةٌ
 وإنْ تخاذَلْتُمْ فَانْتَارُ والنَّاسُ
 كونوا يداً فى سبيلِ الخيرِ واحدةٌ
 يُستَاحِلُ الشَّرَّ حَيْثُ الشَّرُّ يُحْتَدَمُ
 أُمِيدُكُمْ أَنْ يَقُولَ الشَّامِتُونَ بِكُمْ
 (٢) تَخَادَلُوا فى سبيلِ الخيرِ وانقسموا
 ويدعو "الرَّصافى" "السفوسى" للانضمام إلى إخوانه
 المجاهدين ومشاركتهم فى مدِّ العدوان .
 ومن مُبْلِغٍ عَنَّا "السفوسى" أنه
 يمدُّ لهذا المدعٍ منه يدُ الرَّابِّ

- (١) ديوانه ص ١٣٨ .
 (٢) ديوانه - المجموعة الثانية ص ١٠٧ .
 (٣) أحمد الشريف بن محمد السفوسى ، ولد سنة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م
 من كبار السفوسيين ، جاهد الطليان زمناً ، ذهب إلى
 الاسخانة ثم إلى دمشق فمكة ، توفى بالمدينة سنة
 ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م .
 انظر : الاعلام /١

فِيَا نَا لَنَرْجُو أَنْ يَقْدُودَ إِلَى الْوَعْدِ
 طَلَائِعُ مَنْ خِيَلٍ وَمَنْ إِبْسِلٍ نَجِبٍ
 فِيحْمِي بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَدُوِّ
 وَيَنْهَضُ كَشَافًا لَهُمْ غُمَّةَ الْخَطْبِ
 فَإِنْ حَشَا الْإِسْلَامَ أَمْبَحَ دَامِيًا
 إِلَى اللَّهِ يَشْكُو قَلْبُهُ شِدَّةَ الْكَرْبِ
 فَقُمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمَنُوسِي مُدْرِكًا

جَنُودَ بَنِي عُثْمَانَ فِي الْجَبَلِ الْغُرَبِيِّ
 وَكَنَّ ائْتِ بَيْنَ الْجُنْدِ قُطْبَ رَحَى الْوَعْدِ
 وَهَلْ مِنْ رَحَى إِلَّا تَدُورُ عَلَى قُطْبٍ (١)؟

وَأَمَّا "أحمد محرم" فكان أجلى بياناً وأكثرهم إفاضة في الحديث عن الوحدة وأهميتها في إحدى قصائده ، إذ يسأل سؤال الفخور ، كيف نذمن للبلغة مادام في الحرك مقدام حرب ، وفي العرب جرىء على اقتحامها ، وما ذلك إلا لأن الأخوة تجمعهما ، ومن كان كذلك فإن الحصون الشامخة ، والجبال الشاهقة تخر له طوعاً خاشعة ذليلة برغم صلابتها .

وإن العهد والوفاء بينهما ، فلا بغضاء ولا تقاطع ، وإن حاول العدو الإيقاع بينهما - وفي هذا اعتراف ضمنى بدور العدو في إذكاء نار الشعوبية بين المسلمين - ويسأل ساخرًا من أولئك السامعين لتوسعة رقعة الخلاف ، والإيقاع بين الإخوة كيف نطيع الوشاة بعدما رست دعائم الألفة دهرًا .

ثم يبين مصير من شق عصا الطاعة على الإمام ، ويتوعدده على فعلته ، ويوبخه ويؤنبه إذ كيف يرضى أن يطيع هواه

(١) ديوانه ٤٨٠/٢ .

(٢) لم اتبين من يكون ذلك الخارج على الجماعة .

ويقدمه على مصلحة الأمة .

ثم يسخر منه سخرية لاذعة ، هل يريد من خروجه ملكا ؟

ام يريد خلافة ، ويذكر اسمه على منبر الحرمين ؟

أَنْذَمْنُ لِلْبَاقِي وَنُعْطِيهِ حُكْمَهُ

وفي التُّرك مِقْدَامٌ وفي العُربِ حَازِمٌ

هَما أَخَوَا العُرَّ الذي دون شَاوِهِ

تَخِرُّ الصِّيَامِي خُشْعًا وَالْمَخَارِمُ

اقْمُنَا على مَعْدَى وفَارٍ وَأَلْفَمُ

فَمَا بَيْنَنَا قَالَ وَلَا شَمُّ صَارِمُ

على طولِ مَاقَالِ الوِشَاةِ وَخَبَّبَتْ

حُقُودُ الْأَعَادِي بَيْنَنَا وَالسَّخَاثِمُ

وكَيْفَ نُطِيعُ الْعَادِلِينَ وَتَرْتَقِي

إِلَيْنَا وَشَايَاتُ الْعِدَى وَالنَّمَاثِمُ

أَنْمَدُ رُكْنَ الدَّهْرِ مِنْ بَعْدِ مَارِكَا

وَقَرَّتْ أَوَاسِيهِ بِنَا وَالْقَبَوَانِمُ

فَايِنُ الْوَمَايَا وَالْمَوَاشِقُ جَمَّةٌ

وَإَيْنُ الْقَوَى مَشْدُودَةٌ وَالْعِزَّانِمُ

وَإَيْنُ اللَّهِى مَوْفُورَةٌ لَا يُزِيغُهَا

مِنْ الْأَمَلِ الْمَكْدُوبِ مَا ظَنَّ حَالِمُ

أَلَا إِنَّ مِنْ شَقِّ الْعَصَا لِمَدْمَمُ

وَإِنَّ الَّذِي يَبْغِي الْفَسَادَ لَا شَمُّ

وَمَنْ كَانَ يَأْبَى أَنْ يُوَالِيَ إِمَامَهُ

طَوَاعِييَةً وَأَلَاهُ وَالْأَنْفُ رَافِعُ

سَيَعْلَمُ مَنْ خَانَ الْخُلَيْفَةَ أَنَّهُ

مَوَاقِعُ أَمْرِ شَرِّهِ مُتَّفَاقِمُ

أطاع هواه واستزنته فتنة
 عَفَوضٌ تَلَوَّى فِي لَهَاها الأراقمُ
 له الويلُ ماذا هاجَ من نَزَواتِهِ
 فثَارَ يُرَامِي رَبَّهُ وَيُراجِمُ
 اِيطلبُ مُلكاً أم يُريدُ خلافةً
 تُقامُ لها في المَشعَرَيْنِ المَواسِمُ
 ثم يتوجه إلى الله ويبتهل إليه - وهو يعلم ماومل
 إليه حال المسلمين - أن يؤلف بين قلوب المسلمين ، وأن
 يجمعهم على الحق ويتولاهم برحمته .
 تباركتُ رَبِّي كيفَ يعميكُ مُسلمٌ
 فيوقعُ بالإسلام ما أنتَ عالِمٌ
 تباركتُ إِنَّ المسلمينَ كما تَرَى
 تغاريقُ منها مُستظير ورازِمُ
 فياربِّ بالبَيْتِ العتيقِ وماثوي
 ييشربُ من قَبْرِ له الرُّوحُ خادِمُ
 تَوَلَّى شُعوبَ المسلمينَ بِرحمةٍ
 تُؤَلِّفُ فيما بينهم وتُلائِمُ (١)

والشاعر كما هو واضح استخدم الاستفهام ساخراً ومهدداً ،
 ومادلك إلا لأنه يحتاج إلى جواب وإعمال عقل ، فيحاول أن
 يخاطب عقل ذلك الباغى على يرجع إلى نفسه ، ويعمل ذهنه
 فيما أقدم عليه ، لئلا يتركه عن كونه ما يحدثه داخل القميدة من
 جلجلة وحماصة يؤثر بدوره على المخلقى ويسترعى انتباهه ،
 ثم إنه استخدم ضمير الجماعة - نا - دلالة على التحام
 مشاعره بمشاعر الأمة ، وتركيزه على تلك القضية يدل دلالة

أكيدة على استفحال أمرها ، وأنها كانت تۇرق كل غيور ، إذ
هى مدعاة لأن تؤدى إلى تدمير الوحدة بين الأمم على مختلف
الازمان والاماكن .

ويحذر "عبد الحليم الممرى" المسلمين من الغرب الذين
لم يناموا ، إذ أخذوا ينتزعون البلاد الإسلامية الواحدة تلو
الأخرى ، والمسلمون متفرقون فيما بينهم لاجل لهم ولاطول .
يا أيُّها المسلمون استيقظوا وكفّ

نوماً فإنَّ عيونَ الغربِ لم تنم
هذى ممالككم تُفشى وارضكم

يسومها القومُ سَومَ النُّوقِ للسلام
اصبحتُموا بدداً فى كلِّ ناحية

(١) كاتماً مرثم فى دولته الخدم

وهو مثل سابقه فى اعتماد الالفاظ الحماسية لأن الظرف
التاريخى الذى مرت به الأمة يستدعى ذلك .

ونجده فى قصيدة أخرى يتحسر على ماومل إليه حال
المسلمين من ضعف وفرقة ، وكيف أضحوا العوبة فى يد العدو .
لقد قتلَ الغرورُ المسلمينَ قباخوا فى الرُّبا متفرقين
ثقلَهم أكفُ الحاكمينَا كتحليلِ الشَّواءِ على الفُرامِ (٢)

(٣) ويمرض "على الشرقى" الأمة العربية أن تحقّط الخلاه
وتنبذه إذ "كيف يعمل كف خائها العفد" ، ويدعو قومه إلى أن

(١) ديوانه ٨٣/٢ .

(٢) نفسه ٨٨/٢ .

(٣) على بن جعفر بن محمد حسن بن أحمد الشرقى ، ولد سنة
١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م ، نشأ فى بيت علم على المذهب الجعفرى ،
مارس عدداً من الأعمال القضائية ، أحد الشعراء
البارزين فى العراق ، له عدد من المؤلفات أهمها
ديوانه ، توفى سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
انظر : مقدمة ديوانه .

يردوا السيف في قرابه قبل إشهارة على إخوانهم ، لأنهم مسلمون "على إغماده اتحدوا" .

ثم يأتي في نهاية المقطع ليدلل على فائدة الاتحاد خاصة بعد ان زادت الأحداث وعلى الأمة بواقعها .

يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ أَمِنُ قَدْ مَضَى فَسْلِي
بشائر اليوم عنا والندى غد
إِنَّا قَطَعْنَاكَ فِي نَبْذِ الْخَلَفِ يَدًا
وكيف تعمل ككف خائنها العُصْدُ
رَدِّي الْقِرَابَ عَلَيْهِ قَبْلَ نَبْوْتِهِ
فالمسلمون على إغماده اتحدوا
وفي الوفاق حسامٌ دون فعلتِهِ
ما تفعل العُدَّةُ الشَّهْبَاءُ وَالْعُدَدُ
نَبْهَتْنَا مَذْكَ يَقْظَاتٌ مَرْوَعَةٌ
(١) وَرَبَّمَا نَبَّهَ الْيَقْظَانُ مِنْ رَقْدُوا

ومن اللافت أن الشاعر استخدم التشبيه بكثرة. وكان موفقا خاصة في قوله "الكف والعُصْدُ" إذ هو دقيق في الحس على الاتحاد .

والنبرة الخطابية جلية في النداء والامر ، وكذا في المقابلة بين "نَبَّهَ ورقد" .

(٢) ويسخر "عبد الحميد الفراهي" من الغزاة لكونهم - كما يرى - قد غرّوا بما شاع من فرقة بين العرب والأتراك فأرادوا استغلالها لمصلحتهم ، وعلى ذلك فهو يؤكد الوحدة بين المسلمين ، وأن الخلافة رمز الوحدة خير جامع لهم ، كما أنه

(١) ديوانه ص ٩٢-٩٣ ، ط/وزارة الإعلام العراقية ، دار الرشيد ، تحقيق إبراهيم الواثلي وموسى الكرباسي .

(٢) لم أعثر على ترجمته .

لا قيمة لأصابع بلا كف تجمعها .

عُرُوا بِأَنَّ الْبَعْدَ بَيْنَ	العُربِ والأتراكِ شاسع
وَبَيْنَ بَيْنِ قُلُوبِنَا	مَدْعَاً مِنَ الْأَصْغَانِ وَاسِع
يَا مُلَّةَ لَمْ يَعْلَمُوا	أَنَّ الْخَلَاةَ خَيْرُ جَامِع
فَلَنَبْذُلَنَّ لَهَا النَّفْوَ	مَنْ وَدُونَ حَوَزَتِهَا نُدَافِع
مَا التَّرْكُ إِلَّا مِثْلُ كَفٍّ	الْبَاسِلِ الْعَارِي الْأَشَاجِع
وَالْعَرَبُ مِثْلُ أَصَابِعٍ	لَا كَفًّا إِلَّا بِالْأَصَابِعِ ^(١)

(٢) الجهاد بالمال :

عندما قامت الحرب انجرت في كثير من المجتمعات الإسلامية جمعيات تدمو إلى الإنفاق لمال المجاهدين ، إيماناً بمبدأ الرابطة الإسلامية ، وأن ذلك جزء من الجهاد كما يوضحه القرآن والسنة .

لذا عقد بعض الوجهاء العزم لتجلية تلك القضية ، وبيان دور المعونة في الدفع لمقاومة الاستعمار قديماً ، وحث الناس على التبرع لمال المجاهدين .

فهذا "شكيب أرسلان" يبين الدور الذي قام به المصريون "واندفاعهم لمساعدة اخوانهم "الطرابلسيين" إذ اقيمت في "القاهرة" سوق خيرية لشراء أشياء يعود ثمنها إلى المجاهدين والجرحى ... وتليت قصائد ... " (٢) .

ولذلك قام الشعراء بتموير تلك العاطفة الإسلامية ، لشعورهم بالمسؤولية في حث الناس على مواصلة اخوانهم الذين اصطلوا بنار الحرب .

(١) ديوانه ص ١٢ ، ط/المحمدية ومكتباتها بالمند .

(٢) ديوانه ص ١٠٧ .

فيلقى "أحمد شوقي" فى تلك السوق الخيرية قصيدة يحث فيها الناس على التبرع ، ويبدأ فى موضوعه دونما مقدمات ، إذ يطلب من "جبريل" عليه السلام أن يهمل فى السماء ويكبر ، ربما لينبئ الغافين ، ثم يكتب اسم كل متبرع فى عداد المحسنين ، ولا يخفى اختيار اسم "جبريل" أمين الوحي ومافيه من استشارة للعواطف .

ويمضى "شوقي" شاحدا همم الناس بخلق الطريقة الاخادة ، فيطلب من "جبريل" أيضا أن يدعو كل فرد جعل الهلال شعاره - إشارة إلى انتمائه لها - أن يبرهن على ذلك "يفتح على أمم الهلال وينصر" .

ثم يعرض للمهرجان ويزجى الثناء على القائمين عليه ، ويدلف إلى بيان فضل الإحسان فجبريل "يعرض والملائكة باعة ، ولا يخفى ما فى هذا من استنهاض وحش على التبرع ، ويختم المقطع بسؤال تحريفي "أين المساوم فى الثواب المشتري" .

جبريلُ هَلَّلَ فى السَّماءِ وكَبَّرَ

واكْتَبَ ثَوَابَ المحْسِنِينَ وَسَطَّرَ

سُلَّ للفقيرِ على تكريمِ الغنى

واطلبُ مزيداً فى الرِّخاءِ لموسرِ

وادعِ الذى جعلَ الهلالَ شعاره

يفتحُ على أُممِ الهلالِ ويُنصرِ

.....

يا مَهرجانَ البرِّ ، أنتَ حَيَّةٌ

لَمَّ من ملا كَريمٍ خيَّرِ

همَّ زَيْنُوكَ بكلِّ أَزْهَرِ فى الدُّجى

واللَّهِ زائِكَ بالقَبولِ الأَنُورِ

حَسَنَتْ وَجُوهَكَ فِي الْعَيُونِ وَاشْرَقَتْ
 مِنْ كُلِّ أَبْجَحٍ فِي الْأَكَارِمِ أَزْهَرُ
 كَثُرَتْ عَلَيْكَ أَكْفُهُمْ فِي مَوْبِهَا
 فَكَانَتْهَا قِطْعُ الْغَمَامِ الْمُطِيرِ
 لَوْ يَعْلَمُونَ السُّوقَ مَا حَسَنَاتُهَا
 بَيْعُ الْحَصْرِ فِي السُّوقِ بَيْعُ الْجَوْهَرِ
 جَبْرِيلُ يَعْرِضُ وَالْمَلَائِكُ بَاعَةٌ
 آيِنُ الْمَسَاوِمِ فِي الثَّوَابِ الْمَشْتَرَى (١)

ويلقبى "شوقى" فى ذلك المهرجان قصيدة أخرى ، يوضح
 فيها أن البر أعلى شعب الإيمان ، ولإيمان بلا بر ، ثم
 يستعطف المسلمين ببيان حال المجاهدين الذين انبروا للدفاع
 عن بلادهم ، وما هم فيه من فناء ومشقة .
 الْبِرُّ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ أَفْضَلُهَا
 لَا يَقْبَلُ اللَّهُ دُونَ الْبِرِّ إِيْمَانًا
 هَلْ تَرْحَمُونَ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَكُمْ
 بِالْبَيْدِ أَهْلًا وَبِالْمَحْرَاءِ جِيرَانًا
 فِي ذِمَّةِ اللَّهِ أَوْ فِي ذِمَّةِ نَفَرٍ
 عَلَى "طَرَابُلُسٍ" يَقْفُونَ شَجَمَانًا
 إِنْ سَأَلَ جِرَاهُمْ مِنْ غُرْبَةٍ وَوَعَى
 بَاتُوا عَلَى الْجَمْرِ أَرْوَاحًا وَأَبْدَانًا
 اسْتَهْلَ الْمُقْطَعُ بِالْإِشَادَةِ بِالْبِرِّ ، وجعله شعبة من شعب
 الإيمان ، وأنه كذلك ، لأن الله - كما يرى الشاعر - لا يقبل
 إيمانًا بلا بر ، ثم ثنى صراحة بطلب الرحمة للأهل والجيرة

(١) ديوانه : الشوقيات ١/١٤٩-١٥٠ .

سكان المحراء ، فمنهم الشهداء الذين استشهدوا في سبيل
 "طرابلس" وباتوا يتقلبون أرواحا وأبدانا على الجمر .
 والشاعر عمد إلى استشارة العاطفة بأسلوب نافذ "هل
 ترحمون" ، واستخدم الجمل المعترضة "لعل الله يرحمكم" ،
 "أوفى ذمة" ، ومثل هذا الصنيع في هذه المواضع وبذلك
 الأسلوب أدعى للإشارة لما تحمله الأولى خاصة من دماء
 بالرحمة .

ثم يصف وقوف المصريين بجانب اخوانهم المجاهدين ،
 كرما وإغداقا دون فن أو من ، وهم ينهضون للإغاثة متعاونين
 ويقومون شيئا وشبانا لمالحي الأعمال ، ثم يهفي عليهم مزيدا
 من الثناء ، فهم الروح من الإنسان ، ويجمعون بين الشجاعة
 والسخاء ، وهم بمثابة العنوان من الكتاب لا يعرف إلا بعنوانه
 ... ، ويختتم هذا المقطع بتأكيد قيمة البذل .

قَوْمِي وَجَلَّتْ وَجْوهُ الْقَوْمِ مَمْرٌ بَكُمْ
 أَلَقْتُ عَلَى كَرَمَاءِ الدَّهْرِ نَسِيَانَا
 لَا تَسْأَلُونَ مِنَ الْأَعْوَانِ إِنْ قَعَدُوا
 وَتَنْهَضُونَ إِلَى الْمَلْهُوفِ أَعْوَانَا
 اكْتُمْنَا هَزْزَكُمْ دَاعٍ لِمَالِحَةٍ
 قَمَحْتُمْ كَهَوْلًا إِلَى الدَّاعِي وَفَتْيَانَا
 لَوْ سَوَّرَ الشَّرْقُ إِنْسَانًا أَخَا كَرَمٍ
 لَكُنْتُمْ الرُّوحَ وَالْأَقْوَامَ جِثْمَانَا
 إِذَا هَزَزْتُمْ تَلَاقَى السِّيفُ مُمْهِلَتَا
 وَالرِّيحُ مُرْسَلَةٌ ، وَالغَيْثُ هَتَّانَا
 إِذَا الْمَكَارِمُ فِي الدُّنْيَا أُشِيدَ بِهَا
 كَانَتْ كِتَابًا وَكُنَّا نَحْنُ عُتْوَانَا

إِنَّ الْحَيَاةَ نَهَارٌ أَوْ سَابِقُهُ
 فَعَثْ نَهَارَكَ مِنْ دُنْيَاكَ إِنْسَانًا
 أَرَى الْكَرِيمَ بوجدانٍ وعاطفةٍ
 (١) وَلَا أَرَى لِبَخِيلٍ الْقَوْمِ وجدانًا

وهذا المقطع يحوى عددا من التشبيهات ، وماتحملة من
 تموير وتجسيد ، ثم إن التشبيه فى البيت الثالث وربطه
 بالشرق يعطى أبعادا لتخيل ذلك الإنسان .
 واورد المطابقة فى موضعين بقصد إظهار مكانة البذل
 والعطاء فى الحياة الإنسانية عموما ، ولذا جرد البخيل من
 تلك الروح ، "قعدوا وتلهفون" ، "كهولا وفتيانا" ، وقوله فى
 آخر بيت "... وجدانا وعاطفة" ... إشارة إلى أن الإنسان
 البار هو الذى لا يتجرد من الوجدان والعواطف ، ولا يكون جامدا
 أصم كالصخر ، ولا كالارض تمسك ماء ولا تنبت ، ويؤيد هذه القيمة
 الآيات الكثيرة التى تحث على الإنفاق ، وتندد بالشح وأهله .
 ونقرأ هذا الشعر مع الرحلة الطويلة فى ظلال الحروب
 التى خاضتها جيوش الخلافة ، فنجد أن الزمن والاحداث الجسم
 احداثا تطورا كبيرا فى الشعر وفى الشاعر معا .
 فقد نضج وجدان الشاعر ، واتسع محيط ثقافته ، وزاد
 اطلاعه وممارسته للتجارب ، وتغيرت مشاعره ونظراته ، وصارت
 أكثر جدة وحيوية فتخلص شعره من الركة ، والسقم ، والضحى
 أكثر إشراقا وتأثيرا فى جملة العامة ، وبقدر ما بين
 الشعراء من تفاوت .

وكان صوت "أحمد محرم" من أكثر الأصوات ظهورا فى هذه
 الحرب ، فاضحى يبتهل كل مناسبة حاضا الناس على الإسراع

والتسابق فى دروب الخير بما يحمله من عاطفة إسلامية جياشة
فلقد سطر مجموعة من القصائد والمقطوعات خص بعضها منها
بالحث على العطاء والبذل بمناسبة حرب "طرابلس" .

فى إحدى قصائده يثنى على المتبرعين الذين انهمروا
عطائهم لإخوانهم بمجرد أن سمعوا الميحات تنادى أن أدركوا
جرحى الوغى ، ويذيل هذا المقطع بحكمة انبثقتها التجربة .

لَلَّهِ دُرُّ الْمُتَعَمِّينَ بِمَالِهِمْ
فِي اللَّهِ لَانْزَرَأَ وَلَا بُمُورِدَ
ظَلَّتْ أَكْفُهُمْ تَسَحُّ قَدِيمَةً
مِنْ فُتَّةٍ وَغَمَامَةٍ مِنْ عَسْجَدٍ
صَاحَ الْمُؤَيَّدُ "أَدْرِكُوا جُرْحَى الْوَغَى
فَإِذَا بِهِمْ مِثْلُ الْعِطَاشِ الْوُرْدِ
يَتَنَازَعُونَ مَدَى الْفَخَارِ وَغَايَةِ
مَنْ يَحْوِهَا يَعْظُمُ بِهَا وَيُسَوِّرُ
وَالْمَرْءُ مَالَهُ يُنْتَدِبُ لِعَظِيمَةٍ
شَنْعَاءُ يَكْشِفُ هَوَاهُ لَهَا لَمْ يُحْمَدِ (١)

والمורה فى الابيات الثلاثة جميلة ، الكف تسح عطاء ،
وعطاء لاكالعطاء - فهو ديمة - وديمة لاكالديم بل من ففة
وعسجد ، فهذا الاستخدام أوفى على المורה جمالا .

فى قوله "صاح المؤيد" إيماء إلى الدور العظيم الذى
أبطلت به صف ذلك العهد ، فى معاضدة الشعب الليبى ،
ومؤازرته بالكلمة وبالمال والنفس .

(١) ديوانه : السياسيات ١/١٨٧ .

وفى قوله : "والمرء ما لم يندب" حفر على عمل الخير ،
وان قيمة المرء بما يعمل ، وعظمته تقاس بعظمة مايؤديه .
ثم يثنى على المصريين ، وإغاثتهم للملتجئ إليهم ،
ويطري دور والده الخديوي في ذلك ، وكونها أصبحت قدوة
للناس ، في الجود والعطاء ، ويذيل هذا المقطع أيضا بحكمة
مؤكد أن العمل الخير هو الخالد على مر الأزمان .

إيم بنى مصر وتلك إهابة
من عائد بنوكم مستنجد
كونوا كأم المحسنين ساحة
إن الموفق بالموفق يقتدى
رفعت منار الجود فيكم عاليا
تعشو الكرام إلى سناء فتهتدى
تلك المروءة خالداً ماثورها
والمنع محقر إذا لم يخلص (١)

والشاعر استخدم اسم الفعل "إيم" لما يحمله من زيادة
في الطلب ، لأن المنكوب يميل ويستغيث طالبا النجدة ، فالامر
يحتطلب السرعة في الإنقاذ .

ورسم صورة جيدة لأم المحسنين فهي رافعة منار الجود
حتى أضى الجود شيئا محسوسا وله سناء يبصر من بعيد يهتدى
الناس به .

(٢)
وفى قصيدة أخرى نجده يستجيش عواطف الناس بوصف حال
المحاربين وماهم فيه من مشقة ، من غزاة ذادوا عن حمى

(١) السابق ١٨٨/١ .
(٢) القيت في حفل الهلال الأحمر بدمنهور لمعاونة أهل
"طرابلس" ، وحضر الحفل الأميران "عمر طوسون" ، و"محمد
على" .

بلادهم ، وشهداء باركتهم الملائكة والرسول ، وجريح اقترش دمه
والنيران من حوله ، واراامل وايتام يتضورون جوعا ويغرمون
فى الليل البهيم من سوء حالهم .

ويستحث المصريين ناديا إياهم للبذل والاستباق فى
ميدان المكرمات ، ويثنى على المتبرعين ، وانهم لم ييخلوا
بما يملكون فداء لملك والوطن ، إيقانا منهم ان المال
مخلوف من عند الله ، ويمدح الاميرين "عمر طوسون" ، و"محمد
على" لما قاما به من جهود مخلمة فى الإشراف على عملية
التبرعات :

يا للفرقة قياماً دون بيضتهم
إذا هوى بطل منهم سماً بطل
يا للشهيد بدار الحرب تكفنه
فيها الملائكة الأبرار والرسل
يا لجريح مريماً لا يمأد له
إلا النجى ، وإلا النار تشتعل
يا لأراامل والأيتام باكية
تشكو الطوى وتحوم الليل تبتهل
يا للحمى فزع الأرجاء مضطرباً
يخاف عادية القوم الأولى جهلوا

(١) ستاتى ترجمته .

(٢) محمد على بن محمد توفيق ، ولد سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م ، من
أمراء مصر أخو الخديوى عباس الثانى ولى العهد مرتين
أجاد عدة لغات ، له عدد من المؤلفات منها "رحلة إلى
أميركا الشمالية" ، رحلة الصيف إلى الجوسنة والهرسك
وغيرهما ، رحل إلى سويسرا بعد الثورة الخاصرية وتوفى
بها سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٢م .
انظر : الاعلام ٦ /

بنى البحيرة هذا يومكم فخذوا
اعلى المواقف كيما يصدق الامل
تدققوا بالنوالِ الجم واستيقوا
فى المكرمات فأنتم غيبتها المظل

.....

حاشا لقومي ان تُرجى معونتهم
فيبخلوا او يُعابوا بالذى بذلوا
إننى ارى المالَ جمًّا فى خزائهم
وما عهدتُ بهم بُخلًا إذا سُئلوا
يا قومُ إنَّ لكم من مالكم بَدَلًا
ومالكم ابدأ من مُلعيكم بَدَل
حيُّوا الأميرين حيًّا اللهُ ركبهما
اننى استقرُّ ، واننى سارَ ينثقلُ

قاما بممرَ مقامِ النيرين فما
كفيلُ سُبُلِ الهدى ، وإن رابتِ السُّبُلُ
ركنا الخلافَ إن هزّت دعائمها
هوجُ الخطوبِ ، وخيفَ الحادثُ الجُلُ
بمثلِ ما منعا تنجوا الشعوبُ إذا
حُمَّ القناءُ ، وتجمى حوضها الدُّولُ

نعم المقامُ يبينُ العاملون به
(١) وحبذا اليومُ فيه يُعرفُ الرجلُ

والشاعر فى هذا المقطع موفق فى إرشادة بالأميرين ،
لأنهما قدوة وجمهور الناس تبع ، يتشبهون بهم ، ويفعلون
فعلهم .

وقوله عن الأميرين "ركنا الخلافة" يدل على إيمان الشاعر وكثير من المصريين بانتماء مصر للخلافة وتعلقهم بها في تلك الفترة الأخيرة من عمرها برغم وجود الإنجليز . ويخص "عبد الحليم المصري" في قصيدة له مسلمى مصر ، فيدعوهم إلى التبرع والتدليل على كرمهم في تلك الأزمة التي يمر بها المسلمون ، وإن المال مال الله فليخرج من الخزائن .

ويتمنى أن لو كان له مال "قارون" إذا لانفقه في سبيل الله ، وفي سبيل أمته الإسلامية ، وأن لو كانت له قوة "هارون" و"ذى الاكتاف" إذا جعلها في خدمة الاتراك ونصرة قضاياهم .

يا مسلمى مصر هل برهنتكم كرمًا
في أزمة الدين والدنيا على الكرم
فاخرجوا المال من أقصا خزائكم
المال لكم ليس المال للفسم
لو كان لى مال قارون وما شملت
ديار يحسرى من الإكبار والعظم
أو كان لى ملك هارون ومنعته
أو كان أجيد ذى الاكتاف من حشمى
لكنك قدمت للاتراك ماملكت
(١)
يداي معتذرا إن قصرت نعمى
وأما "أحمد الكاشف" فتزلزل وجدانه أنات "طرابلس"
وجراحها بعد أن نكل بها "الإيطاليون" تفكيلا ، ويلبى

استغاثاتها أن يجرى مثل النيل بيننا وبينكم في التدفق
حنينا ومودة .

يا أخت مصر وفي حشاها جمره^(١) لبيك حتى يكفى الداعونا
بعثت إليك بزادها وتودلوا بعثت إليك الجند مبتدرينا
والنيل لو ملكت أمته جرى خلف القلوب مودة وحنينا

وكان الشاعر موفقا في التعبير عن إحساس الأمة الإسلامية
في مصر تجاه ذلك الحدث ، فمناذرة "طرابلس" ب "يا أخت" فيه
دلالة على مدى الإلتحام بين البلدين .

ثم إن "لو" هنا تعطينا صورة عن حب الشاعر وحماسه
لمدافعة الطليان ، ولكن الأمر ليس على ما يريد ، وأما قوله
"والنيل لو ملكت أمته" فهو ذروة في صفاء الشعور ورقية
ونبله ، وقد وفق في اختيار كلماته في هذا البيت أتم
توفيق .

(١) ثم يثنى على "عمر طوسون" وأمه لما بذلاه من مال وحث

للناس على التبرع :

يا حبذا عمر الجليل موفقا^(٢) للمصابرين الثابتين معيننا
وحنان أم المؤمنين تفيهم^(٢) بسماعها ونوالها مقرونا

ويحث "عبد المحسن الكاظمي" المسلمين على المساعدة
والجهاد بالمال والنفس والإسراع في ذلك ، إذ طرابلس تطلب
النجدة ، فجدوا لإنقاذها من أساها .

(١) عمر طوسون بن سعيد بن محمد علي ، ولد في سنة ١٢٨٩هـ /
١٨٧٢م من كبار المؤرخين والباحثين ، أتيقن عدة لغات ،
آزر الحركة الوطنية ، وكان له جهد مشكور في مؤازرة
المجاهدين في طرابلس ، له عدد من المؤلفات بالعربية
والفرنسية ، توفي سنة ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م .

انظر : الاعلام / ٥
(٢) ديوانه ١٩-١٨/١ .

ويعرج على المشيطين والمتواكلين ، محذرا الأمة منهم ،
 مجدا في طلب التبكير إلى التبرع .
 ويمص حال أهل "طرابلس" وماهم فيه من مشقة وخوف ،
 لاماوى لهم ، اسراهم بيد العدو لاناصر لهم إلا الحشرات
 والدموع الجسام .

أهل العزيمة ليس اليوم يوم ونى
 وليس يُحمد بعد اليوم معتزم
 هذى طرابلس تدموكم لنجدتها
 فشاطروها الأسى أو تُفرج الأزم
 أموالكم لم تكن تفلو وانفسكم
 جودوا بها في سبيل الله واعتنموا
 لايقعدن بكم قول المريب إلا
 لا تنمروا الله إن الله مُنقِم
 فذلك وسوسة الشيطان زينها
 من مسه هومن أو مسه لمم
 هبوا سراعا فانتقم في الندى دفع
 من الغمام وانتقم في الولى عصم
 اخوانكم في العرا مرمى ونسوتهم
 مرومات ، ولاماوى ولا حرم
 اسرى القيود سبايا لانمير لها

الا الزفير وإلا الاسمع السجم (١)
 والشاعر ممد إلى أفعال الأمر ومافى معناها ،
 وما تضمنته من تنبيه الغافل ، شاطروها ، جودوا ، هبوا ،

(١) ديوانه ، المجموعة الأولى ص ١٠١-١٠٢ .

وقوله "إخوانكم" ، ووصفه لحالهم فيه حفز على المبادرة للتبرع والإغاثة .

ويلقى "شكيب أرسلان" فى حفل جمعية الهلال "بالقاهرة" قصيدة يحث فيها الناس على الإنفاق ، ويشير إلى أن ذاك سوق البر والرحمة ، من ابتاع فيه نال الباقيات المالحات ، كيف لا وفيه إغاثة للمظلوم ، واستجابة لمرخاته ، وتضميد لجراحه وإطعام لمائم صبر فى ساحة الجهاد لأنه لا يجد ما ياكل .

ثم يشيد بالهلال رمز الخلافة العثمانية وشعارها ، فهو الهادى وسط الخطوب التى داهمت الأمة .

ويثنى على المتبرعين ويخص والده "عمر طوسون" بآيات طراء دورها الفعال فى المساهمة والتشجيع لمالك المجاهدين . ويشير إلى فرح أهل البلاد المجاهدة ، واستبشارهم بنصرة إخوانهم حتى خالها تصافح المتبرعين بقلوبها لابيدها .

اِخْلَايَ سُوْقَ لِمَنَايَا مُقَامَةٍ

تُبَاعُ حَقًّا فِيهَا غَوَالِي الْجَمَاجِمِ

فَهَلْ لَكُمْ فِي سُوْقِ بَرٍّ وَرَحْمَةٍ

تَنَالُونَ فِيهَا بَاقِيَاتِ الْمَنَامِ

غِيَاثًا لِمَظْلُومٍ وَنَمْرًا لِمَارِخِ

وَمُسَدًّا لِمَجْرُوحٍ وَقُوَّةً لِمَائِمِ

كَفَى بِالْهَلَالِ الْأَحْمَرِ هَادِيَا

لِمَنْ حَارَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ دَاهِمِ

وَإِكْرَمَ بِأَمِّ الْمُحْسِنِينَ الَّذِي طَمَسَ

جَدَاهَا كُلَّ الْعَيْلِمِ الْمُتَلَاظِمِ

سَلِيلَةُ الْهَامِي فِيمَنْ كَسَلُ جَانِبِ

لَهَا نَسَبٌ نَحْوَ الْبُحُورِ الْخَضَارِمِ

واجدرّ بقومٍ أمطرتهم هباتها
 بأن يأمَلُوا قُربَ انفراجِ المآزمِ
 وحاشا بلاداً أنتم عن يمينها
 يفتُّ بأعضادٍ لها ومعاصم
 تخيلُها شوقاً على بُعدِ دارها
 تصافحكم بالقلبِ لا بالبراجم (١)

ويبدأ "الغزلة دار" إحدى قصائده بوصف أوضاع
 المجاهدين ، إذ يستلهم عن حال الشكلى والجرحى والأيّتام
 الذين سحقتهم الحرب ، فاعينهم مشرّبة لإخوانهم مسترحمين ،
 ويزيد الأمر توضحاً بقوله : إنهم ما بين نائحة ونادب ،
 ومكثوم يئن من وطأة جراحه فمن ذا يواسيهم ويضمّد جراحهم ؟
 ويتفق مع "شوقى" فى أن البذل وتخفيف مأساة الإخوة منتهى
 البر والإحسان .

وبعد عدة أبيات يعود إلى موضوع البذل والعطاء ،
 مستنغراً الجموع مقارناً بين حالهم وحال المجاهدين ، مبيناً
 الملة بينهم من رحم ودين ، ويدعوهم إلى الجود بالمال كما
 جاد أولئك بالأنفس .

مَنْ لِلشَّكَاىِ وَلِلجَرْحَى وَأَيَّامِ
 أودى بهم حربٌ طفيانٍ وإسلام
 لقى الجميعُ إلى إخوانهم رَمَقاً
 مُسترحِماً لمواساةٍ وإكرام
 هذى تنوحُ وهذا نَادِبٌ أبه
 وذا يئنُّ لوجعِ جُرحه دام

من ذا يُواسي بخضميدٍ معاطبهم
فمُنْتَهَى البرِّ تخفيفُ لآلام

.....

أولئك القومُ مَرعى في معاطبهم
مَسْجُونُونَ بِآلامٍ وَأَسْقامٍ
وانتمُ في ظلالِ الأَمْنِ مُرْتَعِكُمْ
ألم تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَمَلَاتِ أَرْحَامِ
أيضاً وجامعةُ الإسلامِ تَرْبُطُنَا
بهم وتُحْكِمُ رِبْطاً أَيْ إِحْكامِ

جودوا عليهم كما جادوا بأنفسهم
فَمُبْلَغُ العلمِ إِنْعامٌ بِإِنْعامِ
وإنَّ الشَّجَاعَ سَخَى الكَفِّ يُشْبِهُهُ
هما الشقيقانِ مِقْدَامٌ لِمِقْدَامِ
كلاهما أبداً وإنَّ أزمَةَ "عُرُفَتِ

(١)

تجده للوطن المستبسل الحامي

والشاعر وإن لم يمل إلى مصاف الشعراء المتقدمين
- كشوقي وحافظ والرماضي - إلا أنه ممن خطا بالشعر خطوة نحو
الامام في المغرب العربي .

فالمصورة في البيتِ الثاني تعتبر ذات قيمة مناسبة في
الحديث عن الجرحى "القي الجميع إلى اخوانهم رمقا" .
والفاظه تفيض بالعطف مما يساعد على استجاشة القارئ ،
"مسترحماً لمواساة واکرام" ، تنوح ، نادب ، يئن ، يواسي ،
"مسيجون بآلام وأسقام" وتركيزه على أنواع الملة بين
المجاهدين وإخوانهم في بقية البلاد الإسلامية كالرحم والدين

وهما أشد الأنواع إشارة في حق الإنسان المسلم . إلا أنه في بعض أساليبه ركافة نحو "أودى بهم حرب طغيان وإسلام" فلفظة "إسلام" هنا حكمتها القافية ، وقوله "أيضا" في هذا المكان ليست مناسبة .

(١) ويقول "سالم بن حميدة" من تونس في إحدى قصائده :

أيها المسلمون للهجاهوا
فقد جاءكم في النص فرهاً مؤكداً
وجودوا ببذل المال والنفس

(٢) فلاخير في عيش يكون منكداً

والبيتان ركيكان ومتاهتان أسلوباً ، إلى جانب اختلال الوزن فيهما ولكنها تعطينا هي ومثيلاتها صورة عن مدى التجاوب العام الذي ساد عند شعراء الاقطار الإسلامية .
(٣) ويثنى "صالح السويسي" على المتبرعين على لسان أحد الجرحى ، ويحث الناس على اغتنام تلك الفرصة ، لتثقيل موازينهم من المالحات .

اهلاً بكم ياكرام المسلمين ويا
من قد أشادوا إلى الإسلام أركاناً
لأتخلوا في اكتتاب للهلل بدا
فسوف يملئ بخيل القوم نيراناً
إن اليثامى وجرحى الحرب كلهم
يدمو لبأذلكم سراً وإعلاناً

(١) سالم بن محمد بن حميدة الاكودي ، حفظ القرآن ، ودرس بالزيتونة ، كتب في عدد من الصحف ، كان مشهوراً بالخطابة .

انظر : تاريخ الشعر العربي الحديث .

(٢) جريدة الاقبال عدد ٤٣١ في ١٢/١٩١٢م بيروت .

(٣) صالح السويسي القيرواني ، ولد سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م ،

بالقيروان ، تعلم بالزيتونة ، من رواد النهضة

الشعرية بتونس ، له عدد من المؤلفات منها ديوان شعر

توفي سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م .
انظر : مقدمة ديوانه ، الاعلام ٣/

إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ الْحَقَّ فَاعْتَنِمُوا
حَجًّا يَثْقَلُ فِي الْأَعْمَالِ مِيزَانَنَا
هَيَّا ابْذُلُوا فِي عِلَاجِي الْمَالِ وَاعْتَنِمُوا
(١) كَيْمَا أَعُودَ إِلَى الْهَيْجَاءِ جَذَلَانَا

ولم يقتصر "أحمد محرم" بما أوتي من حس تجاه قضية
"طرابلس" على الثناء على الرجال وأم المحسنين لما قاموا
به من دور في إلغاشة ، بل أثنى على النساء الأخريات ،
فخمن بقميدة بين الجهد الذي قمن به ، ويمكن أن نقسم هذه
القميدة إلى أربعة مقاطع :

(أ) حركة النساء وسرمتهن في حضور الدعوة التي أقيمت في
سوق الإحسان "بدمهور" ، ومحاولة الشاعر اعتراضهن في
الطريق وبث ما يكنه فؤاده لهن من حب ، ولكنهن لم
يعرنه أي اهتمام ، ويصف حالهن أنهن من ربات النعيم
"ورحن يباحكن النعم" .

(ب) وبعد أن يحلف لهن ما بلغ به الوجد نحوهن ، ويتبين ظهر
حبه ، وأنه تابع من إعجاب بالدور الإسلامي الذي يقمن
به ، أقبلن نحوه وعظفن عليه .

(ج) ذهب النساء يدورن على المحسنين ، لاليجمن المال لهن
"ولاهن ممن حرمن الفن" ، ولكن لإصلاح الفساد الذي لحق
بالمجاهدين من كيد العدو ودماره .

(د) الدعاء العام لكل من بذل للمجاهدين ، ليشد قواهم ،
ويشبه تدافع النساء في السماح والعطاء بتدافع
الجنود على العدو في ساحة الجهاد .

(١) ديوانه ص ٢٤٢ ، ط/الدار التونسية للنشر ، تحقيق نجوى
الكافي .

نَفَرُنْ أَصِيلاً كَسْرَبَ الْمَهْمَا
 أَعَارُضَهُنَّ فَيَلُوبِذْنِي
 أُنَاشِدُهُنَّ ذِمَامَ الْهَوَى
 تَوَزَعْنَ أَشْطَارَ هَذَا الْفُؤَادِ
 وَرَحْنُ يَسَاحِكُهُنَّ التَّعْيِيمُ
 حَلَفْتُ لِهِنَّ بِأَمِّ الْكِتَابِ
 وَنَاشِدْتُهُنَّ ذِمَامَ "الْمَلَالِ"
 فَأَقْبَلْنَ مِنْ جَنَابَاتِ الرِّيَاضِ
 فَمَافِئْتُنِّي فَلْتَمَتُ الْأَكْفُفُ
 ذَهَبْنَ يَطْفُنَّ عَلَى الْمُحْسِنِينَ
 وَمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ هَمٍّ هَنَّ
 وَلَكِنَّهُنَّ مَدَدْنَ الْأَكْفُفَ
 رَكِيئِينَ لَجَرَحِي كَسَاهَا الْحِفَافُ
 جَزَى اللَّهَ قَوْمًا دُعُوا لِلثَّوَا
 ذِ وَأَنْتَبَتْ تَسْوُ كُلُّوْمَ الْفُزَاةِ
 تَدَافَعْنَ فِي عُمَرَاتِ السَّمَاعِ
 جَزَى اللَّهَ كُلَّ فَتَى مَاجِدٍ

يَشْرُونَ الْهَوَى وَيَهْجُونَ الْجَوَى
 وَيَمْضِينَ مَبْتَدِرَاتِ الْخُطَى
 وَلَوْ ذُقْنَهُ لَشَفِيئَ الْمَدَى
 فَشَطْرُ هُنَاكَ وَشَطْرُ هُنَا
 وَيَقْتُلْنِي إِشْرُهُنَّ الْبُكَاءِ
 لَقَدْ بَلَغَ الْوَجْدُ أَقْصَى الْحَاشَا
 وَمَافِيهِ مِنْ رَحْمَةٍ أَوْ هَدَى
 رِيَّاحِينَ مُخَمَّلَةً بِالنَّدَى
 فَلَمَّا انْطَلَقْنَ لَحْمَتُ الْخَرَى
 فَحَرَّكَنَّ كُلَّ يَدٍ لِلنَّدَى
 وَلَا هُنَّ مِنْ حُرْمَنِ الْغِنَى
 لِزَابِرِ الْخَيِّ وَلِكَشْفِ الْأَدَى
 سَوَابِغُ مِنْ فُلُقٍ يُمْتَرَى
 لَ فَفَافَتَ أَكْفُهُمْ بِاللَّهِ
 وَتَشَعَّبَ مِنْهَا صَدِيعُ الْقَوَى
 تَدَافَعُمْ فِي غِمَارِ الْوَقَى
 يَمُونُ الذَّمَارُ وَيَحْمِي الْحَمَى (١)

والشاعر اتخذ من الفعل المضارع أداة لبيان سرعة
 استجابة لأولئك النسوة ، وكذا البوح بعاطفته نحوهن ، وقوله
 "وناشدتهن ذمام الملال" إبان عن عفاك حبه وطهره .
 ويقودني هذا المبحث الذي عالجت فيه الدعوة إلى
 التضحية بالمال لإمداد المجاهدين إلى استنفاج مايلي :

(١) ديوانه : السياسيات ١٩٦/١-١٩٧ .

أن توالى الحروب ، وتعاقب الأحداث على بلاد المسلمين
فجر في النفوس ينبوع الرحمة ، والميل إلى التضحية بالمال
في سبيل نصره الحق ، وإغاثة الجريح والمنكوب ... ومن ثم
انبثق هذا ينبوع بعينه على صفحة الأدب الحديث شعره
ونثره .

أخرجت هذا الأحداث المرأة المسلمة المثقفة من صمتها ،
ومن عزلتها عن متابعة الأحداث فشاركت بجهداتها في جمع
الأموال .

ومن هنا يزعم الباحث أن شعر الجهاد انعكس أثره على
الحياة العامة ، وعلى أغراض الأدب بمنحها قوة ، ويخلصها من
آفات السقم ، ويفجر فيها مشاعر وأغراضا جديدة .

(٣) الجهاد بالنفس :

مثلما دعا الشعراء إلى الجهاد بالمال لمساعدة
إخوانهم ، دعوا أيضا إلى الجهاد بالنفس وبذل كل جهد لصد
العدوان ، ومناداة جميع المسلمين إلى الوقوف في صف
إخوانهم ، لئلا تذهب تلك البلاد نهبا بأيدي الطامعين .
فيهيّب "سالم بن حميدة" بالمسلمين الالتحاق بجموع
المجاهدين لنصرة خادم البيت الحرام ، فعذى "برقة" أحاط
بها العدو .

كُنَادِي الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ أَرْضٍ هَلِّمُوا مَدْعَنِينَ إِلَى الْأَمَامِ
هَلِّمُوا يَا بَنِي الْإِسْلَامِ جَمْعًا لِنَصْرَةِ خَادِمِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ
هَلِّمُوا بِرُقَّةٍ حُقَّتْ بِقَمٍّ يُرَى مِنْ دُونِهِ هَوْلُ الرَّحَامِ (١)
ويهيّب بجميع المسلمين أن يجاهدوا في سبيل الله نصره
للدّين والوطن .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لِلَّهِ جَاهِدُوا
فَقَدْ جَاءَ فِيهِ النَّصْرُ فَرَضًا مُؤَكَّدًا
هَلِّمُوا لِنَصْرِ الدِّينِ وَالْوَطَنِ الَّذِي
يَحِقُّ عَلَيْنَا نَصْرُهُ مَدَى الْمَدَى
فَإِنْ مِنْ الْإِيمَانِ حُبٌّ دِيَارِنَا (٢)
وَأَوْطَانِنَا وَالرَّوْحَ دُونَهَا الْفَدَى

ويبدو أن المحفّ إبانتذ كانت ترحب بنشر كل ما يورد
إليها تشجيعا وتدريباً حتى ولو كان ضعيفاً .
ويدعو "محمد الباسومي الرملي" المسلمين أن يهبطوا (٣)

(١)، (٢) جريدة الاقبال عدد ٤٣١ في ١٢/١٢/١٩١٢م بيروت .
(٣) لم أعثر على ترجمته .

لحماية البلاد ، ولدفع العدوان الإيطالى ، والتنبيه لما
يبيته الغرب لهم .

هلموا بنى الإسلام واحموا بلادكم
فليس لنا شأن ونحن قعود
واملوا على الظليان واغلو ديارهم
فليس لمن خان العهد عهد
وشنوا عليهم تارة بخيولكم
وشدوا عليهم حملة لتسودوا
افيقوا بنى الإسلام فى الغرب فجأة
تناوشكم ايدى العدى وتعود
فمن مات منا فى الجهاد فائته
شهيداً ومن يبق فذاك سعيد

ولا يكتفى الشاعر بحث عامة المسلمين بل يوجه الخطاب
إلى الخليفة ويطلب منه أن يأخذ بيد الجنود إلى أرض
المعركة ، ويرد كيد الغرب الحاقد ، ويمك الخليفة بالمهابة
والرشاد والحمية .

خليفةنا يا ذا المهابة خذ بنا
فهذى جنود جُمعت ونقود
خليفةنا يا ذا الرشاد امد لنا
شئوننا لها بعد الهبوط مُعود
خليفةنا يا ذا الحميصة لاتدع
لزيد بدا فى الغرب فهو حقود
لنا الشرف الاعلى إذا كنت قائدا
لحملتنا فسانهض فانت عميد (١)

(١) السابق عدد ٤٤٢ سنة ١٩١١م بيروت .

وتكرار نداء الخليفة على النحو الذى ساقه الشاعر فيه
إشعار بأنه هو معقد الرجاء ، ولا أمل فى النصر إلا أن يؤازر
المجاهدين بجند من عنده ، لاسيما وقد جمعت الأموال من دوى
النخوة .

ونداؤه "ياذا الرشاد" فيه تورية باسمه ، إذ كان
"محمد رشاد" هو الخليفة أيامها .

وفى الأبيات على ضعفها وتهافتها شعور يسود عامة
المسلمين ببغى الغرب وعدوانه ، واغتنامه فرصة فرقة
المسلمين وضعفهم .

ومع أول هجوم إيطالى على "طرابلس" كان "شكيب أرسلان"
فى ساحة المعركة فى "الجبل الأخضر" يرسل صيحة مدوية يستنفر
فيها المسلمين إلى المضى لساحة الجهاد ، ويؤكد أن السبب
فى تناول العدو هو سكوننا عن مناجزته ، ويوضح أن من أراد
العلا فعليه بالقوة والمبر على كرات الليالى والايام .

سراعاً بنى أمى بِكَتْ ظُؤُونِهَا

فما حرَّك الألامَ غيرُ سكونِهَا

.....

لعمرو المَعَالى ماعدُونْ ديارَنَا

ولاخربَكْ إِلا بطُولِ هَدُونِهَا

.....

يَعافونَ مورودَ الصَّعَابِ إِلَى المُلا

ولامجدَ إِلا بارتقاءِ حَزُونِهَا

فَمَنْ يَرِدِ الأَيَّامَ بَيْضاً فَلَايَكُنْ

جزوعاً لكراتِ الليالى بِجُونِهَا

ويقول : إن الطليان مضممون على الإجهاز على الأمة ،
ويؤكد تأكيد من مقلته التجربة ، أنهم حاقدون ولا يمكن أن
يزول حقدهم علينا ، وإن عدوانهم لاظهر دليل على ذلك .

تَعَدُّوا حَدُودَ الصَّبْرِ حَيْفًا بَايَةً

غَدَوَالِبَدًا فِي عَزْمٍ قَطَعَ وَتَيْنِهَا

وقد طالما بحثنا نُفَالِطُ أَنْفُسًا

وَنَبْغِي مِنَ الْأَعْلَاجِ سَلَّ مُنُونِهَا

إلى أن تجلّى العزم لأحجب دونه

وقصر بالأعداء نصّ مبينها

ويستحث العرب خاصة أن يستبسلوا في الذود عن البلاد ،
ويظهر حزنه وإسائه على أخوته الطرابلسيين ومايلقونه من عنف
وماهم فيه من بؤس ، ويستنهض الهمم ببيان أن الأمة إن رضيت
بذلك الضيم الذي حاق بالاهل ، فإن المذلة ستحقق بها من
جاء نكوصها عن الجهاد ، لذا يعلن أن وقوف المسلمين مع
إخوانهم واجب تحتّمه صلة الرحم والقرباة ، قضاء لبعض
الواجب ، ويقسم أنه لن يقبل الضيم ، ولن يلتذ بالمنام ،
مادام الإخوة يكابدون المشاق .

فَدُونَكُمْوَا يَا أَيُّهَا الْعَرَبُ حَمَلَةٌ

نَزَارِيَةٌ فَاسْتَبْسِلُوا لَزَبُونِهَا

وصنّوا ذِمَارَ الْمُلْكِ شَدًّا فَلَمْ يَمِلْ

سُرُوجَ الْمَطَايَا غَيْرَ رَخٍ وَفَيْنِهَا

هُنَاكَ لَنَا فِي جَانِبِ الْغَرْبِ إِخْسُوءٌ

تَسُوْمُهُمُ الْبُؤْسُ الْعِدَى بِفُنُونِهَا

بَكَيْنًا لَهَا فَحْنُ الْأُولَى مَا تَعَوَّدَتْ

مَدَامُعُهُمْ فِي الْخُطْبِ بِذَلِكَ مَمُونِهَا

فإن نحنُ قارَرْنَا على ضيمِ أهلِنَا
 قهيهاتَ نرجو العزَّ مِن بعدهوئِها
 ترى النغمُ دينا وقفَةً في صفوفِها
 قفَاءً من الأرحامِ بعفَرِ ديونِها
 فما الشامُ والذيلُ السعيدُ ودجلةُ
 سواها لدى أفراسِها وشجونِها
 ووالله لا أعطي المَقْصَادَ لظالمِ
 ولَمَّا آرَدُ بالنفْسِ حوضَ منونِها
 إذا باتَ إخواني ببرقةٍ سَمَدًا
 فكيف تنامُ العينُ ملءَ جفونِها (١)

والشاعر في هذه القصيدة كان أقرب إلى المفكر منه إلى
 الشاعر ، فهو يفلسف القضية ليبين الخطر المحدق ، وفي بعض
 الفاظه جزالة تذكرنا بالشعر العربي القديم كالطعمون
 والسروج والوضين ، وما ذلك إلا لأنه يطلب الجهاد وتلك من
 عدته .

ومن صدق الشاعر في جهاده ودموته أنه عد أهل طرابلس
 وبرقة تارة أهلا وأخرى إخوة .
 ويستنفر "ولى الدين يكن" مخاطبيه للتقدم لميدان (٢)

(١) ديوانه من ١٠٤ وما بعدها .
 (٢) ولى الدين بن حسن سري بن إبراهيم باشا يكن ، ولد سنة
 ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣ بالاستانة ، وأتى إلى القاهرة طفلاً فتوفي
 أبوه وعمه ست سنوات فكفله عمه ، تعلم عدداً من
 اللغات كالفرنسية واليونانية والإنجليزية إلى جانب
 التركية والعربية ، عين عضواً في مجلس المعارف الكبير
 في عهد السلطان عبد الحميد ، له ميولات طورية لذا
 نفى إلى سيواس ، فحمل على السلطان في بعض كتاباته ،
 رجع إلى مصر عند قيام الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م ،
 له عدد من المؤلفات ذات أسلوب رفيع منها "المعلوم
 والمجهول" ، و"الصحائف السود" ، وديوان شعر . توفي
 سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢١م .
 انظر : الاعلام .

القتال ، ويقسم أنهم لن يتركوا "طرابلس" تداين وتدنس من قبل الطليان إلا أن تروى أرضها بالدماء ، وتحول بحارها حمرة ، وآفاقها ظلمة ، عندئذ فاللوم على المعتدى فى تلك الكوارث .

ويا سود استقدمى للأمام	يا علم أخفق يا طبول ارعدى
تدوم بالأرجل تلك العظام	والله لا تتركها للوعدى
وتختفى بطاؤها فى الزمام	حتى تروى أرضها من دم
وتغتدى آفاقها فى ظلام	وتصبح الدماء فى حمرة
(١) من أيقظ الشر عليه الملام	فلا يلما بعدها لائم

والأبيات قوية كأنما أعدت لتكون حذاء الذاهبين للمعركة ، والفاظ الأمر تلمس فى الدعوة للحرب ، فالعلم ، والطبول من علامات الاستنفار للمعركة .

وفى تهديده يدعو إلى التفتيق على العدو فى كل الجهات ويلحظ الصور الخيالية للمعركة فى ذهنه ، فالأرض ستسيل دما والبطاح ستملا من أشلاء القتلى ، والبحور سينقلب لونها حمرة والسماء يعمها الظلام من الغبار والدخان .

على أن القصيدة كما ذكر الدكتور "محمد محمد حسين" "تخلو من كل إشارة للإسلام فهو لا يستنهض الهمم فيها باسم الدين ، ولكنه يستنهضها باسم الحمية لأرض الوطن..." (٢) . ولا يرى الباحث بأسا فى ذلك ، فالدفاع عنها باسم الأرض دفاع عنها باسم الدين .

وينظم "الكاظمى" مطولة رائعة تفيض حماسة وجدية ، يبدأها بمطلع حماسى يبين من خلاله دور القوة ، وكونها أساس

(١) ديوانه ص ٤٩ ، ط/المقتطف ، مصر .

(٢) الاتجاهات الوطنية ٥٥/١ .

المجد ، حاشا الناس على الدفاع عن "برقة وطرابلس" ،
متسانلا كيف يطيب العيش وهما يعانيان من ظلم العدو ، الذى
دمر كل شيء ، مما حتم نصرتها بالنفس والمال ، ويؤكد أن
العدو إن تسلط على دار الإسلام فسيستأصل كل شيء .

لايصدق السيوف ما لم تصدق الهمم
بالساعى القتل يمسى المارم الخدم
إذا الهامة هبت من مكانها
تمزق الخطب وانجابت بها الغمم
الدهر يخفى من غلوانه رهبها
إن جال ذو همّة أو مال معتزم

.....
لامجد ارفع من مجد قواعده
عوامل السمر والمأثورة الخدم
ولاعلم كماله يندو بساحتها
الموت يحكم والارواح تخضع
ممّ البلاء ألا حمداً واقية
جفّ الرّواء ألا وطفاء تنسجم

.....
من ذا يقرب له جنب ومفطجع
والبيت مضرب الاركان والحرم
ببرقة وبني غسازى واختهما
اعنني طرابلس ماث الأزل الغم
خبا سناها وآقوت دورها وخوت
رباعها وعفت آثارها القدم

أَخَذَتْ عَلَيْهَا الْأَعَادَى فِي مَأْمَنِهَا
 فَاقْفَرَتْ وَعَدَّاهَا الْوَابِلُ الرَّزْمُ .
 أَهْلُ الْعَزِيمَةِ لَيْسَ الْيَوْمَ وَنَى
 وَلَيْسَ يُحَمَدُ بَعْدَ الْيَوْمِ مُعَكِّزِمُ
 هَذِي طَرَابُكُكُمْ خَدَعُوكُمْ لَنَجِدَنَّهَا
 فَشَاظِرُوهَا الْأَسَى أَوْ كُفَّرَجُ الْأَزْمِ
 وَبِخَلِّكَ الرُّوحَ الْحَمَاسِيَّةَ يَمْفَى فِي كُلِّ الْقَصِيدَةِ ، وَبَيْنَ
 مَقْطَعٍ وَآخِرٍ يَعَاوِدُ التَّكَايِدَ عَلَى دَوْرِ الْقُوَّةِ ، وَوَجُوبِ الرَّدِّ عَلَى
 الْمَعْتَدَى ، وَعَدَمِ الْيَأْسِ مِنَ النُّصْرِ ، وَأَنْ لَا يَدَّ أَنْ نَشْخَنَ فِي
 الْعَدُوِّ أَنْ أَرَدْنَا أَنْ نَحْمِيَ حُوزَةَ الْإِسْلَامِ .
 وَيَسْتَجِيشُ عَوَاطِفَ الْمُجَاهِدِينَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، بِبَيَانِ مَا أَعَدَّ لَهُمْ
 مِنْهُمَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى { قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى
 الْحُسْنَيْنِ } ^(١) النُّصْرَ أَوْ الشَّهَادَةَ ، إِذْ يَخْلُدُ ذِكْرُهُ فِي صَفَحَاتِ
 الشُّهَدَاءِ ، أَوْ يَعْيشُ مَرْفُوعَ الرَّاسِ بِمَا قَدَّمَ .
 وَيَأْبَنِي الشَّرْقَ لَا تَخْمَدُ عِزَاتُكُمْ
 إِنْ الْفَضِيلَةُ لِلْقَوْمِ الْأَوَّلَى عَزَمُوا
 قَوَائِدُ الْغَيْرِ قَامُوا يَمْبِثُونَ بِكُمْ
 كَيْلُوَالَهُمْ كَيْلَهُمْ فَالْمُتَّقِدُونَ هُمْ
 شِيمُوا الْعِزَاتِ وَأَنْظُوا مِنْ مَضَارِبِهَا
 فَلِلْعِزَاتِ يَعْزُو السِّيفُ وَالْقَلَمُ
 لَا تَشْتَكُوا لِلسَّوَى الْمَمَامِ مَظْلَمَةً
 الْغَامِلُ الْمَوْتُ وَالْمَمَامَةُ الْحَكْمُ
 وَلَا تَرْجُوا مَعِينًا غَيْرَ أَنْفُسِكُمْ
 بِغَيْرِ أَنْفُسِكُمْ لَا يُشْتَفَى إِلَّا لَكُمْ

لأنَّصَفَ يحفظُ لاسلام منعته
 ما لم تُر البيضُ بالهامات كنثيمُ
 جِدُّوا ولا تجعلوا للياس عندكم
 نهجا يسيرُ عليه الاهيبُ البرم
 الياسُ خطٌ متسى تُرسمُ دوائره
 فالجبنُ في كل حرف منه مُرْتسم
 ويأحماء طرا بئس وذا دكها
 الحمدُ يعلو بكم والذكرُ يحثم
 هذى مخارمُ صرح (١)
 وذى مقاليدُ بابِ الفخر فاستلِموا
 من مات منكم شهيدا مات عن شرف
 (٢) كُمحى الدهور ولا تمحى له رقم

ونقرأ مطلع القصيدة فيتدأى إلى اذهاننا قصيدة "ابى تمام"، فى فتح "عمورية" فنجدها على نفس الوزن ، وفيها الكثير من اللفاظ الغريبة نحو الخدم ، الازلم الغشم ، الردم ، وكذا وجود بعض اللفاظ التى يكثر دورانها فى البيئة البدوية "خبث" ، واقوت ، رباعها ، مفت ، اخنت" .
 والشاعر طويل النفس فى معظم قصائده ومنها هذه القصيدة وكلها قوة وحماة .

ويحفل هذا المقطع بعدد من الصور البديعة كقوله :
 إذا القُمامةُ هبَّت من مكامنها
 تمرَّق الخطب وانجابت بها الغُممُ

(١) مخارم : الطريق فى الجبل .

(٢) ديوانه ١٠٨-٩٩/١ .

لامجد أرفع من مجد قواعده عوامل السمر والمأثورة الخدم
وقوله :

البناس خطمتى ترسم دواثره فالجبن في كل حرف منه مركب
وتركيظه على الاخذ بالقوة دلالة على إحسان الشاعر بأن
الامة اقتضت ذلك مما جعله يكرر هذا الامر للتنبية إلى
خطورته .

ويدعو "الرمافي" - في إحدى قصائده - المسلمين إلى
حمل السيف ، والنهوض إلى ساحة المعركة ، لنجدة تلك البلاد .
ألا انهض وشمّر آيها الشرق للحرب
وقبل غرار السيف وارسل هوى الكتف
بلاد غدت في الحرب كندب أهلهما

فتبكي وتستبكي بنى الترك والعرب

قد اغتالها الظليان وهي بكمجج

من الامن لم يفتش برعب على الجنب (١)

ويخاطب "محمد حسن أبي المحاسن" المسلمين وينذرهم ذلك
الخطر الملبى الداهم ووجوب مواجهته زمرة للإسلام ، ووقوفها
في وجه المطامع الأوروبية .

خطر ما مثله من خطر
إنها حرب الملب انبعثت
ما وراء الدين ترجى غاية
أيها الشرق انتبه من نومة
ما أراك اليوم إلا مغنماً
فاضرب التقسيم بالسيف تكن
طرق الإسلام من كل حدب
فابعثوها وهي ترمى بالهيب
وإذا لم نمر الدين ذهب
فجّت الأعمار منها والجقب
عاد مقسوما ونهباً يذهب
حاسماً فيه أمانى من حسب (٢)

(١) ديوانه ٤٧٨/١ .
(٢) مجلة كلية الآداب جامعة بغداد عدد ٧ ، ص ٢٢١ ابراهيم
الوائلى .

وجلى أن الشاعر واضح العبارة ، مستجيشا للعاطفة
الإسلامية تجاه المطامع الصليبية التي تريد ابتلاع البلاد
الإسلامية .

وظاهر أن أكثر شعراء العصر ومنهم هذا الشاعر ، جعلوا
قصيدة "أبى تمام" نبراسا لهم ، ومنهلا يردونه ، مما يعد
عاملا من عوامل الإحياء .

وأما "عبد الحليم الممرى" فبروح الجندية التي تسرى
فى دمه يحادث السلطان "محمد رشاد" مستحثا إياه أن يحمى
الملك من الغزاة ، الذين يدنسون أرض المسلمين ، وأن
يستنفر المسلمين الذين هم طوع بئانه لمقارعة العدو .

بالسيف بالرمح بالقرطاس بالقلم
صوتوا حمى المُلْك واحموا حَوْزَةَ الْعِلْمِ
يا صاحب الحاج هذى أمةٌ بدأتْ

تدنّس الأرض فاعسلْ أرضها بِدَمِ

فى الشرف جند إذا ناديت عن كُثْبِ

عدا إليك على جنٍّ بلا لُجْمِ

ويدعو المسلمين أن يراقبوا الله ويتقوه فى المحافظة
على دينهم وأوطانهم ، ويبرز مكانة طرابلس ، وانها إن ضاعت
فستضيع ممر والحرمان ويذكّرهم أن يستنصروا الله ويطلبوا
منه العون والنصر .

ثم يعود إلى الخليفة ويطلب منه الإذن للجيش بالمشاركة
- مما يوحي بأن الجيش الرسمى العثمانى وبخامة الموجود فى
المشرق لم يشارك إلا متأخرا - ثم يظهر الشاعر حزنه وأساه
على الشرق إذ أضحى بلاقادة يذودون عنه .

اتمبـرونَ على قسومٍ نماردةٍ
حتى تُباعوا بسوقِ الشَّاءِ والنَّعمِ
اللهُ في الدينِ إنَّ الدينَ صارَ على
صحيفةِ الموتِ متلوًّا بكلِّ فـمٍ
إذا طراهُنَّ فاعت فالسلامُ على

من في الكفانة والبيتين والحرم
فاستمرخوا الله يلمزكم على نغـمٍ
طنى عليكم وأرْبى غير مُحْتَسِمِ
مُلْكُ الرِّشادِ اتعدو العربُ قاطبةً
تجارةً فيك مُزجاةً إلى العجم
فاقذى بجيشك لاتحذر عليه اذىً
في كسلٍ مضطرب الأذى مضطرب
ويحيى على الشرق غيلٌ لا أسودَ له

(١)
وكم أسودٍ بلا غيلٍ ولا أجـمٍ
والشاعر مثله مثل غيره من شعراء العصر يستحضر جـدة
القصائد العربية الفاظاً ووزناً ومعنى ، ناهيك بحضور بيت
المتنبي المشهور :

فالخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفنى
والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقـلـمُ
(٣)
ومودة التشبيه والكناية في قوله :
ويحيى على الشرق غيل لا أسودَ له
وكم أسود بلا غيلٍ ولا أجـمٍ

(١) ديوانه ٨٤-٨١/١ .

(٢) كما يقول الدكتور عبده بدوي عن بائنة أبي تمام .

(٣) ديوانه ٣٦٩/٣ .

أبانت عن رؤية الشاعر لمكانة الشرق من الناحية العسكرية ، وكذا رؤيته للطاقات المهدرة من العقول الشرقية مما يمكن توظيفه في خدمة المعركة .

"الله في الدين" أي خافوا الله وحافظوا على الدين ، فكل ما يهدد وجودكم وكرامتكم ويكشف من جهة عن روح الشاعر الدينية .

وفي قصيدة أخرى يثير حمية المسلمين ويحرضهم على الجهاد ، ويطلبهم أن يأخذوا بأسباب القوة في تساؤل مشفوع بالتحريض والإشارة ، ويدعوهم لأن يحموا إخوانهم ، ويخاطب الجيش ويامر بمشاركته وتسييره إلى ساحة القتال .

تَطَوَّعَ يَافَتَى الْهَيْجَا تَطَوَّعَ
فَمَهْمَا إِنْ سَلِمْتَ وَقُلِّ وَأَسْمِعْ
لَأَنْتَ بِمَنْبَرِ الْهَيْجَاءِ مُمَقِّعٌ
"فَإِنَّ الْقَوْلَ مَاقَالَتْ حَذَامٌ"

.....

بَنِي الْإِسْلَامِ مِنْ عَرَبٍ وَتُورِكْ
وَيَجْرَى بِحُرُوكِمْ مِنْ غَيْرِ قُلُوكْ
بَنَى عَشْمَانُ بِالْجَيْشِ الْمَغَازَى
بِمَكَّةَ بِالْمَدِينَةِ بِالْحِجَازِ
أَيُصْبِحُ عَرْشُكُمْ مِنْ غَيْرِ مُلْكِ
وَيُرْمَى بِرُكْمٍ مِنْ غَيْرِ حِمَامِ
بَشُوكْضَبَلْ بَانُورْ بَلْ نِيَازَى
بَبَيْتِ الْقُدْسِ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ

.....

أَجِيرُوا ذَلِكَ الشَّعْبَ الْحَزِينَا
فَدَاوُوا ذَلِكَ الدَّاءَ الدَّفِينَا
أَطِيرُوا فِي الْوُغَى هَذَا النَّسُورَا
أَشِيرُوا ذَلِكَ الْأَسَدَ الْهَمُورَا
لَأَنْتُمْ جَاهُةٌ دُنْيَا وَدِينَا
وَحَلَّوْا عُقْدَةَ الْخَطْبِ الْجَسَامِ
أَسِيرُوا ذَلِكَ الْجَيْشَ الْوَقُورَا
وَأَوَّزُوا زُنْدَهُ تَحْتَ الْقَتَّاسِ (١)

والقصيدة تحمل روحاً حماسية عالية ، وكان الشاعر قالها لينطلق المجاهدون لخرديدها في ساحة القتال ،

(١) ديوانه ٨٧/١ - ٩٠ .

وماتحملة من لغة سهلة يتعاق مع بحر القميدة وقافيتها
وماتشير من انفعال ومشاركة .

ويقام في "الأستانة" حفلة للنادي العربي ، ألقى فيها
الشاعر العراقي "محمد حبيب العبيدي" ^(١) قميدة تروى على
خمسمائة بيت ، "يجول الشاعر فيها جولة طويلة في التاريخ
الإسلامي والعربي مذكرا الشعوب الإسلامية والعربية بما كانت
عليه من عزة وكرامة ... ويقف متسائلا كيف يرضى هؤلاء الأحرار
أن يكونوا أذلة ، وكيف يرفضون للاستعمار أن يستعبدتهم ، وهم
الذين ما عرفوا الاستعمار الذي هو مرادف للموت" ^(٢) . ويشهد
الهمم ويدعو إلى الأخذ بأسباب القوة والتقدم ، ويسأل عن
أسباب النكمة على المسلمين .

سَعِرَتْ كُلُّ أُمَّةٍ وَرَقَدْنَا

فلما الذكُرُ دوننا والثناءُ

كيف ترضى يا شرق أن يكسب الغر

بُ قُخارا من دونك العلياء .

كيف ترضى يا شرق أن يمشى الغر

ب أمامنا وانت تمشى وراء

(١) محمد حبيب بن سليمان بن عبد الله العبيدي ، ولد سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م ، من أهل الإفتاء ، اثنى الفارسية والتركية ، كان مواليا للعثمانيين حتى آخر لحظة وكتب الكتابات المؤيدة لهم داعيا إلى الجهاد معهم إبان الحرب العالمية الأولى ، هرب إلى الهند واعتقله الإنجليز بها ، ناصر ثورة العراق ، وانتخب مفتيا للموصل ونائبا عنها ، له عدد من المؤلفات منها "حبلى الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الإسلام" ، "الفتوى الشرعية في جهاد الصهيونية" ، وديوان شعر ، توفي سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

انظر : الأعلام ٦ / الشعر العراقي الحديث ص ٤٦-٤٧ . (٢)

أَتَمَّامُ الْهَوَانِ دُونَ الْمَنَاسِي
 إِنَّمَا الْمَوْتُ وَالْهَوَانُ سَوَاءٌ
 لَيْسَ دَارُ الْهَوَانِ لِلْحَرِّ دَاراً
 إِنَّمَا الْحَرُّ دَارُهُ الْجُوزَاءُ
 يَا بَنِي الْفَارِ إِنَّ لِلْمَنَادِ حَقّاً
 نَاطَحَتْ دُونَ هَمَمِهِ الْأَبَاءُ
 إِنْ رَضِينَا غَيْرَ الْكَرَامَةِ وَزِدْنَا
 فَمَقَرُّ مَنَا بِشَارِبِيهِ الْمَاءِ
 لَيْتَ شَعْرِي مَا يَنْقُمُ الْغَرْبُ مِنَّا
 أَمْ عَلَى أَبْصَارِ هُنَاكَ غِشَاءُ
 لَيْتَ شَعْرِي مَا يَنْقُمُ الْعُمَى مِنَّا
 (١)
 رَبِّ قَوْمِ أَرْضٍ وَنَحْنُ سَمَاءُ

والقميدة بطولها تدل على مقدرة في النظم وطول نفس لم
 تألفه إلا عند الشعراء الرواد "كشوقي ومحرم" ، ويلحظ في
 هذا المقطع كثرة أدوات الاستفهام ، وما تحدثه من إشارة ،
 كما أن قوله "سهرت ..." يدل على اقتناع تام بتأخر الأمة عن
 ركب الحضارة .

(٢)
 ويهيب "محمد سعيد العباسي" بالامة أن تصبر على الحرب
 وأن تتأخذ بأسباب القوة لرد العدو ، ويستنفر المسلمين

- (١) ديوانه "ذكرى حبيب" ديوان السيد محمد حبيب العبيدي
 ص ٨ ، ط/الجمهورية ، تحقيق أحمد الفنجري .
 (٢) محمد سعيد العباسي ، ولد سنة ١٩٢٩هـ / ١٨٨١م سافر إلى
 مصر للدراسة بالمدرسة الحربية ثم استقال ورجع إلى
 السودان ليلازم أباه ، من طليعة الشعراء في السودان
 إبان النهضة ، أحب كل ما هو عربي وإسلامي ، مع كره
 للغرب المستعمر ولحضرته ، لأنها أذلت بني قومه ،
 يمتاز شعره بالجزالة شأنه شأن شعراء العصر الناهضين .
 أنظر : الشعر والشعراء في السودان ص ٤٤ ، ط/دار
 المعارف بيروت ، أحمد أبو الأسعد .

للذود عن بلادهم ، ولا يتركوها لكل طامع ، كيف لا وقد أبيع
الحمى ، وأمتهنت الأمراض ، ويدعو إلى الجهاد والظفر بإحدى
الحسينيين .

مَكَانَكُمْ إِنَّ الْفَخَارَ هُوَ الْمَبْرُ
إِذَا اشْتَبَكَتْ بَيْنَ الظُّبَا وَالْقَنَا السُّمُرُ
إِذَا ضَاقَ ذَرْعُ الْمَرْءِ مِمَّا يَنْوِبُهُ
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الْمَهْنَدَةُ الْبُشُرُ
فَمَا رَجُلُ الدُّنْيَا سِوَى مَنْ بَعْدَهَا
لَنَجِدْتَهُ إِنْ مَسَّهُ حَادَثٌ نَكْرُ
إِلَّا يَا بَنَى الْإِسْلَامِ هَذَا حِمَاكُمْ
وَهَذَا نَوْرُ الْحَقِّ فِي ضَوْئِهِ فَاسْرُوا
فَإِنِّي أَرَى الْأَيَّامَ تَبْدُو كَانِمَا
لَهَا فَيْكُم فِي كُلِّ شَارِقَةٍ وَتَرُ
أُبَيْحَ حِمَاكُمْ وَاسْتَهَيْنَ حَرِيمُكُمْ
وَاقُوتِ دِيَارُ الْحَقِّ وَاسْتَبْدَلِ الْبُشُرُ
وَلَا بُدَّ إِنْ لَمْ تَجْعَلُوا السِّيفَ حَاكِمًا
تَفُورُ بِكُمْ فِي كُلِّ آوْنَةٍ قَدْرُ

.....

إِلَّا يَا بَنَى عُثْمَانَ وَالْعَرَبِ الْأَلَى
مَفُؤًا وَهُمُّوْ فِي الْكَوْنِ أَنْجُمُهُ الزُّهْرُ
عَلَيْكُمْ بِأَحَدَى الْحُسَيْنِيِّينَ فَإِنَّنِي

(١)

هِيَ الظُّفْرُ الْمُبْقَى عِلَاكُمْ أَوْ الْقَبْرِ

وَالشَّاعِرُ يَعَارِضُ أَبَا تَمَامٍ فِي رَآئِيهِ الْمَشْهُورَةَ كَمَا

سَيَأْتِي ، وَالتِّي مَطْلَعَهَا :

(١) ديوان العباسي ١٠٥/٢ وما بعدها .

كذا فليَجَلَّ الخطيبُ وليَفدح الامر

(١)
فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عذر

(٢)
ويستحث "فؤاد الخطيب" الناس أن يجابهوا العدو ويمدوا
العون لآخوانهم ويلبى كل مجاهد نداء الاعظم من تحت الشرى
تمرخ طالبة الثار .

هل تَعْجُمُونَ وحيلُ الدين منصرم

أم تجزعون وفيكم ذلك الشَّمَمُ

إخوانكم يابنى الإنسانِ تسألُكم

عطفا وإن تبخلوا فاللهُ مُنْتَقِم

لا تجعلوا القولَ عوناً فى الخطوب بكم

أين الثعالُ وماذا تنفَعُ الكَلِم

ياماحبَّ السيفِ والاجالِ واحدةٌ

أسرعُ إلى السَّيفِ لازلتَ بك القدم

يا آل عثمان من تُركٍ ومن عِربٍ

هُبُّوا لقد صرخت تحت الشرى الرَّمَم

يا للخلافة قد ضاقت محاربُها

يا للمروءة والمظلومِ مُتَقَم

اجدادكم يارجال الشرقِ شرقُكم

لا الفيبُ يحجبُكم عنها ولا العدم

(١) ديوانه ٧٩/٤ وما بعدها .

(٢) فؤاد بن حسن الخطيب ، ولد سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٨٠م ببلبنان ،
درس فى الجامعة الامريكية ، بدأ نشاطه السرى سنة
١٩٠٤م ، درس فى الكلية الارثوذكسية ، فر إلى مصر بعد
أن حكم عليه بالإعدام ، انضم للثورة العربية ، وعين
فى مناصب كثيرة إبان حكم فيصل على العراق ، ثم فى
حكم عبيد الله بالاردن ، ثم عقد ملته بعبد العزيز آل
سعود ، وعينه أخيراً سفيراً له بأفغانستان ، استمر
بذلك إلى أن توفى سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م ، له ديوان شعر
مطبوع .

انظر : مقدمة ديوانه ، الاعلام ٥ /

لاتطلبوا من بنى الطليان مألحةً

(١) إن الرزية في أرجائهم عمم

استخدم الشاعر أسلوب الانشاء كالاستفهام والأمر والنهي
لذا كانت ألفاظه حماسية ، مما يناسب الاستشارة ، وادعى
لأفاعة الغافل .

(٢)

ويحذر "نسيب أرسلان" من قبول الهدنة ، وعدم الانخداع
بإماني العدو ، بعد أن اشتبك المجاهدون معهم ، ويؤكد
الانتماء للخلافة ، ومناصرتها .

علام نروم الصلح والصلح شائن

إذا كان متان العدو بما مئى

وأي خسار قد حملنا ببرق

وأي خميس في مدارجها سقنا

فللحرب اهلوها ونحن بنجوة

فما ندعى فضلاً عليهم ولا مئى

.....

ولو لم يكونوا للخليفة شيعة

لما شمروا ديلاً ولا رفعوا رُدننا

فلا صلح إلا أن نمون ديارنا

(٣) وإلا تفلدنا الغمامة ماعشنا

(١) الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث ١/٢٦٠ ،
د. محمد عفيفي ، دار الكشاف ، بيروت ، ولم أجدها في
ديوانه .

(٢) نسيب بن حمود حسن بن يونس أرسلان ، ولد سنة ١٢٨٤هـ/
١٨٦٧م ، تعلم في بيروت ، والشويفات ، أحب الشعر
الجاهلي وحفظ كثيراً منه ، عين مديراً للشويفات ثم
أعفى ، عين عضواً في نادي الاتحاد والترقي ثم تركه ،
وأشهر العزلة في آخريات حياته ، له مسرحية شعرية
"واقعة سيف بن ذي يزن مع الحبشة" ، وديوان شعر ، مات
سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م .

انظر : مقدمة ديوانه ، الاعلام ٨/
(٣) ديوانه : روض الشقيق في الجزل الرقيق ص ٥٣ ، ط/ابن
زيدون ، تحقيق شكيب أرسلان .

ويستشير "محمد بن محمود" "آل عثمان" لحماية طرابلس
ويبين أن العدو يريد القضاء على الإسلام ، ويستفهم مقررا
أنه لا سند للإسلام بعد آل عثمان لذا فالواجب الوقوف إلى
جانبهم لأنه نصر لدين الله :

يا آل عثمان وليس سواكم	حام لنا أنتم حماة دِمَارِ
ليست طرابلساً سوى أحبولة	نُصِبَتْ لَكُمْ مِنْ طَامِعِ غَدَارِ
كيما يزال الدينُ دينَ محمدٍ	والدينُ جَمُّ الحولِ والانتصارِ
ويُرى الهلالُ ولا راوه مُنْكَسَاً	خزيانَ يرجو عنه كشفُ العارِ
هل بُعدكم للمسلمين ودينهم	من عاصمٍ في ذلك الزَّخَّارِ
حقُّ علينا نصرُكم إذ أنَّهُ	نصرُ لدينِ الواحدِ القهارِ (١)

وكانى بالشاعر وقد خص الأسرة الحاكمة بالخطاب يرد على
الاصوات التى تنادى بتخلى العثمانيين عن حكم المسلمين ،
وقيام الطورانيين والعرب كل فى مكانه بحكم بلاده ، فهى
دعوة إلى الالتفاف حول الخلافة ونمرتها ممثلة فى آل عثمان .
ويخاطب "الكاشف" الخليفة العثمانى فى مطلع قصيدته ،
ويؤكد وقوف المسلمين إلى جانب الخليفة ، فما عليه إلا
المضى فى رد العدوان ، واخذ العدة لمجابهته بالقوة ، فهى
الحكم والفيمل إذ لاشئ يجدى غيرها ، بعد أن كثر العدو عن
أنيابه ، واخذ يحرك الدسائس .

المؤمنون إليك مُتَبَقُونَ
لدمارهم وديارهم قَادُونَ
فاحشد كتائبك التى أعددتها
للحقِّ ابلج والرجاء متيناً

(١) ديوانه ٩٤/٢ ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة .

وَخَذِ الْوَفَاءَ مِنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
 إِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دَهْرِكَ الْمَوْفُونَا
 وَاتْرِكْ لِقَوَّتِكَ الرَّهِيْبَةَ حَكْمَهَا
 تَجِدِ الْعُدَاةَ إِلَيْكَ يَحْتَكِمُونَا
 فِإِذَا امْتَلَكْتَ الْبَاسَ فِيهِمْ غَالِباً
 فَقَدْ امْتَلَكْتَ الْعَدْلَ وَالْقَانُونَا
 عَظُّ يَا امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَمَالِكاً
 ذَهَبَتْ شِمَالاً بِالْأَدَى وَيَمِيناً
 خَافَتْ جَمِيْلَكَ أَنْ يَنْالَ مِنَ الْوَرَى
 مَا لَا تَنْالُ شِرَاسَةً الْبَاقِينَا
 بَاتَتْ تَمُدُّ لَكَ الْمَصَايِدَ عُنْوَةً
 حِينًا وَتَخْتَلِسُ الْمَكَايِدَ حِينًا (١)

فالشاعر يلتقى مع كثير من شعراء العصر إلى وجوب
 امتلاك القوة إذ أن العدو لا يفهم غير ذلك المنطق .
 واسلوب الشاعر سهل والفاظه لا غرابة فيها ، كما أنه
 حشد في هذا الجزء مجموعة من افعال الامر ، وما يقتضيه من
 سرعة فعل المطلوب وقوله "المؤمنين" ، وأمير المؤمنين ، من
 باب تأكيد احقية "محمد رشاد" لامارة المسلمين .
 وأما "محمد عبد المطلب" فيتخذ في سبيل الحث على
 مواجهة العدو فكرة استلزام ماضى المسلمين الاول ، وما فيه
 من عبر يجب على الامة معرفتها لتسلك ذلك السبيل الذى قاد
 الاولين إلى مواطن العزة والكرامة .
 ويورد تساؤلاً مشفوعاً بالحسرة من اول القصيدة عن القوة

ونكوص المسلمين عن الأخذ بها ، فأين الجيش الإسلامى المستجيب
لداعى الجهاد .

ويعرض صوراً مشرقة لبطولة المسلمين الأوائل ممثلين فى
الرسول القدوة - صلى الله عليه وسلم - وكذا بعض من تروى
على يده رضوان الله عليهم . واصفا شجاعتهم وحلمهم وكرمهم
ليصل بذلك إلى حال المسلمين عامة ومسلمى طرابلس خاصة
وما هم فيه من مشقة ، ثم يعبر عن حزنه وآلمه تجاههم ،
نادياً المسلمين إلى الجهاد ورد كيد المعتدين .

بَنَى أَمْنَا إِيْنَ الْخَمِيْسُ الْمُدْرَبُ
وَإِيْنَ الْعَوَالِى وَالْحَسَامُ الْمُدْرَبُ
إِذَا اهْتَزَّ فِى نَمِرٍ الْحَنِيْفِ تَسَاقَطَتْ
نَفُوسُ الْعَدَى مِنْ حُدَّةٍ تَتَحَلَّبُ
وَإِيْنَ النُّفُوسُ اللَّائِ كُنَّ إِذَا دَمَا
إِلَى اللَّهِ دَاعِى الْمَوْتِ فِى الْمَوْتِ تَرُغِبُ
وَإِيْنَ الْجِيَادُ اللَّائِ كَانَتْ إِذَا دَعَا
مُتَوَبِّخِيْلَ اللَّوِّ لِلَّوِّ حُرُكِبُ
وَإِيْنَ الْيُوثُ الْغُلْبُ فِى كُلِّ مَرْقَبِ
يَهْوِلُ الْعَدَى مِنْهَا رُبُوضٌ وَوُثْبُ
وَإِيْنَ قُلُوبٌ يَشْهَدُ الْمَخْرُ أُنْمَا
غَدَاةَ الْوَعَى مِنْهُ أَشَدُّ وَاصْلِبُ
وَإِيْنَ الْحُلُومُ الرَّاجِحَاتُ إِذَا عَمَا
سَنَى الرَّشْدُ مِنْ لَيْلِ الْحَوَادِثِ غِيْهَبُ
وَإِيْنَ الْوُجُوهُ الْمَبْحُ وَالذَّهْرُ سَاهِمُ
وَبَيْضُ الظُّبَى بِالْهَامِ تَلْعَوُ وَتَلْعَبُ
وَإِيْنَ الْعَطَاءُ الْجَمُّ فِى كُلِّ عُسْرَةٍ
يَمُرُّ بِهَا عَامٌ مِنَ الْمَحَلِّ أَشْغَبُ

جزى الله بالرزوان والخير عصابة
 لخير بنى الدنيا جميعاً تعصبوا
 جزى الله فرداً قام بالامر وحده
 وما الناس إلا كافر ومكذب

.....
 فلم يفلحوا كيداً وملتوا طريقه
 كذلك كيد الخاندين مخيب
 فللم يوم الفار والفار جذة
 وجند العدى يغدوا إليه ويذهب
 ونعم رفيق الفار يلقى برجيه
 سمام الاغامى دونه حين يلسب
 جزى الله خيراً شيخ تيم وجنده
 وراياته فى الشرق والغرب كثر

.....
 كذلك سيف الله امسا نصيته
 على الكفر لا ينبو لحديه مفر
 ولدين بالفاروق من بعد موله
 قتل عروش الدولتين وثقل

.....
 فله سعد يوم يزحف جيشه
 على الفرس لايلوى ولايتهيب

.....
 هنالك يهوى عرش كسرى وبعده
 عن الروم سلطان القياصر يذهب
 يمزقهم عثمان كل ممزق
 فيعلو منار الحق والحق اغلب

خَلِيلِي مَالِي إِذْ تَذَكَّرْتَ بَرَقَةً
 بَجَنَّبِي نِيرَانُ الْأَسَى تَقَلُّبُ
 نَعَمْ رَاعِنِي مِنْ نَحْوِ بَرَقَةٍ صَارِخٍ
 يُهَيِّبُ بِأَنْصَارِ الْمَلَالِ إِلَّا أَرْكَبُوا
 دَعَا صَارِخٍ الْإِسْلَامَ يَا تَبْنَى الْهُدَى
 اغَارُ الْعَدَى أَيْنَ الْخُسَامُ الْمُشْطَبُ
 كَانَتْ بِهِ يَدْعُو الْخَلَاةَ مُسَمِّعَا
 كَانَتْ بِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ يُخَوِّبُ (١)
 وَكَرَّرَ الشَّامِرَ الْاسْتِفْهَامَ لِيَزِيدَ مِنْ أُنْفَعَالِ الْمُتَلَقَّى ،
 وَنَوْعِ الْاسْتِفْهَامِ ، وَأَوْغَلَ فِي الْاسْتِقْمَاءِ ، وَالِاسْتِرْجَاعِ التَّارِيخِي
 وَإِنْعَاشِ الْمُتَلَقَّى بِذَلِكَ الشُّعُورِ وَالِدَوْرِ الَّذِي نُمَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ ،
 وَمَا يَحْمِلُهُ مِنْ شَحْذٍ لِلْهَمَمِ فِي أَنْ تَمْلِكَ لَفْظَ الطَّرِيقِ .
 وَنَجَدَ هَذِهِ الرُّوحَ ذَاتَهَا عِنْدَ "أَحْمَدَ مُحَرَّمٍ" فِي إِحْدَى
 قِمَائِدِهِ ، فَيَعْبُرُ عَنْ حُزْنِهِ ، وَحُزْنِ الْأُمَّةِ مَعَهُ لِهَوْلِ تِلْكَ الْحَرْبِ ،
 فَيَهْجُمُ عَلَى مَوْضُوعِهِ مُتَسَائِلًا ، كَيْفَ يَطْيِبُ الْقَرَارَ ، وَتَلْتَذُّ الْأَعْيُنُ
 بِالنُّوْمِ وَالنَّارِ تَسْتَعْرِ .
 وَيَجْسَدُ الْمَلَالُ - رَايَةَ الْعُثْمَانِيِّينَ - إِنْسَانًا يَحْذَرُ وَيَخَافُ
 وَيُرَاقِبُ مَا تَأْتِي بِهِ الْأَقْدَارُ .
 وَيَرْتَاعُ الْحَطِيمُ وَيَشْرَبُ ، وَالْبَيْتُ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ هَوْلِ
 الْمَمَابِ ، وَيَدْلِفُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى السُّؤَالِ عَنْ أَهْطَالِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَوَائِلِ الَّذِينَ رَفَعُوا الْإِسْلَامَ "كَعَمْرٍو عَلَى وَعُثْمَانَ" ، بَلْ أَيْنَ
 الْمَلَائِكَةُ يَقْدَمُهُمْ "جَبْرِيلُ" عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَيْنَ الْمَعَامِ
 وَالْوَقَائِعُ مَعَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَخْفَى مَا فِي ذَلِكَ مِنْ حِفْزٍ لِلْهَمَمِ
 الْمَعَاصِرِينَ ، لِاسْتِجْلَاءِ تِلْكَ الصُّورَةِ الرَّائِعَةِ ، وَاسْتِعَادَةِ ذَلِكَ

التاريخ ، إذ يستثير الهمّة بعد ذلك بصريح العبارة ،
فالمحارم ضاعت فاين الحياة إذا .

اين النفوس الشجاعة ، والعزائم الملبدة ، واين من اذا
دموا للبهل اجابوا ، وإذا استنفروا للجهاد نفروا .

كيف القرارُ ونارُ الحرب تستعرُ
والهولُ مضطربُ البركان منفجرُ
ويح العيون ايفشاها النعاسُ وقد

شفّ الهملُ عليها الحزنُ والسهرُ
يبيتُ يخفقُ من خوفٍ ومن حذرٍ

حرّان يرقبُ ما يأتى به القدرُ
ريحَ الحطيمُ فامسى وهو مُنتفِرُ

واقلقت يثربُ الاحزانُ والذكرُ
ويح الحجيج إذا حانت مناسكُهم

ماذا يرى طائفُ منهم ومُعتمرُ
ايطربُ البيتُ ام تبكى جوانبُه

حزنًا ويُعولُ فيه الركنُ والحجرُ
اين ابنُ عمِّ رسولِ الله يطعنُها

حربًا على كبدى من نارها شررُ
اين اللّواءُ وخيلُ ابله يبعثُها

عمرو ويصرخُ فى اشارها عمرُ
اين المقاديمُ من فهر ومن مُصرٍ

ومن قريشٍ واين السادة الغررُ
اين الملائكة الابرارُ يقدّمُهم

جبريلُ يستبقُ الهيجا ويبتدرُ
اين المعامعُ ترفضُ النفوسُ بها

هلكى ويستنُ فيها النصرُ والظفرُ

أَيْنَ الْوَقَائِعُ تَهْتَزُّ الْعُرُوشُ لَهَا
رُعْبًا ، وَتَنْتَفِضُ التَّيْجَانُ وَالسُّرُرُ

أَيْنَ الْقِيَامُ مَقْهُورِينَ لَأَمْلَفُ
يَنْتَأَى بِجَانِبِهِمْ عَنَّا وَلَا مَقَرَّ

أَيْنَ الْحِمَاةُ وَقَدْ ضَاعَتْ مَحَارِمُنَا
أَيْنَ الْكِفَاةُ وَأَيْنَ الْبَذَاةُ الْغَيْرُ

أَيْنَ النَّفُوسُ تَرَامِي غَيْرَ هَائِبَةٍ
أَيْنَ الْعِزَائِمُ تَمُضِي مَا بَهَا خُورُ

مَنْ لِي بِهِمْ مَعْشَرًا صِيدًا غَطَارِفَةً
مَا مَيَّعُوا ذِمَّةَ يَوْمًا وَلَا غَدَرُوا

إِنْ أَدْعُهُمْ لَجَاءَ الْفُتُورُ ابْتَدَرُوا
وَإِنْ أَصَحَّ فِيهِمْ مُسْتَنْفِرًا نَفُورًا (١)

والشاعر صادق في كل ما قال ، ففي المقطع الأول من القصيدة يتحدث عن عاطفته وموقفه من تلك الحرب ، مصورا أن حال المسلمين كحالهِ ، وأنه لا قرار لهم ، ولا حياة إلا بمجابهة العدو .

لذا نجد في البيت السابع يوضح أن نار الحرب أصلت كبده فمن يطفئها ؟

أَيْنَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ يَطْفِئُهَا

حربا على كبدي من نارها شر

وفي صوره جعل من الأشياء الجامدة أشياء تحس كاللهال والبيت والحطيم ولا يخفى ما في ذلك من براعة فنية .

وكثرة الاستفهام "باين" وإتيانه بما ينقذه من الرتبة والآلية دليل آخر على المقدرة والذخيرة الشعرية ، وإلى

(١) ديوانه : المياسيات ١٧٩/١-١٨٠ .

جانب ذلك استلهم التاريخ الناصع للمسلمين وتوظيفه في استجاشة همم المعاصرين ، وشحذهم لتضحية والفداء .
والشبه واضح بينه وبين "محمد عبد المطلب" في اعتماد أسلوب الاستفهام والنهل من التاريخ ، مع ملاحظة الفرق في المعجم اللغوي بينهما .

(١)
ولم يملك "عبد المطلب الحلي" نفسه حتى نادى جموع المسلمين بكل كيانه ، اذ آلمه هجودهم وثقاعسهم عن نصرته إخوانهم ، كما أنه يرفض الملح الذي قبله الخليفة ، فيسأله بجرأة دافعها الإخلاص عن حقيقة ذلك ، وهل الخضوع للعدو شأن إمرة المسلمين . (٢)

يارسولي للمسلمين تحمّل	مرخةً تملاً الوجود رنيناً
وتعمد بطحاء مكة واهتف	ببنى فاطم ركناً ركيناً
فالحراك الحراك يافئة الله	إلى الحرب لا السكون السكوناً
.....	

أبلغنا على الخليفة قولاً	غثه في المقال كان سميناً
أجدر بالملح ترعى اقتساراً	هل كذا شأن إمره المسلمين
كيف ترعى بالملح والملح عاراً	
ذاك ياباه سيد المرسلين	(٤)

وهذه القصيدة نشرت في جريدة "الإقبال" مع اختلاف في بعض أبياتها نحو قوله في مخاطبة الخليفة وإنكاره عليه :

أجدر بالملح ترعى فنمفى
ننزع السن بعده نادميناً

(١) لم أعثر على ترجمته .
(٢) ، (٣) الشعر العراقي الحديث ص ٥٧ .

كيف ترفض بالملح والملح أمر

مسخط للإسلام والمسلمينا

فأرفض الملح يابن من دوحوها

(١) بشبا المُرَهفات روما وصينا

(٢)

والى "سليمان البارونى" على نفسه - فى اثناء الحرب

الايطالية - الا يخلق شعره حتى يظهر الوطن من رجس الاستعمار

او يلقى ربه .

هذا هو الشعر الندى	شهد الحروب الهائلات
وعليه أمطرت القنسا	بل كالمواضع نازلات
خاض المعامع لايها	بعلى الجياد المافئات
حباً بتطهير الموا	طن من بنى الايطاليات
اليت ان يبقى الى	ان يعبر الجند القنسا
لنرى الغزاة على ضلها	في الذيل تفتك بالبفسا
ونرى طرابلس العزيز	ة فى ليالى باهرات
تختال فى بر الهنا	بالانتمار على الطففا
وتسود اعلام الخليفة	فى بلاد القائنات
ونرى الهلال متوجاً	جزر المحيط الخالدات
إن ذاك يخلق بين اف	واج الاعاظم والغزاة
ما بين تهليل وتكب	(٣) سير وتقديم المللات

- (١) جريدة الاقبال عدد ٤٦٥ فى ايلول ١٩١٢ م .
- (٢) سليمان بن عبد الله بن يحيى البارونى ، ولد سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م ، تعلم فى مصر وثونس والجزائر ، كان عضواً فى مجلس المبعوثين ، جاهد الطليان ورفض ملح الاتراك معهم ، استقر به المقام فى عمان واصبح مستشاراً لسلطانها لموافقته إياه فى المذهب ، ثم مرض وسافر إلى بومباى للاستشفاء فمات بها سنة ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م .
- انظر : الاعلام ٣ /
- (٣) الاتجاهات الوطنية فى الشعر الليبي ص ٢٢٥ .

والشاعر لا ينسى بعمومه هموم جирته ، بل يذكر الممريين
أيضا ومصائبهم بالاحتلال الإنجليزي ، ويتطلع إنان يسود حكم
العثمانيين جميع البلاد المطلوبة .
ويدعو "محمد بن يحيى الأرياني" اليمنيين بل والعالم
الإسلامي إلى النهوض لمقاومة العدو ، بعد أن زحف بخيله
ورجله على بلاد المسلمين ، ويأمرهم بالمبر والثبات في وجهه
ويحذرهم من التفاضي عن أطماعه في البلاد الإسلامية .

أَمْعُ الْعَجَزِ أَنْتَ تَرْجُو حُصُولًا
لِلْمَعَالَى وَتَبْلُغُ الْمَامُولَا

.....

فَانْتَهَضَ مَسْرِعًا بِغَيْرِ حَوَانٍ
وَانْجَدَ السَّيْرُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
وَاقْطَعَ الْخَافِقِينَ بَرًّا وَبَحْسًا
فَرَسًا فَرَسًا وَمِيلًا فَمِيلًا
وَاقْصَرَ السَّادَةَ الْكِرَامَ جَمِيعًا
خَلَقَ عِزًّا سَمَا وَمَجْدًا أَشِيلًا
وَجَمِيعَ الْكُمَاةِ فِي الْيَمَنِ الْمِيمِ
نَ أَعْنَى شَبَابَهَا وَالْكَهُولَا
ثُمَّ سَرَّ بِالْمَطَى شَامَا وَرُومَا
وَبِلَادَ الْإِسْلَامِ مَرْفَا وَطُولَا
قُلْ لَهُمْ مُعِينًا بِنَا عِدَانُكُمْ
شَمَّرَتْ نَحْوَكُمْ تَجَرُّ الدِّيُولَا
أَصْبَحَتْ تَشْتَمِي الْقَطَاوِلَ إِذَا سَا
قَتَّ إِلَيْكُمْ جِيُوشَهَا وَالْخِيُولَا

(١) كان قاضيًا وحاكمًا لميدى ولم أعثر على ترجمته .

فانهضوا نحوهم ببحر خميس
 ورعيل في الحرب يخلو رعيل
 وصدقوهم عند اللقاء بطعن
 وبضرب يروى الحزار المقيلا
 وامبروا عند شدة الباس قال
 له تعالى يقول مبرا جميلا
 لاتهابوهم وإن كثروا الجم
 ع فقد يرجع العزيز ذليلا
 إن تغافيتهم فعمّا قليل
 (١)
 يهدمون البنا قليلا قليلا

والقميدة مليئة بالطباق مما يعكس ولع الشاعر به ،
 شأنه شأن لداته من الشعراء القليلي الموهبة نحو قوله
 "بكرا وامبلا" ، "شبابها والكهولا" ، "برا وبحرا" ، "عرضا
 وطولا" وعلى ذلك فهي ليست من الشعر العالى إلا أنها تعطينا
 مدى التجاوب الإسلامى تجاه هذا الغزو ورغم تجرع اليمن غصصا
 جمة من الاتراك .

(١) أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ٢١٧/١ ، ط/المطبعة
 السلفية ، تأليف محمد بن محمد المنعانى .

شوق بعض الشعراء للجهاد :

شارك بعض الشعراء فى الجهاد بنفسه "كشكيب ارسلان" ،
و"نسيب ارسلان" ، وعبر من لم يشارك عن شوقه للمشاركة ، مما
ينبئ من عاطفة وأخوة صادقة ، تجاه إخوانهم فى ميدان
الجهاد .

فتمنى "محمد بن محمود" أن يكون مع المجاهدين ليشترك
بسنانه ولسانه ، حتى يحشر فى صفوف الشهداء الأبرار .
ياليتنى بين الصفوف مجاهدٌ لَمْ بِالْأَسْيَافِ وَالْأَشْعَارِ
حَتَّى إِذَا اسْتَشْعَدْتُ رُدَّتْ مِعْزَةٌ وَإِذَا حُشِرْتُ حُشِرْتُ فِي الْأَبْرَارِ (١)
وتمنى "الكاشف" أن يكون ضمن البعثة المصرية التى
ذهبت لنجدة المجاهدين ، ليواسى الجرحى ويغيثهم ، ويؤبن
الشهداء ، ويرى أرواحهم وهى تمعد لمستقرها فى عليين ،
وكذا رؤية الأبطال المدافعين ، وهزيمة المعتدين .

ياليتنى سَايَرْتُ بَعَثَتَهَا عَلَى
أَسْوَجَرِيحًا أَوْ أَغْيَثَ طَعِينَا
وَاطْلُوفُ الشَّهْدَاءِ فِي مِيْدَانِهِمْ
فَاهَزَّ شَمَّ جِبَالِهِ تَابِينَا
وَأَرَى النَّفُوسَ الْحَائِمَاتِ عَلَى الْوُغَى
مِنْ بَعْدِ مَا لَحِقَتْ بِمَلِيَيْنَا
وَمَزَانِمُ الْأَبْطَالِ حَوْلَ جَمَاهِمِ
مَشْدُودَةٌ وَهَزَانِمُ الطَّاعِينَا (٢)

(١) ديوانه ٩٤/٢ .

(٢) ديوانه ١٩/٢ .

ويعبر "الكاظمي" عن حزنه لما حل بالمجاهدين من
مشقة ومنيت لدرجة انه لم يستطع النهوض لما أصابه من الآسى
والفنى ، ولكن إن فاتته الجهاد بالسيف فلم يفتته بلسانه .

قلبي وطرفى على ما حلَّ مفعما

دمعٌ وحزنٌ فمَشُورٌ ومُنْتَظَمٌ

أبغى النهوضَ فأهوى من أسى وضمي

وكيف ينهضُ مانٍ شَفاه السَّقم

إن فاتنى نصرُ فرسانِ الوغى بيدي

(١) فكم أفادُ لسانى فى الوغى وفم

ويعتذر "مبدد الحليم المصرى" - وهو شاعر جندى - عن
المشاركة لانه غير مقتدر على ذلك ، بعد ان عبر عن حزنه
واساه لما أصاب برقة وطرابلس .

يا أرضَ برقةَ من دارٍ ومُزدرِعِ

تُسْقَيْنُ بالدمِّ ام جُسْقَيْنُ بالمطر

مروعةُ الأهلِ حَسْرَى عن كوارثِها

يجتازُها الدَّهرُ بين الخوفِ والحذرِ

بنى طرابلسَ من مُجْتَازِ ساحتكم

حتى يبالغَ فى تحنانٍ مُعتذرٍ

لكنَّتُ أولَ من شقَّ الغُبارَ لكم

(٢) لولا ارانى عليه غيرَ مُقتدرٍ

ويشتاق "الرمافى" للمشاركة فى المعركة ، ويعز عليه
أن يمتطى إخوانه بلظى الحرب ، ولكن كيف السبيل للوصول
إليهم كما يقول فالمسافة شاسعة ، والبحر حائل بيننا ،

(١) ديوانه - المجموعة الثانية ص ١٠٩ .

(٢) ديوانه ١٠٦/١ .

والخيل لاتستطيع اجتيازه ، لذا فيدعو البحر أن يجمد ،
والسحاب أن يهطل ليحمل الجيش ، وكذا يأمل من الرياح أن
تهب لتوصله إلى تلك البلاد التي دنسها العدو ليدفعه منها .
يَعِزُّ عَلَيْنَا أَهْلَ بَرْقَةِ أَنْكُمْ
تَدُورُ عَلَيْكُمْ بِالذَّمَارِ رَحَى الْحَرْبِ
وَإِنَّا إِذَا مَا تَسْتَفِيشُونَ لَمْ نَجِدْ
إِلَيْكُمْ عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ مِنْ دُرُبِ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَعْدَاءُ أَنَّ مَيُوقِنَا
تَمْلُكُ فِي الْأَعْمَادِ شَوْقًا إِلَى الشُّرْبِ
وَلَوْلَاهُ فَاجَانَا الْعَدُوَّ بِغَيْلِقِ
يَبِينُ شَحَى مِنْ هَوَاهِ مَطْلَعِ الشَّهْبِ
فِيَابَحِرْ فَاجْمِزْ أَوْ فُفِّرْ إِنْ جِيشَنَا
عَلَيْكَ غَدَا كَالْبَحْرِ يَزْخَرُ بِالْعُثْبِ
وَيَاسَحِبْ هَلَّا تَنْزَلِيْنُ فَتَحْمِلِي
إِلَى الْحَرْبِ جِيْشًا يَنْشُرُ النَّفْعَ كَالسُّحْبِ
وَيَارِيحُ قَدْ ضَمْنَا فَعَلْ لَكَ طَاقَةٌ*
بِحَمْلِ مُنَايَانَا إِلَى الْمَعْرَكِ الرَّحْبِ
إِلَى خَيْرِ أَرْضٍ دَاسَهَا شَرُّ مَعْشَرِ
بِأَرْجُلِهِمْ قَطَعْنَ مِنْ أَرْجُلِ جَرَبِ (١)

نمبرانية المعركة :

كما مر بنا في كل حروب الدولة فإن الشعراء ينظرون إلى الصراع بين أوربا والعثمانيين على أنه صراع بين الإسلام والنمبرانية ، ولا يفتأون يذكرون ذلك في كل غارة تشن على المسلمين ، وفي الحرب العثمانية الإيطالية أشار بعض الشعراء إلى النزعة المليبية لها .

قال "أبو المحاسن" إن هذا الخطر على الإسلام منشؤه

الحقد المليبي .

خطر مامثلته من خطر طرّق الإسلام من كل حدب
إنها حرب المليبي انبعثت فابعثوها وهي ترمى بالنهب^(١)

ويخاطب "أحمد الكاشف" الطليان ساخراً منهم متسائلاً عن

دوافع العدوان على المسلمين وأسبابه .

يا آل عيسى مالعيسى لم يَقم مُستنكراً ما أنتم جأنونا
أوصاكم بالمعتدين فما لكم بالأمم المأمون فتباكيننا
ماذا جناهُ المسلمون عليكم وهم على الأمصار غلابونا^(٢)

ويؤكد "الرمافي" أن إيطاليا ماكانت لتغزو "طرابلس"

لولا مؤازرة أوربا لها ، إذ هم أباحوا حمى الإسلام مابين مصر

وتونس ، وأن البابا دعا وبارك تلك الحملة المليبية .

الست تراهم بين مصر وتونس

أباحوا حمى الإسلام بالقتل والنهب

وما يؤخذ الطليان بالذنب وحدهم

ولكن جميع الغرب يؤخذ بالذنب

(١) مجلة كلية الآداب جامعة بغداد عدد ٧ ص ٢٢١ .

(٢) ديوانه ١٧/٢ .

فإننى أرى الظليان منهم بمنزل
يَعْدُوهم يَغْرُونَهُ مَنْزِلَ الْكَلْبِ
فلولاهم لم يَنْقُضِ الْعَهْدُ نَاقِضٌ
ولاشاعَ حَقٌّ فِي طَرَابِلِ الْغَرْبِ

.....

ومادعوة البابا لكم مستجابة
فقد أَغْضَبَتْ طُغَوَاكُم غَيْرَةَ الرَّبِّ

اجلْ إِنْكُمْ اغْضَبْتُمْ اللَّهَ فَاتَّقُوا
(١) وَإِنْ رَضِيتَ ذَلِكَ الْحُكُومَاتُ وَالْغَرْبِ

وهذا "الكاظمي" يؤكد أن أعمال الظليان ارتكبوها باسم

الدين وهو منهم براء .

رحمك يا دين عيسى لاتؤاخذهم

إذا جنوا باسمك الفياح أو ظلموا

اهلوك قد جهلوا الدين الذي اتبعوا

فمئلوك خطاياهم وماعملوا

حاشاك انت برىء من خلائهم

(٢) ورباً ذي كرم اتبعائه لؤموا

ويؤكد "محمد عبد المطلب" مباركة البابا لجند الظليان

وأن ذلك ليس من النمرانية كما يسخر من وعود البابا لهم

بالجنة .

إذا وقف البابا يبارك جندكم

فما كل باباً للمسيح مقرب

(١) ديوانه ٤٧٨/٢ .

(٢) ديوانه - المجموعة الثالثة ص ١٠٥ .

سلوه افي الإنجيل للحرب آية
 إذا كان في إنجيل ليس يكذب
 لكم جنة البابا ماب وإثما
 مفاتحها من أرض برقة تطلب
 وإن لدى أسافنا ورمافنا
 بابواها علما هلموا فجرّبوا
 سلوا جنة البابا بماذا تزيّنت
 ليخلقى الألى في لجة البحر غيبوا (١)
 ويسخر "الخزنة دار" من جبن الطليان ، وعدم نزولهم من
 سفنهم فليأخذوا الإذن من "البابا" أولا ، وفي هذا تعريف
 بالنزعة المليبية لهذه الحرب .
 مالبجنود تعلقّت بسفينهما
 وتمسكت مسك النما لبعول
 فاستفسروا "البابا" بروما هل يرى
 حكم الطلاق بشرعة الإنجيل (٢)
 ويأخذ "عبد الحليم الممرى" على الطليان أنهم شنوا
 هجومهم باسم المسيحية وذلك من سوء تحريفهم لها ، إذ هي
 دعوة محبة وتسامح ، ويرى أن الخليفة "محمد رشاد" لو نادى
 المسلمين باسم الدين كما فعلت إيطاليا لما وسعهم مكان .
 مالمسيحية السمحاء شوهها
 قوم كائهم في جوفها سقم
 نادواها وأباحوا السقم منزعاً
 ولم يريشوه لكن راسه الخدم

(١) ديوانه ص ٣٠ .

(٢) ١٤٧/١ .

لو كان نادى "رشاد" بالهلال كما
(١) نادوا لما وسعنا فى الوغى اكم
وهكذا كانت رؤية شعراء الجيل لهذه الحرب انها حرب
مليبية والمسيح منها براء ، كما يبرأ الإسلام من كل حروب
العدوان ، لان الاديان كلها من عند الله ، وهى لخير الانسان
لشره ، وهى مبادئ وقيم تحمى الانسان من الانسان ، كما
تحميه من هواه ، وتضعه على الطريق المستقيم .

(١) جريدة العدل اساس الملك عدد ٢٦٥ فى ١٩ نوفمبر سنة
١٩١٢م ولم اجدها فى ديوانه .

وصف المعركة والجيش :

وصف بعض الشعراء المعركة كما تخيلها أو مايشها ،
 وكان بعضهم يصور الجيش الإسلامي وقوته ومنعته وشجاعته
 بمنظوره فيقول "محمد عبد المطلب" إنهم ليوث الإسلام ، أباة
 للقيم ، إذا غضبوا ظل الكون من حولهم فزعا مرتجفا من
 غضبتهم ، لا يرضخون لجبار مهما كان طاغيا .

وأما عدتهم فهي : الخيل تميل على حمون العدو ومعاقله
 وتبدي براعة في الإغارة والنجدة .

والرمح إذا ما اهتزت طارت قلوب العدو فرقا ، وكلما
 تعطشت للدماء ، واشتبكت مع بعضها ليهب في مساحة المعركة خلتها
 شجرا ملتفا تسكنه الأساد ، وأما السيوف فقد خلقت حادة ،
 ومن صفاتها أنها تقطع هام العدو تارة ، وتفري وتينه أخرى
 وإذا امتشقها الجنود أضاءت الظلام ، والغيوم الشديدة ،
 وتحترق غيظا إذا ماردت إلى أممادها ، فتقطر إلى تقطيع
 الحماثل والجفون .

ويمص البنادق المسماة "بالموزر" ويفعل في ذلك ، فتن
 زرق طويلا لا موع فيها ، تمب هدفها بإحكام ، وأما رصاصها
 فهو حديق المنايا ، تميب المقتل ، بل ومن صفاتها أنها تحمل
 خنجرا بجانب قوتها ، ومهمتها "تفري الخواصر والمتونا" .
 وتسليح المجاهدون بالمدافع القوية التي تدك كل شيء
 أمامها .

ليوث من بنى الإسلام شوم

بهم نسطو ونمنع ماوليننا

إذا غضبوا تقزعت الليالي

وولى النجم يرجف مستكيننا

فلا نرعى لجبَّارٍ حقوقاً
 ولا نقضى لذي وترٍ ديونا
 وخيلُ كلِّما جالت أمانت
 بجندٍ البغي مَعْقِلَه الحمينا
 يخلن دبيباً انفسنا مُغيراً
 فيكسرُن الشكيم وَيَنْبِرِينا
 صبرناها على الغاراتِ حيناً
 ورُضاها على النجّاداتِ حيناً
 وسمُرُ كلِّما خطرت اطار
 مخافتها قلوب الدارمين
 نواهلُ كلِّما اشتجرت علينا
 وقمنا تحتها مستلثمين
 رايت الغيل مشتبك النواحي
 على الاساد تسكنه عرينا
 وبقي قد خلّقن مذكرات
 لوامع ماشحذن ولاجليننا
 بواتك مانمؤبهمن إلا
 حقط العام او تفرى التوتينا
 إذا نحن التفتيناها اضاءت
 من النقع الحنادس والدجوننا
 يشطن إذا غمدناهن غيظاً
 فياكلن الحمائل والجفونا
 وزرق موزريكات كرام
 مواسب لايشطن ولاينينا
 طويلات المتون بلا اعوجاج
 عن العوج القسي بها غنينا

إِذَا انْبَعَثَ الزَّيْنَادُ بِهَا مَابَتْ
 وَلَمْ تَسْمَعْ لِمَرْمَاهَا رَنِينَا
 كَانَ رَمَاهَا حَدَقَ الْمَنَابِيَا
 نُصِيبُ بِهِ ضَمَائِرَ مَنْ لَقِينَا
 عَلَى أَفْوَاهِهَا زَرْقٌ جَدَادٌ
 بِهَا تُقْفَرُ الْخَوَاصِرُ وَالْمُتُونَا
 فَتَلُكُ وَإِنْ نَشَأَ فُجْدَمُورَاتٌ
 نَذَكُ بِهَا السَّيَّاسَى وَالْحُمُونَا
 أَجَادَتُهَا يَدَا "مُكْسِيمٍ" مَقَا
 وَابْدَعْنَا مَفَارِجَهَا فَنُونَا
 تَرَاهَا فِي الْمَعَاقِلِ وَالرَّوَابِي
 جَوَائِمُ لِلرَّدى سُفْعَاً وَجُونَا (١)
 وَلَقَدْ أَبْدَعَ الشَّاعِرُ فِي تَخْيِيلِهِ بَدْءًا مِنْ وَصْفِهِ لِلجُنْدِ
 وَانْتِهَاءً بِوَصْفِهِ لِلأَسْلِحَةِ وَدَوْرَهَا فِي الْمَعْرَكَةِ .
 فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ عَنِ الْخَيْلِ "يَخْلُنْ دَبِيبُ أَنْفُسِنَا مَغِيرَا"
 كَيْفَ بَلَغْتَ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْإِحْسَاسِ وَالتَّرْقُبِ .
 وَكَذَلِكَ "السَّمَرُ" اهْتِزَازُهَا يَرْمِبُ الْعَدُوَّ فَكَيْفَ بِرَمِيهَا ،
 نَاهِيكَ عَنِ الْمَوْرَةِ الْمُتَخَيَّلَةِ فِي قَوْلِهِ :
 نَوَاهِلُ كُلَّمَا اشْتَجَرَتْ عَلَيْنَا
 وَقَمْنَا تَحْتَهَا مُسْتَلْثَمِينَ
 رَأَيْتَ الْغِيلَ مُشْتَبِكُ الْفَوَاحِي
 عَلَى الْأَسَادِ تَسْكُنُهُ عَرِينَا
 وَأَمَّا "الْبَيْضُ" فَلَقَدْ جَعَلَهَا تَحْسُ بَدَلًا مِنْ كَوْنِهَا جَامِدَةً ،
 إِذْ اغْتَسَاظَتْ مِنْ إِغْمَادِهَا وَلِذَلِكَ أَكَلَتْ "الْحَمَائِلُ وَالْجَفُونَا" ،

ويقول عنها "خلقن مذربات لوامع لاشحذن ولاجلينا" ، وادخل
البنادق والمدافع فى هذه القصيدة وسمى الأولى "موزريات" ،
ووصف الثانية بانها "مدمرات" ، وذكر الاسم والمفة ، دلالة
على عدم استقرار اسم شائع متعارف عليه ، ويدل من جهة أخرى
على مواكبة الشعر للآلات الحديثة مما يزيد من قاموس اللغة .
ثم إن القصيدة ترجع بالذاكرة إلى قصيدة "عمروا بن
كلثوم" الشهيرة - كما سيأتى - قافية ووزنًا ودلالة فى بعض
جوانبها ، مما يدل على امتياح شعراء هذه الحقبة من عيون
الشعر العربى القديم ، مما يعد بعثًا له وإحياء .
ويصف "الرمافى" بعضًا من مشاهد تلك الحرب كما تخيلها
"فطرا بلس" كانت آمنة مطمئنة ، فراعها دوى المدافع ،
وافواها مصوبة نحوها ترسل وابل نيرانها ، وتذك بصواعقها
كل مالاقت كانها زلازل ، اتت على الأخضر واليابس .

قد افتاحها الظليانُ وهى بمُفْجِعٍ
من الأمنِ لم يُقْبَضْ برُعْبٍ على الجنبِ
فامَّستْ وافواهُ المدافعُ دونها
تمجُّ عليها النَّارُ كائِوَابِلِ السَّكَبِ
صواعقُ من سَحَبِ الدُّخَانِ تدكُّها
وتَنسِفُها نَسْفَ الزَّلَازِلِ للمُغَبِ
غَدَتْ تَرْتَمِي فيها عَشِيًّا وبُكْرَةً
فلايابسًا أبقتْ ولم تُبْقِ من رُطْبِ
وما إنْ شكا من عَفَّةِ الحربِ أهلُها
ولكنهم شاكون من عَفَّةِ الجَدْبِ (١)

ويبين في قصيدة اخرى كيف ان حدود الايطاليين الممصرة
قد قومت بالسيوف ، وولوا هاربين ونحن نطاردهم حتى كأنهم
حمر فرت من قسورة ، ونثرنا جماجمهم بالسيوف ، حتى اضحت
كأنها مفردات وكل مجموعة تشكل بيتا من الشعر .

ويشير إلى بعض فضائح الطليان ، إذ أزهقوا أرواحا
كثيرة لاحول لها ولاطول ، وغدروا بهم ، ولم يتركوا بيتا
سليما بل حولوه على أهله مقبرة ، فما ان احاط المسلمون
بجيشهم حتى ذعروا لدرجة أن ضاق به الغناء على رحابته .

ويعود إلى اعمالهم الوحشية بالاهالي من قتل وتنكيل ،
إذ ضربوا الرقاب وجدعوا الانوف وبقروا البطون ، ويتساءل
ساخرا من جيش العدو لماذا لم يثبت لجيشنا في المعركة
واحجم عن ملاقاته ؟

فَسَلَّ جَيْشُ "كَانِيْفَا" كَيْفَ قَوِّمَتْ
شِفَارُ مواضعنا حدودهم المصعرا
وكيف هزمناهم فوَلَّوْا كَانْنَا
وإياهم اسْدُ الشَّرَى تَطْرُدُ الْحُمُرَا
وكم قد نثرنا بالسيوف جماجا
نَظَمْنَا بها فوق الشَّرَى للعدى شعرا
وما جَزَعِي للحرب بحمى وطيسها
ولكن لارواح بها أَزْهَقْتُ صَبْرَا
لَكَ اللَّهُ يَا قَتْلَى طرابلس التي
بها حَكَمَ الطليانُ اسيافهم عُدْرَا
اقاموا بها قَتْلَى النُّفُوسِ نِكَايَةً
إلى أن اصاروا كل بيت بها قَبْرَا
ولما احاط المسلمون بجيشهم
فَعَادَ الْغَضَاءُ الرَّحْبُ فِي عَيْنِهِ شَبْرَا

تَقَهَّقِرُ يَبْغَى فِي الدِّيَارِ تَحْمَنًا
فَقَرَّ بِهَا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ وَاسْتَدْرَى
وَأَصْبَحَ يُنْكِي أَهْلَهَا مِنْ تَغِيظٍ
فَيَقْتُلُهُمْ صَبْرًا وَيَرْهَقُهُمْ عُسْرًا
فَأَوْسَعَهُم بِالسَّيْفِ مُرَبًّا رِقَابَهُمْ
وَأَنَافَهُمْ جَدْمًا وَاجْوَأَهُمْ بَقْرًا
وَمَا ضَرَّ "كَانِيْفَا" اللَّعِينُ لَوْ أَنَّهُ

تَقَحَّمُ فِي الْهَيْجَاءِ عَسْكَرَنَا الْمَجْرَا
أَيَحْجُمُ عَنَّا هَارِبًا بَعْلُوجِهِ
وَيَبْغَى بِقَتْلِ الْأَبْرِيَاءِ لَهُ فَخْرًا
وَهَلْ حَسَبُوا قَتْلَ النِّسَاءِ شَجَاعَةً
(١) وَقَدْ تَرَكُوا عِنْدَ الرِّجَالِ لَهُمْ ثَارًا

ورسم "سالم بن حميدة" - من تونس - صورة الجيش الإسلامي
في المعركة ، إذ سمع دويًا هائلًا ترددت أصدأؤه بين الناس
فأحب أن يعرف حقيقته ، فصوب نظره إلى السماء فإذا صفوف
تذود عن حمى الهلال ، وإذا طرابلس محفوفة بملائكة كرام
كالطود ، وتابع الخطى عليه يحظى بملاقاة الملائكة ، فوصل إلى
ذرى فإذا به يواجه اثراكا وعربا راغبين متجمعين صوب العدو
ويخال النار تشتعل في وجعهم من شدة المعركة .

سمعتُ به دويًّا مُستديما	يردُّده الصدى بين الأنام
رميتُ بنَظريَّ إلى ذراه	أسيرُ إلى الحقيقة والسلام
فألفيتُ السماءَ بها صفوفُ	تذودُ عن الهلالِ أو الزمام
وقد حَفَّتْ طرابلسُ بطُودُ	به زمر الملائكة الكرام

فتابعْتُ الخطى أبغى مَعُوداً إلى الملا العلى وإلى المقام
وصلتُ إلى درى فلقيتُ تركاً وعرباً راغبين إلى الامام
نظرتُ وجوههم فنظرتُ نازاً مسعرةً بفُرط الاحتدام^(١)

وهذه القصيدة تنبئ عن عمق التجاوب الإسلامى لأحداث طرابلس ، وكان الشاعر موفقاً فى التعبير عن عاطفته ، لأنه تتبع ذلك الصوت حتى وصل إليه ، والموت كناية عن جهاد المسلمين ، وكذا فى رسم صورة الجيش فى المعركة والتفافه حول راية العثمانيين .

وذكره للملائكة هنا دلالة على إسلامية المعركة ، وسهولة أسلوبه ، ووضوح الفاظه مع مقدرة على رسم الصورة مما يعطى دليلاً على أن الشاعر وإن كان مغموراً إلا أنه يرقى هنا إلى مصاف بعض شعراء المشرق المعاصرين له ، وأنه ممن خطا بالشعر العربى نحو الانبعاث على الأقل على مستوى بلده .

ويصف "محمد سعيد العباسى" نية الظليان من إشارة تلك الحرب بأنهم أرادوا بها الفخر بين الأمم واعدوا العدة لذلك ولكنهم باءوا بالخسران ، و"حزب الله" قدموا لهم القرى إذ فلقوا هاماتهم ، وطعنوا نحورهم وأجلوهم عن ميدان المعركة ، ويسألهم ساخراً هل درى قائدكم عما حل بكم ؟ إذ اختفى عن ميدان الحرب .

ويعود إلى وصف الجنود الإسلامية كما تمليه عاطفته ومخيلته ، وذاكرته التاريخية .

فهم لا يرون الموت حاجزاً دون بلوغ المنى ، ولم يفت فى عضدهم كثرة عدوهم ويشبههم فى شوقهم للمعركة بالابل المغربية

(١) الحركة الأدبية والفكرية فى تونس ص ٨٢ من الملحق ، ط/دار العناء ، محمد فاضل عاشور .

حجّزت عن الماء أياما ، وهم جند الله وجند نبيه .

أشاروا . ونمى دارت رَحَاهَا عَلَيْهِم
وراموا بها فخرا ففاتهم الفخر
أعدوا لها من عُدَّةِ الحرب كلَّما
يُضيقُ به التَّعدادُ والبرُّ والبحرُ
ألا إنَّ حزبَ التَّوَّابِ قد قدَّم القُرى
لديكم فإنَّ شُكْمَ فَمَنٍ مثلي فاقروا

.....

فقد فلقوا بالمشرفية هامكم
وحلّى بعقد الموت نحركم النحر
وأجلّوكم من ساحة الحرب فدوة
بطعن ذراك فاق من هويله الصدر
نُسايلكم مُسبِّبَ الامّاچيم هل درى
دُمستكم كيف انطوى دونه السّتر

.....

تُحجّب لا يبدوا لها خلف مضرب
من الرّمل لا يبيديه لوم ولا زجر
ولم يدّر أنّ المجد والفخر كلّه
معاطاة كاس خمرها الكر والفر

.....

وفرسان حرب لا ترى الموت حاجزا
ولم يثنها عن عزيمتها انكم كثر
يهمون شوقا للطعان كأنهم
عطاش المكارى قد اضر بها العشر
يذوقون طعم الموت حلوا وسائغا
على قدر ما يبدو لكم طعمه المر

أولئك جُزِبُ اللَّحْمِ جُنْدُ نَبِيِّهِ الْكَـ
 رَامُ إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الْأَنْفُسِ الذَّمَرُ^(١)
 والشاعر تاجر "بأبى تمام" كما سبق أن أشرت ، وكذلك
 المتنبي إذ استلهم بعض معانيه وصوره الساخرة كما فى قوله :
 نسائلكم صعب الأعاجم هل درى
 دمستقكم كيف انطوى دونه الستر
 وفى الخمسة الأبيات التى بعده .

و"المتنبي" يقول :
 لعلك يوماً ياد مستقُ عائدٌ فكم هاربٍ مما إليه يؤول

 اتسلم للخطية ابنك هارباً ويسكن فى الدنيا إليك خليل^(٢)
 ويمص "شكيب ارسلان" جيش الظليان وكثرته ، وكيف القيت
 تلك الجحافل بسيف البحر "تخالها من الذمر ورقاً مكفاً فى
 وكناتها" ، وكيف اضحت السفن تمدها بالمؤن ، وبرغم ذلك فقد
 فاقت الأرض من أشلاء قتلاهم .

جحافل فى سيف البحر تخالها
 من الذمر ورقاً مكفاً فى وكونها
 ولكل الجوارى المنشآت تمدها
 من اللج رجت فى مغائر نونها
 لكن جردتها رومة إحصارنا
 لقد أودعتها عندنا بسجونها
 وفى كل يوم وقعة لجيوشها
 تضيق بها بطحاؤها بدفينها^(٣)

(١) ديوانه ص ١٠٦-١٠٧ .
 (٢) ديوانه شرح العكبرى ١٠٦/٣ .
 (٣) ديوانه ص ١٠٦ .

وبرغم أن الشاعر شارك بسيفه في تلك المعارك الدائرة
وكتب هذه القصيدة من ساحة الجهاد على الجبل الأخضر - كما
مر بنا - إلا أنه لم يعط صورة أجلى من تلك الحرب ووقائعها
ربما لأن القصيدة بنيت لحظتها ، على أن شعره عامة لم يكن
بمستوى نشره من الجودة الفنية والرؤية الفكرية .
ويصف "الكاظمي" الجيش المجاهد ويدعو أن يملئ الله
على من قبره حواصل الطير كناية عن استشهاده في ميدان
الجهاد ، ومن مفاتهم : "في أبرارهم عبق" من الفخار وفي
آناهم شمم" .

ويعود إلى مفاتهم قبل استشهادهم :
هم المناديذُ إمّا استمروا لسوغي
خاضوا عباب المنايا وهو ملتطم
وانهم أبطال حروب أخذهم العدو على غرة فشتهم ،
ولكنهم سرعان ما التأموا فكروا عليه كرة أخرى .
ويغنى على الكون حزنا وفرحا : حزنا لشتتهم ، وفرحا
لنصرهم على العدو ، إذ أملاه لظى فلقى السلاح فزعا .

على الإلح على قوم قبورهم
حوامل الطير في الميحاء لا الرجم
ماتوا كراماً وفي أبرارهم عبق
من الفخار وفي آناهم شمم
هم المناديذُ إمّا استمروا لسوغي
خاضوا عباب المنايا وهو ملتطم
أبطال هيجاء جيش الغدر باغتهم
تشتتوا شم كروا الكر فالتأموا
قد أدبروا وعيون الفجر باكية
واقبلوا وثغور النمر تبتسم

أُصْلَتْ قُلُوبُهُمْ مَخُوفَ الْغَادِرِينَ لَظَى
يُورِي زِنَادَ الرَّدَى فِيهَا فَتَضَطَّرِمُ
الْقَى السَّلَاحَ لَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ فَزَعَا
(١) مُسَلِّمِينَ وَلَسَوْلا ذَاكَ مَا سَلِمُوا
ويقول "الكاشف" ساخرا من الظليان إن الأمانى خدعتهم
فوجدوا الموت حيث ظنوا الظفر والنجاة .
ثم يتحدث عن الوقائع التى جرت بين المتقاتلين ، وأن
المسلمين غنموا الأسلحة والزاد فصاروا أغنياء من جراء ذلك
واطارت تلك الشجاعة صواب المعتدين فاندفعوا ينتقمون من
الأطفال والنساء والشيخوخة والعزل ويقتلون الأسرى فكانوا بذلك
مثلا للوحشية الغادرة - ديدن أوروبا على مر العصور والأزمان
أذ تستهين بكل القيم الإنسانية فى سبيل غايتها الدنيئة من
العدوان والبغى .

يَا آلَ رُومَةٍ تَطْلُبُونَ أَمَانِيَاً
خَتَالَةً أَمْ تَطْلُبُونَ مَنُونَا
جَنَّتُمْ تَجَرُّونَ الْحَدِيدَ وَرُحْتُمْ
بِحَدِيدِكُمْ فِى الْيَمِّ مَقْلُوبِينَا
وَرَقَمْتُمْ فِيهِ مُكْسَارَى فَارْقَصُوا
فِى اللَّيْلِ الْمَوْدَاءِ مَذْبُوحِينَا
تَهْتُمُّ عَلَى نَمَحَاتِكُمْ وَأَبَيْتُمْ
فَالآنَ تَنْمَحُّكُمْ لَظَى الرَّامِينَا
هَاتُوا الذَّنَابَ إِلَى الْيَوْمِ فُخْمَةٌ
مِنْهُمْ أَبَادُوا مِنْكُمْ خَمْسِينَا

(١) ديوانه - المجموعة الثالثة ص ١٠٢ .

واستجمعوا حيتانكم ونسوركم
 فالصائدون هناك مُرتقبوننا
 واستكثروا الزاد الشهي فإتاكم
 وسلاحكم والزيد مأخوذوننا
 لم يبق منهم مُعِيرٌ أو أمزلٌ
 بعد الذي غنموه مُنتمريننا
 فكلوا من الزقوم إن جاوزتم
 حد الأسارى واشربوا الفسلىنا
 احسبتموا بطحاء مكة حانةً
 لكم وغزو القيروان مجونا
 أعياكم بأم الحياة فرحتكم
 تشفون غلتكم من الخاويننا
 مثلتم بشيوخهم ونسائهم
 وذبحتم الاطفال جباريننا
 وخشيتهم شم الأسير وكبره
 فقتلتم المأسور والمُسجوننا
 حطمت عظامهم سيوفكم فعل
 (١) جرحت مواشيها لهم ويقيننا

ونصور "حافظ إبراهيم" ما ارتكبه الطليان من جرائم ضد
 المسلمين المدافعين عن ثرى أوطانهم فى "ليبيا" فيذكر أن
 الأرض "مادت حين انتشت من دم القتل حلالا وحراما" ، حلالا من
 دماء المعتدين الظالمين ، وحراما من دماء الشهداء
 المدافعين ، ثم يبدأ فى ذكر جرائم الطليان ، فإنهم لما
 عجزوا عن الوقوف أمام الأبطال ، صوبوا الحسام تجاه من لاحول

له ولا قوة من الذراري ، ثم ماذا عملوا بهم ؟ "كَبَلُوهم
 قَتَلُوهم" ، و"مَثَلُوا بذوات الخدر صاحوا باليتامى ووصلت بهم
 الوحشية الى ان طالوا الاشياخ والمرضى ، بل لم يبقوا طفلا
 ولا غلاما ، وذهبوا فى الاجرام غايته ، فأحرقوا الدور لئلا
 يبقى شيء دالا على الحياة .

مَادَتِ الارضُ بِنَا حِينَ انْتَحَتْ

من دمِ القَتْلِ حِلَالًا وحراما
 عَجَزَ الطُّليَانُ مِنْ اَبْطَالِنَا
 فَأَعْلَوْا مِنْ ذَرَارِينَا الحُسَامَا
 كَبَلُوهم قَتَلُوهم مَثَلُوا
 بذواتِ الخُدْرِ طَاحُوا باليتامى
 دَبَحُوا الاشياخَ والزَّمَنى وَلَمْ
 يَرَحْمُوا طفلاً وَلَمْ يُبَقُوا غُلامَا
 أَحْرَقُوا الدَّورَ اسْتَحَلُّوا كُلَّ مَا
 حَرَّمَتْ "لَاهَاى" فى العَهْدِ احتراما

ويبين كيف ان الطليان ظنوا لا يجدوا مقاومة فاطلقوا
 اسطولهم كما يطلق الزاجل حمامه ، ولكنه باء بالهوان
 والخسران ، إذ امتلأ البر من اشلانهم ، والموت يواجهم فى
 كل مكان ، ثم يسخر منهم ويتهكم بهم وانهزامهم امام الجيش
 الإسلامى .

ويوجه سخريته إلى قائد الطليان "فكتور" ويقارن بين
 مالمقيه الطليان من حتف عندما شار "فيزوف" وماحصل لهم من
 هلاك من جنود العثمانيين .

اطْلَقُوا الاسطُولَ فى البحر كما

يُطْلِقُ الزَّاجِلُ فى الجوّ الحماما

فمضى غيـرَ بعيدٍ وانـتـفى
 يـحـمـلُ الـانـبـيـاءُ شُوماً وانـهـزـامـا
 قـدِ مـلأنا البـرَّ من اـشـلائـهـم
 قـدَعُوهـم يـمْلُـئُـوا الدُّنـيـا كُـلَّـمـا
 اَعْلَنُوا الحـرْبَ وَاُفـمـرْنَا لَهـم
 اَيُّنـمـا حَلُّوا هَـلَـكَّا واخـتـرامـا
 خَبَرُوا (فِكْتُور) مَنَّا اَنَّهُ
 اَدْهَشَ العالـمَ حُرْبـا ونِـظـامـا
 اَدْهَشَ العالـمَ لَمَّا اَن رَأَوْا
 جِيشَهُ يَسْبِقُ فـي الجـري النـعـامـا
 لـم يـقِفْ فـي البـرِّ اِلا رِيشـمـا
 يُسَلِّمُ الارواحَ او يُلْقـي الرِّمـامـا
 حَاجِمُ الطُّلـيـانِ قـدْ قَلَدَتْـنَا
 مَنَةً تُذَكِّرُهَا عـامـا فـعـامـا

.....

اكثـروا النـزْهَةَ فـي اَحْيَانِنَا
 وَرَبَّانَا اِنَّهَا تَحْشَى السَّامـا
 وَرَقِيْمُوا كُلَّ عـامٍ مُوسِمًا
 يُشَيِّعُ الـايـحـامَ مِنَّا وَالْـايـامـى
 لَسْتُ اَدْرِ بَتَّ تـرعى امةٌ
 مـن بـنـى الطُّلـيـانِ اَم تـرعى سَوامـا
 مـالُهُم - وَالنَّصْرُ مـن عـادَاتِهِم
 لَزِمُوا السَّاحِلَ خَوْفاً وَاَعْتِمَامـا
 اَفْلَحُوا مـن نـارٍ "فـيـزوف" اِلى
 نـارٍ حـرْبٍ لـم تَكُنْ اَدْنى فـرامـا

لم يكن "فيزوف" أدهى حمما
 من كرات تنفك الموت الزؤاما
 يا "فيزوف" نَمَّ عنهم فقد
 نفقت افريقيا عنها المأاما
 فهي بركان لهم سخره
 مالك الملك جزاء وانتقاما
 لو دروا ماخبأ الشرق لهم
 آثروا "فيزوف" واختاروا المقاما (١)

وواضح أن الشاعر جمع في هذه القصيدة بين وصف جرائم
 الطليان والمعركة والسخرية وكان موفقا أيما حوفيق في ذلك،
 انظر إلى الصورة في قوله :

مادت الأرض بذاحيت انتشت من دم القتلى حلا وحراما
 وكيف اهتزت الأرض وانتشت فرحا ، وكيف ان قوله "حلا
 وحراما" كانت خاتمة البيت جميلة ، برغم أنهما كلمتان
 دارجتان ، إلا أنهما هنا كانتا مناسبتين لمعنى البيت .
 كما ان قوله :

اطلقوا الاسطول في البحر كما

يطلق الزاجل في الجو الحماما

ينبىء عن سخريته من عشوائية القائد الإيطالي ، وانه
 زاجل لا قائد ، وفي قوله : "الحماما" تدل على جبن وخوف
 الطليان ، وتبلغ السخرية مبلغها من "فكتور" في قوله :
 حاتم الطليان قد قلدتنا منة تذكرها عاما فعاما
 فهو يشبه بحاتم الذي يضرب به المثل في الكرم زيادة
 في التحكم .

والشاعر كان متفاعلاً مع هذه الحرب إذ عبر بضمير الجماعة "نا" في عدة مواضع دلالة على التحامه النفس والعاطفى مع المجاهدين .
والقصيدة مليئة باللفحات الغنية والفكرية مما يجعلها معلماً من معالم شعر الحرب في هذه الحقبة عامة وشعر حافظ خاصة .

ويتحدى "أحمد محرم" الغزاة ، ويفخر بالخلافة وابطالها ويغضى عليهم أفضل الأوصاف ، فهم لا يرهبون الردى في سبيلها ، عريقون في أنسابهم ، شجعان في الحروب ، لم يثنهم عن الإغارة على عدوهم أى أمر ، أبطال الخلافة يمنعونها من أن تستباح من العدو ، فهم لها بمثابة الحصون والابنية المنيعه .

رويداً "بنى روما" للحرب فتيةً
كهيج الظبى أطرابهم واللّهائمُ
بنوها الأولى لا يرهبون بها الردى
إذا اهتزمت في حافتَيْها الزّمازمُ
معمون فيها مخولون إذا اعتزوا
نمتهم قريشٌ في الحفاظ وهاشمُ
وشومٌ شدادُ البأس من آل يافث
تخوض دمّ الأبطال والبأس جاحمُ
لهم كل يوم غارةٌ تمبحُ العدى
وأخرى تفسى الليل والليل فاجم
إذا أقدموا لم يثنهم من مغارهم
غداة الوغى أهوالها والمآزم
أولئك أبطالُ الخلافة كحتمى
بأسياهم إن داهمتها العظامُ

فَمُ الْمَانِعُوهَا أَنْ يُقَسَّمُ فِيْهَا
 وَأَنْ تُسَدَّ بِبَيِّفَاتِهَا وَالْمَحَارِمُ
 دَعَائِمُهَا الطُّوْلَى وَأَطَامُهَا الْعُلَى
 إِذَا اسْلَمَتْ أَطَامُ أُخْرَى الدَّعَائِمِ
 ثُمَّ يَهْزَأُ بِالظَّلِيَّانِ وَبِاسْطُولِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَثْنَهُمْ عَنْ
 الْهَزِيمَةِ ، وَأَنْ نَمِرَهُ لَهُمْ نَمِرٌ ضَعِيفٌ لَا قِيَمَةَ لَهُ ، وَيَصِفُ
 حَرَكَتَهُ دَاخِلَ الْبَحْرِ وَلَعِبَ الْأَمْوَاجِ بِهِ ، وَجُنُودَهُمْ مَا بَيْنَ مَذْمُورٍ
 وَهَالِكٍ .

لَقَدْ خَابَ مَنْ ظَنَّ الْأَسَاطِيلَ عُدَّةً
 تَقِيهِ الرَّدَى إِنْ قَامَ لِلْحَرْبِ قَائِمٌ
 أَلَسَتْ تَرَى دُؤْبَانَ رُومًا وَمَا لَهُمْ
 مِنْ الْحَتَفِ فِي بَطْحَاءِ بَرْقَةِ عَاصِمٍ
 إِذَا اسْتَمْرَخُوا أُسْطُولَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
 مِنَ النَّمْرِ إِلَّا أَنْ تَشُورَ الدَّمَامُ
 كَنَاءً بِوِ الْأَمْوَاجِ أَنْسَاءً وَتَدْنَى
 وَيَجْرِي جَفَافِيهِ الرَّدَى الْمُتَلَاظِمُ
 فِي الْبَحْرِ مَذْمُورٌ وَفِي الْبَرِّ طَانِحٌ
 وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا عَلَى الْحَرْبِ نَاقِمٌ (١)

(١) ديوانه : السياسيات ١/١٩٨-١٩٩ .

أنين الجريح :

ومن مشاركات "محرم" القذة فى هذه الحرب قصيدة بعنوان
"أنين الجريح فى طرابلس" .

بدا فى الموضوع مباشرة ، وصور الوجود من حوله حزينا
فزعا لانينه ثم وصف حاله وبطولته وحميته دفاعا عن الحقيقة
التي آمن بها .

لذا شق صفوف العدو بلا رهبة ولاخوف ، «كانه صاد تعلله
السيوف بمورده» لانه يحس أن الجنان مضموبة على حافته ، ثم
يغفى على المشهد عظمة ومكانة إعظاما لقدر المقاتل الشهيد
بقوله :

ودنا فحيّاهُ النَّبِيَّ وَكَبَّرَتْ شهداءُ بدرٍ حَوْلَ ذاكِ المشهدِ
ثم يصوره وقد نفذت إليه قذيفة ، خر من أثرها جريحا ،
والزفرات القوية تحرى من فؤاده ، ونالت الطير من لحمه دون
دراية عن مكانته ، إذ أخذت تمزق لحمه بمناسرها حيا ، وهو
ينادى هل من مغيث ؟

أين فوارس بنى قومي يحمون بقيتى ويدودون عنى العدو ؟
ولم ينس فى تلك اللحظة من حياته أن يسأل عن صاحبه
وبنيه ، هل نالهم العدو بظلمه وغيه ؟ أم أنهم فى رغد من
العيش ؟

ثم يجيب من تلقاء نفسه أن تلك الزوجة الممونة شغلت
نفسها بأخبار الفرسان فى المعركة .

ويتمنى من صميم فؤاده أن لو كان قويا ليجاهد مرة
أخرى ، ويذهب عن بلاده ، ويسأل مرة ثانية "أين الطبيب
ليعالج جراحه لأن نفسه مازالت تشرب إلى لقاء العدو :

فَزَعَ الدَّجَى لَأَنِّي لَمْ أَتَرَدَّدْ
 وَبَدَا الصَّبَاحُ لَهُ بَوَجْهِ أَرْبَدٍ
 مُلْقَى عَلَى مَادِي الصَّعِيدِ مُلْحَبٌ
 فِي الْحَرْبِ يُلْتَحِفُ النَّجِيعُ وَيُرْتَدَى
 هَاجَتَهُ يَوْمَ الرُّوعِ حَمِيَّةٌ بِأَسِيلِ
 خَوَاضِ أَهْوَالِ الْكَرِيمَةِ أَنْجِدِ
 يَحْمِي الْحَقِيقَةَ يَوْمَ تَلَمَّعَ فِي الظُّلَى
 بَيْضُ الظُّبَى تَحْتَ الْعَجَاجِ الْأَسْوَدِ
 هَقَّ الْمَقُوفُ إِلَى الْحَتُوفِ مُغَامِرًا
 فِي الْحَرْبِ يُوقِدُهَا وَلَمَّا تَحُمَدِ
 لَا يَرْهَبُ الْمَوْتَ الْوَحْيَ إِذَا دَنَا
 وَيَخَافُ قَوْلَ اللَّائِمِينَ الْأَبْهَدِ
 مُسْتَبْسِلٌ تَحْتَ الْعَجَاجِ كَأَنَّهُ
 صَادِرٌ تَعْلَلُهُ السُّيُوفُ بِمَوْدِ
 نُصِبَتْ لَهُ الْجَنَّاتُ تَحْتَ ظِلَالِهَا
 فَعَمَّا إِلَيْهَا كَرَّةُ الْمُسْتَشْفِدِ
 وَدَنَا فَحْيَاهُ النَّبِيُّ وَكَبَّرَتْ
 شَهْدَاءُ بَدْرِ حَوْلَ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ
 كَفَذَتْ عَلَيْهِ الْفَيْلَقِينَ قَذِيفَةً
 مَالَتْ بِمُنْكَبِهِ وَطَارَتْ بِالْيَدِ
 فَهَوَى يَهُزُّ الْعُرْشَ رَجَعُ أَثْنِيهِ
 وَيُثِيرُ مِنْ حَرْدِ الْمَسِيحِ وَاحْمَدِ
 عَكَفَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَحْسَبُ أَنَّهَا
 طَاحَتْ بِهِ أَيْدَى الرَّدَى وَكَانَ قَدِ
 بَاتَتْ بِمُنْسَرِّهَا تُمَزَّقُ لَحْمَهُ
 حَيًّا وَبَاتَ يَقُولُ هَلْ مِنْ مُنْجِدِ

أين الفوارس يَمْنَعُونَ بَقِيَّتِي
 مالى جُفِيتُ وكيف لى بالعُود
 أين البنون وكيف أُمَسَّتْ أُمَّهُم
 ماذا أحلَّ بها المُغِيرُ الْمُعْتَدِي
 هل مِنْ عِرْضٍ بِالْعَفَافِ مُطَقَّرٌ
 مَوْنِي لَهُ أَيَّامَ لَمْ تَكْتَبِدْ
 هيهاتَ قَدْ شَغَلَ الْفَوَارِسُ هَمَّهَا
 ونأى بها طَرْدُ النِّعَامِ الشُّرْدِ
 ياليتنى معهم أُغِيرُ مَغَارَهُمْ
 واذبُ عَنْ وَطَنِي بَحْدَ مُهْنَدِي
 أين الأُساةُ فَقَدْ ظَمِنْتُ إِلَى الْوَعَى
 وهى الشَّفاءُ لِفُلَّةِ الْقَلْبِ الْمَدِي
 أَمُوتُ أَوْ يَبْقَى الْحُسَامُ مُفَاجِعِي
 والحربُ مامقةُ الرَّدى لم تُرَكِّدْ (١)

جمع الشاعر هنا بين مجموعة من الأفكار فى قصيدة ذات
 موضوع واحد .

* صور المجاهد ودوره وشجاعته ، وشوقه للعودة إلى
 مقاتلة العدو .

* أن عمله ذاك طلب للجنة التى هى رجاء كل مسلم .

* اختلاط العاطفة الدينية والوطنية .

نَهَضَتْ لَهُ الْجَنَّاتُ تَحْتَ ظِلَالِهَا فَمَا إِلَيْهَا كَرَّةُ الْمُسْتَشْهِدِ

 ياليتنى معهم أُغِيرُ مَغَارَهُمْ واذبُ عَنْ وَطَنِي بَحْدَ مُهْنَدِي

* عرض لمشاهد من المعركة كما تخيلها فى صورة ذلك
 الجريح .

* تأكيد على أن العدو لا يرمى للمسلمين حرمة بدليل
 أن الجريح سأل أول ما سأل عن زوجته وبنيه .
 * شوق الجريح للعودة للجهاد .
 * الحث على المعونة والمساعدة على لسان ذلك الجريح .
 وكان عرض الشاعر لكل ذلك عرفاً فنياً رائعاً ، والموضوع
 في حد ذاته يعتبر فتحاً في شعر الحرب في تلك الحقبة
 التاريخية ، كيف وقد تلبس الشاعر مشاعر الجريح وهو لم
 يشهد الحرب ، فالموضوع مستمد من خياله مما يدل على التحام
 مواطنه بمواطني المجاهدين ومدى انفعاله بالحرب وأخبارها .
 وحفلت القصيدة بمجموعة من الصور البديعة بمشهد
 الجريح وعواطفه نحو قوله :

مُلِقَى عَلَى مَادَى الصَّيْرِ مُلْحَبٌ

فِي الْحَرْبِ يُلْتَحَفُ النَّجِيعُ وَيُرْتَدَى

.....

يَحْمَى الْحَقِيقَةُ يَوْمَ تُلْمَعُ فِي الظُّلَى

بَيْضُ الظُّلَى تَحْتَ الْعَجَاجِ الْأَسْوَدِ

.....

مُسْتَبْسِلٌ تَحْتَ الْعَجَاجِ كَأَنَّهُ

مَادٍ تَعْلَلُهُ السَّيُوفُ بِمَوْرِدِ

.....

عَكَفَتْ عَلَيْهِ الظُّيُورُ تَحْسَبُ أُنْمَا

طَاحَتْ بِهِ أَيْدَى الرُّدَى وَكَانَ قَدْ

بَاتَتْ مَنَاسِرُهَا تُمَرِّقُ لَحْمَهُ

حَيًّا وَبَاتَ يَقُولُ هَلْ مِنْ مُنْجِدِ

وتضمنت مجموعة من الأساليب الإنشائية الطلبية
 كالاستفهام والنداء ، مما يبعد أسلوب النص عن التقريرية

والرثابة ، ويجعل أجزاءه متماسكة ، وما تحمله كذلك من حث
وحض .

أين الفوارسُ يَمْنَعُونَ بقيتي
مالي جُفَيْت وكيف لي بالعُود
أين البنون وكيف أُمِّتْ أُمُّهم
ماذا أحلَّ بها المُغِيرُ المُعْتَدِي

.....

ياليتني معهم أُغِيرُ مَغَارَهُمْ
وإدبٌ عن وطني بحسدٍ مَهْنَدِي
ويصف "صالح السويدي" أحد جرحى الحرب ، ويثني على
جهاده في سبيل الله إذ هو في غمرة دفاعه عن دينه ووطنه ،
اتته رماصة أسالت دمه الذي يفوح منه الطهر ، ولكنه كان
صابرا ، موقنا أن ذلك وسام شرف كل يرومه ولم يفت في عزمه
ذلك الجرح ، بل رجاء أن يحمل نحو راية العثمانيين "الهِلال"
ليذود العدو عنها .

شهمٌ حوى في سبيلِ اللّهِ رِضْوَانَا
قد خاضَ من بأسِهِ في الحربِ مَيِّدَانَا
بالعزمِ مُرْتَفِعٌ بِالْعِزِّ مُنْدَفِعٌ
يَحْمِي بِمَارِمِهِ دِينَنَا وَأَوْطَانَنَا
أَبْدَى الْعَجَائِبِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي شُهِرَتْ
على بنى وطنه ظِلْمًا وَعُدْوَانًا^(١)
طَارَتْ لَهُ مِنْ رِمَاسِ الْبَغْيِ أَرْبَعَةٌ
فصَادَفَتْ مِنْهُ أَعْضَاءَ وَجْهَانَا

(١) هكذا في الديوان ، ولعلها "على بنى وطني" .

فسأل منه دمٌ بالطهر مُمتزجٌ
 قد فاق من حسنِهِ في العينِ ألوانا
 فخاطبَ الجندَ في الهيجاءِ مُبتسماً
 لاتجزعوا واثقوا قد كان ماكانا
 هذا الوسامُ الذي تَمَبُّو القلوبُ له
 دُعُ عنك أوسمةٌ مِيفَتْ وحيجاننا
 هيّا احملوني إلى نحو "الهلالي" فما
 ابغى عن الحربِ إحجاماً وسلوانا
 ولا أبالي إذا ما صرّت مُنجرحاً
 فإن لي من رها الرحمن عُقرانا (١)

(١) ديوان صالح السويسي القيرواني ص ١٤١-١٤٢ ، ط/الدار التونسية للنشر ، تحقيق نجوى الكافي .

البعثات الطبية عند أحمد محرم :

كان من ضمن المساعدات التي أمدتها الشعب المصري الى المجاهدين تعبيرا عن تضامنه معهم "البعثات الطبية" ، إذ كان وضع المجاهدين يتطلب تلك المعونة لندرتها ، فيسجل "محرم" تلك الوقفة الأخوية مبينا أن أواصر الدين والنسب توجب ذلك ، وأن الغاية المرجوة خواب الله .

لَنَا ذِمَّةٌ فَيْكُمْ ، وَلِلَّهِ ذِمَّةٌ

فَسِيرُوا وَإِنْ أَدْمَى جَوَانِحُنَا الْوَجْدُ

أَخَذْتُمْ سَبِيلَ اللَّهِ تَسْتَبِقُونَهُ

إِلَى غَايَةٍ فِيهَا الْمَثُوبَةُ وَالْحَمْدُ

ويوضح حمزة تعاون أفراد الأمة ، إذ الفرد بمثابة حبة العقد ، فإذا انضمت الحبة إلى مثيلاتها صارت عقدا ، ويشير إلى الداء المدمر للامم الجهل والحق ، فممن أمة أصيبت به إلا آل أمرها إلى البوار .

هُوَ الْبَرُّ حَتَّى يَفْتَدِيَ الْمَرْءَ قَوْمَهُ

وَحَتَّى يَدَاوِيَ جُرْحَ أُمَّتِهِ الْفَرْدُ

وَمَا الْعِقْدُ إِلَّا حَبَّةٌ عِنْدَ حَبْسٍ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَلِكٌ يَفْهَمُ فَلَا عِقْدُ

وَأَفْهِعُ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ أُمَّةٌ

يُمَزَّقُهَا جَعْلٌ وَيَأْكُلُهَا حَقْدُ

إِذَا أُمَّةٌ كَانَتْ فُضَاضاً قُلُوبُهَا

تَهْدَمُ عَالِي مَجْدِهَا وَكِبَا الْجَدُّ

ثم يثنى على من أزرروا إخوانهم الذين افترشوا الثرى ، فلم يلد للمتبرعين عيش لما سمعوا أنيهم ، ويدعو الله أن يحوظهم بعنايته ، ويعودوا بعد أن أدوا واجبهم .

سَمِعْتُمْ أَنِّيْنَ الْآخِذِينَ عَلَى الثَّرَى
 مَفْاجِعَهُمُ وَالذَّائِبُ مِنْ حَوْلِهِمْ يَعْدُو
 فَمَا مَلَكَ الْفَرَسُ الْوَثِيرُ جُنُوبَكُمْ
 وَلَا رَاعَكُمْ عَيْشٌ لَدِيدُ الْجَنَى رَغْدُ
 فَسَيَرُوا عَلَى نُورِ الْهَلَالِ يَحُوطُكُمْ
 مِنَ اللَّمِّ جُنْدٌ مَا يُغَالِبُهُ جُنْدُ
 وَعُودُوا إِلَى أَوْطَانِكُمْ فِي غَضَارَةٍ
 (١) مِنَ الْعَيْشِ مَقْرُونٍ بِهَا الْعَزَّ وَالْمَجْدُ
 وَيَتَبَرَّعَ طَبِيبَانِ لِمُعَالِجَةِ جِرْحَى الْحَرْبِ ، وَيَذْهَبَانِ إِلَى أَرْضِ
 الْمَعْرَكَةِ ، فَيَهْزُ "أَحْمَدُ مُحَرَّمٌ" ذَلِكَ الْجِهَادَ الْمُبَارَكَ فَيُنْظِمُ
 قَصِيدَةَ ثَنَاءٍ عَلَى صَنِيعِهِمَا إِذْ هُوَ فِي نَظَرِهِ بَلَاءٌ عَنِ الْمَحَارِمِ ،
 جِهَادُ خَالِدٍ ، فَيَمْدُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ كَفَهُ إِعْظَامًا .
 ثُمَّ يَمْفِي فِي ذَلِكَ الْقَصِيدَةِ لِيَعِيدَ الثَّنَاءَ وَالْإِطْرَاءَ لِهَمَا
 لَتَجْشَمَهُمَا الصَّعَابُ ، رَجَاءُ ثَوَابِ اللَّهِ .
 جَزَى اللَّهُ مَا أَدَّيْتُمَا مِنْ حَقْوِهِ
 وَأَبْلَيْتُمَا مِنْ دُونِ ذَلِكَ الْمَحَارِمِ
 جِهَادٌ لَهُ فِي سَاحَةِ الْمَجْدِ وَالْعُلَا
 مَوَاقِفُ تَبَقَى وَأَضْحَاتِ الْمَعَالِمِ
 يَمْدُ إِلَيْهَا الْبَيْتُ كَفُّ مُسْلِمٍ
 وَيُبْدِي لَهَا الْمَخْتَارُ مَفْحَةً بِاسْمِ

 عَنَايَةِ رَبِّهِ لَا يُغَادِرُ حِزْبَهُ
 غَنِيمَةً بَاغٍ أَوْ فَرِيسَةً ظَالِمٍ

وَلَبَّيْتُمَا إِذَا دَعَا ، وَاسْتَبَقْتُمَا
 سَبِيلَكُمْ ، لَا يَخْذُنِيَكُمَا لَوْمٌ لَانِسِمِ
 وَجْهَتُمَا نَفْسَيْكُمَا كَلَّ قَادِحِ
 مِنْ الْأَمْرِ يُودِي هَوْلَهُ بِالْعَزَائِمِ
 فَمَا نَعِمْتَ دَغْمٌ أَمْرِي مَا نَعِمْتُمَا
 وَلَا غَنِمْتَ مَا نِلْتُمَا مِنْ مَغَانِمِ
 تَزَوَّدْتُمَا حَسَنَ الثَّوَابِ وَفَزْتُمَا
 بِحَمْدٍ عَلَى مَرِّ الْعَشِيَّاتِ دَائِمِ
 فَهَنَنْتُمَا دُخْرَيْكُمَا وَبَقِيَّتُمَا
 (١) لَدَفِ الْعَوَادِي وَاقْتَحَامِ الْعِظَائِمِ
 وَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي رِبْطِ ذَلِكَ الْعَمَلِ بِالْجِهَادِ ، وَابْتِغَاءِ
 الْأَجْرِ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ إِذْ لَا يَخْفَى مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَبَارَكَةٍ لِمَنْ يَنْجِ
 الطَّيِّبِينَ وَرَفَعَ لِمَعْنَوِيَاتِهِمَا .

(١) السابق ١٩٢/١ .

المعدات القتالية :

كانت هذه الحرب في آخر معقل للعثمانيين في افريقيا ، ومع عدو يريد ان يكون له نصيبه من الغنيمة مثل بقية الاعداء الآخرين - روسيا ، بريطانيا ، فرنسا - واستخدمت في تلك المعارك انواع من الاسلحة ، ولكن معظم الشعراء الذين اطلعت عليهم هنا يضعون الاسلحة القديمة - الرماح والسيوف - في مقدمة مايشاد بدورها وينوه بذكرها .

فينوه " الكاظمي" بذكر السيف على اختلاف مسمياته كثيرا

نحو قوله :

لَا يَمْدُقُ السَّيْفُ مَالَهُ تَمْدُقُ الْهَمَمُ

بالتشاعر القتل يمضى المارم الخدم

إذا المُمامة هبَّتْ من مكائدها

تَمَزَّقَ الخطبُ وانجابت بها الغمم

لامجد أرفع من مجرد قواعده

عوامل السمر والماثورة الخدم

شيموا العزائم وانفوا من مباربها

فللعزائم يعنو السيف والقلم

لَا تَشْكُوا لِسَوَى الْمُتَمَكِّمِ مَظْلَمَةً

(١) الفاعل الموت والممامة الحكم

وينوه "عبد الحلیم الممری" بدور الرمح والسيف ، في

الحفاظ على الحق من الظالمين .

بالسيف بالرمح بالقرطاس بالقلم

(١) صونوا حمى الملك واحمو حوزة العلم

وكذا الحال منذ "محمد سعيد العباسي" في قوله :

مكأنكموا إن الفخار هو المبر

إذا اشتبكت بيض الظبا والقنا السمر

فقد فلقوا بالمشرفية هامكم

(٢) وحلى بعقد الموت تحركم النحر

ونحوه قول "أحمد الكاشف" :

وخذ الوفاء من الصوارم والقنا

(٣) إن لم تجد من دهرك الموفون

ونجد "محمد عبد المطلب" يصف الرماح والسيوف والخيل

إلى جانب البنادق حين قال :

وغيل كلما جالت أمالت

يخبئن دبيب أنفسنا مغيرا

صبرناها على الفارات حيناً

وسمر كلما خطرت اطارت

نواهل كلما اشتجرت علينا

رايت الخيل مشتبك النواحي

وبيض قد خلقن مدرجات

بواتك مانموؤبهن إلا

.....

وزرق موزريات كرام

طويلات المتون بلا اعوجاج

بجذر البغي معقله الحصينا

فيكسرن الشكيم وينبرينا

ورمناها على النجدات حيناً

مخافتها قلوب الدارميننا

وقمنا تحتها مستلثمينا

على الاساد تسكنه عريننا

لوامع ماشوذن ولاجلينا

تقط العام أو تفرى الوتيننا

صوائب لايشطن ولاينينا

(٤) عن العوج القسي بها غنينا

(١) ديوانه ص ٨٣ .

(٢) ديوانه ص ١٠٥ .

(٣) ديوانه ١٧/٢ .

(٤) ديوانه ص ٢٨٦-٢٨٧ .

ويذكر "الرصافي" السيوف في قميدة ، والمدافع في
قميدة أخرى ، واصفا قوة فعلها وتدميرها حين قال :

فَسَلَّ جَيْشٌ "كأنيفا" كيفَ قَوَّمتْ
شَفَارُ مواضينا خدودهم الصعرا
وكمْ قد نَثَرْنَا بالسيفِ جماجماً
نَظْمَنَا بها فوقَ الثرى للعدى شعراً^(١)

ويقول في الأخرى :

فما انتبعت إلا لمرخفٍ مدْفَع
ومائِهَمَتِ إلّا إلى موقفٍ صَعَبٍ
فأَمَسَتْ وأفواه المدافع دونها
تمجُّ عليها النارُ كالوابِلِ السَّكَبِ^(٢)
ويبين "حافظ" مشاركة "إيطاليا" بأسطولها وإطلاقها
لجنودها على "طرابلس" وأنهم تكبدوا الخسائر الجسام من
قذائف المدافع .

أطلقوا الأسطول في البحر كما
يُطلقُ الزَّاجِلُ في الجوّ الحماما

.....

لم يكن "فيزوي" أدهى حِمماً
من كُرَاتٍ تنفثُ الموتَ الزَّوَاما^(٣)

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تشير إلى ذكر أنواع من
الأسلحة في شعر حرب طرابلس . ولاستبعد أن تكون كلها كناية
عن القوة .

(١) ديوانه ٤٨٢/٢ .

(٢) نفسه ٤٧٨/٢ .

(٣) ديوانه ٦٥/٢ .

تفنيذ دعوة السلم الأوربية :

كان مما أذاعته أوروبا - ولا زالت - لتفضيل شعوب الشرق الإسلامى أنها داعية للعدل والسلم والإخاء العالمى ، ولكنها ما إن قامت تشن الغارات على الدولة العثمانية حتى رأينا بعض الشعراء يتساءل عن معنى العدل والإخاء عند الأوربيين ، ويبين أن ذلك زيف وخداع .

وما إن شنت "إيطاليا" حربها هذه على الدولة ، حتى انبرى الشعراء لبيان حقيقة تلك الدعوى عند بقية أوروبا ، لمباركتها ذلك العدوان وسكوتها عن جرائمه .

فيبين "محمد عبد المطلب" موقف أوروبا ، وأنها أوهمت المسلمين بأنها طالبة عدل ومساواة ، فلم نسمع إنكارا للاعتداء الإيطالى ، وعندما نرد كيد المعتدى "إذا هم يسخطونا" .

وَأَهْلُ الْغَرْبِ فِي لَعِبٍ وَلَهْوٍ
عَلَى مَا بَيْنَهُمْ يَتَفَامَزُونَ
دَعَوْنَا الْمُقْسِطِينَ فَمَا وَجَدْنَا
وَأَشْهَدُنَا الْمُلُوكَ فَأَنْكَرُونَا
وَهَمُّنَا حِينَ خُلْنَا هُمْ عُدُولاً
بِمَا شَاءَ الْهَوَى لَا يَحْكُمُونَا
بَغَتْ "رُومَا" فَلَمْ نَسْمَعْ نَكِيراً
وَلَوْ شَاءُوا سَمِعْنَا الْمُنْكَرِينَ
وَإِنْ نَغَضِبُ دِيَاداً عَنْ حِيَاظٍ
لَنَا هُدِمَتْ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَا

ملوك الغرب ما هذا التعمامي

(١) وما للحق بينكم مهيناً

ويها "الرماسي" بالحضارة الغربية ، وبخداع الغرب
وكذبهم ودعواهم ان العمر عمر تمدن وسلام ، ويسالهم ساخرا ،
امن الحضارة قتل الناس بلا ذنب ؟ والإغارة والغصب ، ام ان
تلك العلوم التي توصلتم إليها قد جعلت قلوبكم غلفا لاتعى
ولاترق ، ويؤكد ان حقيقة العمر انه عمر مطامع وتنافس .

ايا زعماء الغرب هل من دلالة

لديكم على غير الخديعة والكذب

تقولون ان العمر عمر تمدن

امن ذلك قتل النفوس بلا ذنب

الم تبمروا القتل تملج دماءها

على الارض والجرحى يثنون في الحرب

افى الحق ام فى العلم الا يسوءكم

ويجبلكم شئ الإغارة للغصب

وهل اغلقت هذى العلوم قلوبكم

بالعطية قدت من الحجر الصلب

كذبتهم فيان العمر عمر مطامع

(٢) فقد لها الاوداج بالصارم العقب

ويشكو فى قصيدة اخرى الى الله من تلك الجاهلية

العمرية التي ليست ثوب العلم ، وتحمل فى طياتها الخراب

والدمار .

(١) ديوانه ص ٢٩٠ .

(٢) ديوانه ٤٨١/٢ .

يقولون إِنَّ الْعَصْرَ عَصْرُ تَمْدِنٍ
فَمَا يَلْهُ أَمْسَى عَنِ الْحَقِّ مُزُورًا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي الْوَرَى جَاهِلِيَّةً
يَعْدُونَ فِيهَا مِنْ تَمْدِنِهِمْ عُمَرَا
أَتَيْنَا بِخُوبِ الْعِلْمِ تَمْشَى تَبَخُّرًا
إِلَى الْخَيْرِ لَكِنْ قَدْ تَابَطَتِ الْقُرَا

.....

أَهَذَا هُوَ الْعَمْرُ الَّذِي يَدْعُونَهُ
فَسَحَقًا لَهُ سَحَقًا وَدَفَرًا لَهُ دَفَرًا (١)

ويبين "الكاشمي" أن الأوربيين «دعاة حرب لدعاة سلام ،
وإلا لما هاجموا قطرا آمنا واحتلوا أراضيه بالحديد والنار
والدماء» ، ويعرف بدور بريطانيا ومطالبتها بالحياد في
الحرب .

أَيْنَ السَّلَامُ الَّذِي شَادُوا جَوَانِبَهُ
زَعَمَاءُ خُلُوبًا فَلَاشَادُوا وَلَا زَعَمُوا
قَالُوا السَّلَامُ فَنَمْنَا وَاتَّقَيْنَ بِهِ
أَيْنَ السَّلَامُ وَأَرْكَانُ السَّلَامِ دَمٌ
أَبْعَدَ مَا شَنَتِ الظُّلْيَانُ غَارِكَهَا
وَقَامَ مَخْدُوعُنَا بِالسَّلَامِ يُعْتَمَمُ
قَالُوا الْحَيَادَ فَقُلْنَا لَيْسَ دَا عَجَبًا
عَنْ نَمْرَةٍ الْحَقِّ كَمْ حَادُوا وَكَمْ وَجَمُوا
ويؤكد مفهوم السلام في عرف الأوربيين ، وأخلاقهم من نكت

(١) السابق ص ٤٨٤ .
(٢) الشعر العراقي الحديث ص ٤٨ .

للمهود والمواثيق ، وحنث للايمان ، وهضم لحقوق الشعوب
الضعيفة .

حربٌ يقالُ لها في عُرْفِ موقدها
سَلَمٌ "قواعدُه النيرانُ والجِلمُ"
اين السلامُ وقَذافُ المنون له
صوتٌ عَنَّا لَمَدَاه المرعدُ الهُزْمُ

.....

ان ماهدوا نكثوا او اقسوا حنثوا
او عاملوا عبثوا بالحق واقتضوا (١)

ويتفق "ولى الدين يكن" مع الشعراء السابقين حول ذلك
المفهوم للسلام وكيف ان اهل الشرق ينادون بالسلام ، بينما
الاوربيون يفسرون الشر والحرب ، ولذلك فلن نلجذع بعد هذا
بدعواهم الكاذبة .

اريتنا في الودّ معنى الجفّ	وجنّنا بالحرب تحت السلام
اختلف التسليم ما بيننا	يدّ تحيى ويدّ فى الحسام
لا تسمى من بعد هذا لنا	قد غرنا فيما مضى الابتسام (٢)

ويهذا "احمد محرم" بالمدينة الغربية التى تتشدد
بالسلام وتزعم ان من مبادئه الإنصاف والعدل ، وكيف استحال
إلى خذلان للحق ونصر للظلم ، ويؤكد ان الامة لن تلجذع
بشعارات الزيف .

ياموقد الحرب بغيا فى طرابلس
بأى عذرٍ إلى الخاريخ نعتذر

(١) ديوانه ١٠٤/١ .

(٢) ديوانه ص ٤٩ .

أَذَاكَ وَالْعُمْرُ عُمْرُ النَّوْرِ عِنْدَكُمْ
 فَمَا يَكُونُ إِذَا مَا اسْوَدَّتْ الْعُمْرُ
 أَيْنَ الْأُولَى زَعَمُوا الْإِنصَافَ شَرَعَتْهُمْ
 وَقَامَ قَائِمُهُم بِالْعَدْلِ يَفْتَحِرُ
 يَا أَكْثَرَ النَّاسِ إِنصَافًا وَمَعْدَلَةً
 الْعَدْلُ يُصَعِّقُ وَالْإِنصَافُ يُحْتَفِرُ
 نَعَمْ الشَّرِيعَةُ مَا سَلَّتْ حِفَارَتُكُمْ
 الْحَقُّ يُخَذِّلُ وَالْعَدْوَانُ يَنْتَحِمِرُ
 لَسْنَا وَإِنْ عَزَبَتْ أَحْلَامُنَا وَخَوَتْ
 مَتَى الرُّؤُوسُ بِقَوْلِ الزُّورِ تُنْبَهَرُ (١)

والذى يلفت النظر فيما عرض الباحث من نصوص فى هذا

المبحث :

- (أ) تجاوب الشعراء فى انحاء الوطن العربى ، وشعورهم المشترك وشعورهم بالغمة التى حاقت بالامة بعد ماكشوت أوروبا عن انيابها .
- (ب) غزارة الشعر الذى قيل فى هذه الحرب ، ربما لأنها كانت بعد احتلال بقية البلدان العربية : «الجزائر» ، تونس ، المغرب ، مصر ، فشبت هذه الأحداث نار الوعى ، وهاجت المشاعر ، فكان الشعر أكثر نفجا ، ورقيا بالقياس على شعر الجيل الأسبق ، وهو مايشير إلى ان الحروب عامل مهم فى تطور الاداب بعامة ، والشعر بخاصة .

(١) ديوانه : السياسيات ١٨١/١ .

العمل الثالث

الحرب العالمية الأولى داخل الوطن العربي

- * الشناء على الدولة وولاتها .
- * الدعوة لمساعدتها .
- * الثورة العربية .
- * تاييد الثورة والتعريض بالاتراك .
- * الوقوف ضد الثورة .
- * المعارك داخل البلاد العربية :
- الشام - العراق
- * شعراء وقفوا مع الدولة في تلك الحروب .

كان الوطن العربي من الميادين التي دارت رحى الحرب فيه ، ومربنا أن الشريف حسين^(١) والى مكة من قبل العثمانيين انخدع بوعود الإنجليز فانضم للحلفاء ، وانبرى يقاتل العثمانيين لأخراجهم من البلاد العربية (الحجاز - الشام - العراق) وساند كوكبة من الشعراء تلك الثورة على الاتراك وعاهدوا الشريف في حروبه ضدهم ، بينما وقف آخرون مع الدولة وناصروها في بعض معاركها ، ومدحوا ولائها في البلاد العربية ، وبناء على ذلك فشاير إلى بعض ما قيل من شعر في ذلك مما يمت في نظري للبحث بملة .

الثناء على الدولة وولايتها :

كان خليل باشا والياً على العراق ابانئذ ، لذا اثنى عليه بعض الشعراء .

فهذا كاظم آل نوح^(٢) يخاطبه بقوله :

يا أيها القائدُ المحفوفُ في أُسْدٍ

تفدو لها الأسدُ إما تلقها بهما

لا تهدأ العينُ منا أو نراك به

قد رُحِتَ من جاحدي الإسلام مُنتقما

شدد عليهم ولا ترعى لهم ذمما

فهم لنا لم يراعوا في الوغى ذمما^(١)

ويثنى عليه في قصيدة أخرى بقوله : إن العدو لن ينجو

منه إذ هو في الحروب صاحب عزم وحزم .

إن نجا من جيوشنا كيف ينجو

من شبا عزم فحلها العذار

(١) الشعر العراقي الحديث ص ٩٣ . ولا ترعى : صوابها ولا ترعى ،

صاحب العزم والثبات خليل

(١) يوم حرب الفارم المِقْوَار

ويمدح عبد المطلب الحلي خليل باشا ودوره في معارك

العراق ، وأنه الأسد العادي في المعارك :

خليلُ العلا حربُ الطُّبى أخو الحِجى

وحليفُ الوغى وإنَّ أحجمُ البطلُ النَّدْبُ

له راحةٌ يومِ الوغى كُطِرُ الدِّمَا

ويومُ لقاءِ الرُّكبِ نالها سَكْبُ

هو الأسدُ العادي إذا مَرَّتِ الْوَغَى

بأنِّيَابِهَا وَالْفَرْبُ يُتْبِعُهُ الْفَرْبُ (٢)

(٣) ويخاطب الزهاوى الجيش العثماني ويشن على أنور باشا

عندما قدم لزيارة بغداد ويمثله بدرع الامة وسيف الله .

أنورُ انتَ اليومُ درعُ لَامَّةٍ

يحاربُها ثلثا الاتامِ واكثرُ

وإنَّكَ سيفُ اللّو يُمَحُو به العِدَى

ويُخَذِّلُهُمْ حتَّى يَمُوتَ التَّجْبِرُ

قَدِمْتَ على رُحْبِ لبغدادِ إنَّها

و (٤)

لفيلك في هذه الزيارة تشكر

ويمدح محمد مهدي البصير أنور باشا بأنه "أشرق

بقدومه النصر الذي يرافقه ، أنى ارتحل فاصاب الانجليز الخزي

(١) السابق ص ٩٢ .

(٢) نفسه ص ٩٦ .

(٣) جميل صدقي الزهاوي بن محمد فيض ، ولد سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م ، تقلب في عدة وظائف إدارية وتعليمية ، ينحو منحى الفلسفة في أفكاره ، من كبار شعراء العراق ، له مؤلفات أهمها : رباعيات الخيام ، وديوان شعر ، مات سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٦م .

(٤) انظر : الاعلام ٢ / ، الشعر العربي الحديث ، أحمد قيش نفسه ص ٩٩ ، وانظر بعض هذه القصيدة في ديوانه ص ١٢٠ ، ط/دار العودة .

واضر بهم الحصار والاسر ، وغدت وجوه المسلمين مشرقة
 انارَ حمى بغداد مذ جاء انورُ بوجم من الاقمار ابهى وانورُ
 اتى وهلال النمر وسط لوائيه يهلل بالبشرى له ويكبر
 اثيت وعيش الانجليز مكدّر وعيش بنى الاسلام ريان اخضر (١)
 ويصف محمد رضا الشبيبي القائد العثماني سليمان
 العسكري باشا وقد شارك في احدى المعارك برغم جراحه ، وقد
 اخذ على محفة ويثنى على ذلك العمل ، ولكن الجيش يهزم .
 وينتحر القائد الما وحسرة .
 وقائد حملوه في محفته

إلى الشعيبة من زوراء بغداد
 افاذك بالعدى جيش مدبره
 معطل الجسم ملقى فوق امواد
 جرى سليمان في استعجال ممره
 مجرى كفاة بامر الحرب قواد
 قاد الالوف فارداها واتبعها
 في الحال نفس ابي غير منقاد
 مخاضراً عاش اعماراً لأن له
 في إثر كل نجا يوم ميلاد (٣)

ومثلما حظى والى العراق وقواده بالثناء كذلك حظى
 والى الشام احمد جمال باشا بالاطراء من قبل بعض شعراء
 الشام .
 فيثنى على الزيماوي على دار الخلافة ، وعلى جمال باشا
 لآرائه الصائبة .

(١) الشعر العراقي الحديث ص ٩٨ .
 (٢) لايجوز للمسلم قتل نفسه لضر امابه ، بل يصبر ويحتسب .
 (٣) ديوانه ص ٤٨-٤٩ ، وانظر : الشعر العراقي ص ٨٢ .

سرى وفدك الغازى ومثلك يوفد
 وعاد بملء البشر والعود أحمد
 وجاء إلى دار الخلافة والتقى
 بها العلم العالى هلال وفرقد
 رايت جمال الملك رايتك والذى
 تراه هو الراى المواب المسدد (١)
 ويمجد حسين أفندي الحبال أعضاء حكومة الاتحاد والترقى
 أنور ، طلعت ، جمال ، وأنهم حموا بيضة الإسلام فى السلم
 والحرب ، وذلك بعد سلامة الحار الذى أسداه إلى دار الخلافة
 محط رجال الإسلام وملاذه .
 سلام على دار الخلافة إنها
 محط رجال المسلمين ومؤيد
 سلام على دار الخلافة إنها
 ملاذ إلى الإسلام بل هى معقل

 بها وزراء فيهم كل أنور
 يحيل الدجى نورا إذا عمّ مشكل
 وكم طلعة فيهم له طلعة بها
 يكشف ليل الشك والليل الليل
 وكل جمال نور لآلاء وجهه
 من الصبح بل من طلعة البدر أجمل (٢)
 ويمفقه بدر الدين التمساني بقوله : إنه مهما أكثر
 المسادحون له فإنهم لم يوفوه حقه ، وهو بصير وفى ، كريم
 ينجز وعده .

(١) البعثة العلمية الى دار الخلافة الاسلامية ص ٢٦٠ .
 (٢) نفسه ص ٢٢٠-٢٢٢ .

لَنْ أَكْثَرَ الْمَدَّاحُ فَيْكَ الْقَمَائِدَا
 فَمَا بُلَغُوا فِي الْأُكْثُفِ مِنْ ذَاكَ وَاحِدَا
 وَلَيْسَ يُطِيقُ الْمَادِحُونَ مَدِيحَكُم
 وَإِنْ نَظَّمُوا فَيْكَ السُّمَى وَالْفَرَاقِدَا
 بِمِيرَا بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ إِذَا التَّوَتْ
 فَلَيْسَ عَنِ الْأَمْرِ الْمُغَيَّبِ نَاشِدَا
 يُعَلِّمُ أَرْبَابَ الْوَفَاءِ طَرِيقَهُ
 وَيَفْتَحُ فِي وَجْهِ الْكِرَامِ الْمَعَامِدَا
 وَيَنْجِزُ فِي الْخَيْرَاتِ صَادِقَ وَعْدِهِ
 (١)
 وَيَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي لَيْسَ وَاعِدَا
 (٢)
 وَيَشِيدُ مُحَمَّدَ الْعَمْرِيَّ بِوَالِي الْمَدِينَةِ «فَخَرَى بِأَشَا» وَيَذْكُرُ
 شَجَاعَتَهُ ، وَانَّهُ حَامِي الْخَلَاةِ ، ذُو حَنَكَةٍ وَدِرَايَةٍ .
 أَبُو الْفَتْوحَاتِ فَخْرُ الدِّينِ نَاصِرُهُ
 حَامِي الْخَلَاةِ إِنَّ حَقَّ لَهَا اهْتِمَامَا
 مَدْرَبٌ عَارِفٌ بِالْجُرُوحِ ذُو حُسْدِي
 تَخَفَى عَلَى الْوَهْمِ لَا يَأْلُوا بِهَا نَقْمَا
 مِنْ لَا يَهَابُ الرَّدَى وَالْمَوْتَ مُكْتَسَحٌ
 (٣)
 وَلَا يَنْهَامُ عَلَى جَوْرِ إِذَا ظَلَمَا
 وَجَلَى أَنْ هَذَا الشَّعْرُ لَا يَحْمِلُ قِيَمَةَ فَنِيَّةٍ ، إِذْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ
 رَمَكٍ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْفَاطِظِ الْإِشَادَةِ الْمُخْتَزَنَةِ فِي الذَّاكِرَةِ ،
 وَالْتِرَاكِيْبِ الْمُحْفَوظَةِ مَحَلِّ قَوْلِهِ : صَاحِبِ حَزْمٍ ، وَشَبَاتٍ ، شَرِبَ

(١) السابق ص ٢٢٥ .
 (٢) محمد العمري الواسطي ، ولد سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م في
 الجزائر ، نَزَحَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَظَلَّ مَجَاوِرًا لِمَسْجِدِ
 الرَّسُولِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ صَاحِبَ مَزَاجٍ عَمَبِيٍّ ،
 لَهُ دِيْوَانُ شَعْرِ مَفْقُودٍ ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م .
 انْظُرْ : الشَّعْرَ الْحَدِيثَ فِي الْحِجَازِ ، الشَّعْرَ فِي الْجَزِيرَةِ
 الْعَرَبِيَّةِ - نَجْدٍ وَالْحِجَازِ ، د. عَبْدَ اللَّهِ الْحَامِدِ .
 (٣) الشَّعْرَ الْحَدِيثَ فِي الْحِجَازِ ص ١٧٦ ، عَبْدُ الرَّحِيمِ أَبُو بَكْرٍ .

الظبي ، اخو الحجي ، اسد عادى ، او انه أشبه بالبدر ،
كريم وقى ، شجاع ... فهى لا تبلغ ان تكون نظماً ليس إلا .
ولكنها فى نفس الوقت تعطينا دليلاً على وجود اتجاه قوى
داخل العالم العربى لا يريد الانفصال عن الدولة العثمانية
ممثلاً فى الوجهاء والعلماء فى تلك الفترة التاريخية .

الحض على المساعدة :

زيادة على ما مر بنا فى الباب الاول من أن بعض الشعراء
العرب دعوا إلى مساعدة الدولة العثمانية فى الحرب الاولى ،
فإننا نجد ايضاً شعراء من العراق - فى المعارك التى دارت
رحاها هنالك - يدمون إلى الوقوف بجانب العثمانيين وقتال
الإنجليز .

دعاه رشيد العاشمى^(١) إلى حمل السلاح ، وعدم الغفلة ، قبل
ان تستباح الامراض والاموال .

إلى الوغى هبوا لحمل السلاح
واسترجعوا ما فات قبل الصباح
من نام من اوطانه غافلاً

^(٢)
يبيع فى عرشي ومال مباح

ويدعو "الزهاوى" إلى الوقوف فى وجه الإنجليز قبل ان
تداس كرامة العرب ، ويهيب بالامة ان تعيد إلى العرب
مجدها .

(١) رشيد العاشمى ، شقيق الشاعر محمد العاشمى ، ولد سنة
١٣١٤هـ / ١٨٩٦م ، له شعر مجموع باسمه ، وقد جن فى آخر
حياته ، توفى سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م .
انظر : مقدمة ديوانه ، ط/المعارف بغداد ، تعليق عبد
الله الجبورى .
(٢) ديوانه ص ١٢

إِذَا دَامَ رَجُلٌ الْإِنْجِلِيزَ رَبُّوعَهَا
 فَلَا "خُنْدَقٌ" تَرْضَى وَلَا الْاَوْسُ تَعْدُرُ
 لِيَخْجَلَ قَحْطَانًا وَيُنْكَسَ رَأْسَهُ
 قَعُودُ بَنِيهِ عَنْ عَدُوِّ يُسَيِّطِرُ
 أَعِيدُوا بَنِي عَمَى إِلَى الْعَرَبِ صِيَّتَهُمُ
 وَمَجْدًا قَدِيمًا ذَكَرَهُ يَتَكَرَّرُ (١)
 وَيَسْتَنْفِرُ عَبْدَ الْمَطْلَبِ الْحُلِيَّ الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ الْمُنْتَشِرَةَ
 فِي الْعِرَاقِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ - الْإِنْجِلِيزِ - وَيُؤْنِسُهُمْ
 عَلَى نَكْوَسِهِمْ عَنِ الْقِتَالِ ، بِنَفْسٍ مُتَالِمَةٍ عَلَى مَوْقِفِهِمْ ذَاكَ ،
 وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَضَعُوا خُطَّةَ لِمَهَاجِمَةِ الْعَدُوِّ .
 بَنَى الْعَرَبُ الْعَرَبَاءُ مِنْ نَوْمِكُمْ هَبُوا
 وَنَهَضُوا إِلَى الْجُلَى فَقَدْ عَظُمَ الْخُطْبُ
 نَكَمْتُمْ وَحَرَبُ الْإِنْجِلِيزِ لِحَرْبِكُمْ
 تَقَدَّمَ لَا يُخْنِيهِ طَعْنٌ وَلَا فَرْبٌ
 وَارَسَى عَلَى الْكُفْرِ الْعِرَاقِي بَغْتَةً
 بِعَادِيَةِ أَحْمَدٍ يَفِيْقُ بِهَا الرُّحْبُ
 فَمَا مَدَّتْ مِنْكُمْ لَدَى الْمَرْزُكَةِ
 تَعُودُ لَجَيْشِ الْكُفْرِ وَهُوَ لَكُمْ نُهْبٌ
 فَمَنْ مَبْلَغِ الْعَرَبِ الْكِرَامِ رَسَالَةً
 وَإِنْ كَانَ لَا تُجْدِي الْمَرَاسِيلُ وَالْكَتَبُ
 أَبْثَمَهُمْ مِنْ مَوْلِمِ الْعَتَبِ نَفْخَةً
 بِهَا ضَاقَ رَحْبُ الْمَدْرِ وَاعْتَلَجَ الْكَرْبُ
 سَأَنْدَبُكُمْ عُرْبًا أَقَامُوا بِخُطْبَةٍ
 مِنْ الشَّيْمِ لَا يَرْضَى بِهَا الرَّجُلُ النَّدْبُ

يسومهم الغدار خُطة نازلٍ على حكمه قسراً لها دلت النجب^(١)
 وكان "عبد الرحمن البنا" من أفضل الشعراء العراقيين
 استجابة لقتال الإنجليز الذي اجتاز البحار ، ليمرغ مواطن
 الشرف والعزة ، لذا "فأين البأس والهمم" ، وكيف يطيب
 العيش واقدام الانجليز تطأ شرى العراق ، وتريد أن تهدم
 مجدكم .

ويدعو إلى التمسك بعري الايمان ، والاتحاد في وجه
 العدو .

بني العراقيين لا تنحط همّتكم
 قرباً بارقة تجلى بها الظلم
 بني العراقيين حلّ الخصم ساحتكم
 وفي حماكم مرعى ومقتنم
 قد جاءكم من وراء البحر معتزماً
 وذاك عارٌ عليكم ليس يلحسهم
 اجدادكم تحت طي التربة تندبكم
 أين الجلالة أين البأس والهمم
 فكيف يهنا لكم عيش بارفكم
 والانجليز بها يرسي لهم قدام
 لمن تشاد مبانيكم ومجدكم
 بمعول البغي والإشراك منهم
 انتم بنو الشرف الاعلى وعترتكم
 تمسكوا بعري الايمان واعتمموا^(٢)

(١) السابق ص ٨٨ .

(٢) نفسه ص ٨٢ .

وان لم يكن هذا المقطع ذا مستوى فنى رفيع إلا أنه حوى
بعض الأساليب الحماسية المناسبة لموضوع الحث على الحرب ،
كالنداء والاستفهام .

وفى قصيدة أخرى يرسم صورة أشد إشارة للحمية إذ تصور
فتاة حرة أبية ، وقد غدت سبية بيد العدو ، واستاقها العelj
امامه وهى تمرخ وتولول نادبة أهلها وحماها ، وقد حملت
ولدها الصغير ، ففاجأته رصاصة أودت بحياته ، فتركته
والحسرة تملأ قلبها ، وهى مكبلة بالقيود ، ثم يهيب
بالمسلمين أن يطردوا الخنم ، وأن يسرعوا الخطى للنفير
العام ، وعدم الخوف من الموت فإنه مصير كل حى ، ولكن من
يمت مدافعا عن وطنه مات شهيدا .

رَبِّا فِى الرُّوعِ حَرَّةٌ قَدْ سَبَّاهَا
عَلَجٌ كَفَرٌ فَلَإِخَافُ الْوَعِيدَا
سَاقَهَا عُنُوةً بِسُوطٍ وَجَنَيعِ
غُلٌّ مِنْهَا سَوَاعِدٌ وَزَنُودَا
وَهى تُبْكى أُمَلًا وَتَنْدُبُ بَعْلَا
وَتُكْنَى أَبَاءَهَا وَالْجُدُودَا
وَعلى مَدْرِهَا هُنَالِكَ طِفْلٌ
قَلَدَتْهُ مِنَ الدَّمُوعِ عُقُودَا
فَاجَأَتْهُ رِصَاصَةٌ بِحُشَاهُ
فَهوى صَارَخًا يَكْدُ الصُّعِيدَا

.....
تَرْكَتْهُ رَغْمًا عَلَيْهَا وَسَيِّقَتْ

وَهى تَلْوِى إِلَيْهِ مِينًا وَجِيدَا

تَتَقَى سِتْرَ وَجْهِهَا وَيَدَاهَا

فِى قِيُودٍ مِنْ ذَا يَفْكُ الْقِيُودَا

أيُّها المسلمون لا فخر إلا نجعلُ الخُممَ في القِفارِ طريدا
فهلِّمُوا إلى التَّغْيِيرِ سُرَاعا لا تهابوا مَدَافِعاً وجُنُودا
كلُّ نفسٍ مميرُها الموتُ لكنَّ من يمتَّ بالدِّقَّاعِ مات شهيدا (١)

والموضوع في حد ذاته ذو فكرة إنسانية جميلة ، ومورة
المرأة مصفدة تاركة ولدها ، مثير أيضا لأصحاب الضمان
الحية ، ولكن أسلوب المعالجة كان أشبه بالرسم للواقعة
دونما إضافة خيالية تزيد من إفعام الصورة لتكون أشد
إشارة وتحميسا ، ولكن يحمد للشاعر طرق مثل هذه الموضوعات
مما يعد مساهمة للارتقاء بالشعر العربي نحو الشعر
الإنساني .

وفي قصيدة ثالثة يصور المجاهد وقد تحولت إلى كنائس ،
ورسم المليب على المحاريب ، كي يدلل على صليبية العدو ،
فيكون أشد إشارة وتحميسا .

جوامعكم غدت بيما وفيها سما فخرا على الحقِّ الضلالُ
ايرسم فوق محرابٍ مليبٌ وفي أفقِ الهدى يزهو الهلالُ (٢)
وينادي "محمد حبيب المبيدي" بتحطيم الذل والوقوف ضد

الإنجليز لجرائمهم المروعة :
يا أسارى الهوانِ قوماً فقوما قد عرقتُم جرائمَ الإنجليزِ
فمضى تحطمون للذلِّ قييدا مستعنيين بالقوي العزيزِ (٣)
ويقول محمد رضا الشبيبي مستنفر المسلمين الذين
يؤشرون الشهادة على الدنيا ، مبينا ما أعد الله لهم من
الحر والولدان :

(١) السابق ص ٨٣-٨٤ .
(٢) نفسه ص ٨٤ .
(٣) نفسه ص ٩٠ .

اِستَبِيحُ الحمى قومٌ اما مهمو
ومن وراء الحمى قلبٌ مساعيرٌ
يا مَنْ أَحَبُّوا عَلَى الدُّنْيَا شَهادَتَهُمْ
تَزِينَتْ لَكُمْ الْوِلْدانُ وَالْحُورُ (١)

الثورة العربية :

كان لهذه الثورة أثر قوى فى الشعر العربى إذ انقسم الشعراء بين مؤيد ومعارض .
وكان الصوت المعارض اكثر مشاركة ، إذ دعا إلى الثورة وحض عليها وايدها ، ولكن بعض الشعراء وقف إلى جانب دولة الخلافة ، ورمى الثورة بالعمالة للاجانبى من أمثال احمد محرم كما سياتى .

(١) تاييد الثورة والتعريف بالاتراك :

كان اكثر الشعراء بروزا فى تلك الثورة ممن له مكانة بين الاحياء «عبد المحسن الكاظمى» ، ومر بنا انه وقف بجوار الدولة فى حربى «البلقان وطرابلس» ، اما هذه المرة فقد اصبح منشدا للثورة داعيا إلى استغلالها وحذر من فوات الفرصة المواتية .

فها هو ذا فى إحدى قصائده يدمو إلى احتفال تلك اللحظة للتخلص من الاتراك ، ويعرض بهم ، وانهم وعدوا العرب وعودا فمطلوهم ، ويحض على خوض غمار الثورة والحرب ضدهم .

(١) ديوانه ص ٣٠ .
(٢) نشر شعر كثير فى الجرائد والمجلات حول هذه القضية ، لذا ساكتفى ببعض ما قيل فيها .

كم فرصة سَحَبَتْ فَكَفَكْنَا
واليوم أحسنها يمرُّ بنا
ولئن تغنمنا بوادرها
قال الأعداء سوف نضعكم
لم ينجوا للعدل منهجه
لاتذهبن برشدكم عِدة^(١)
خوضوا غمار الحرب وابتدروا
تُخْلِى مِيا دِينَ النَّزَال لَكُمْ

عن نيلها الإهمال والكسل
فلئن تفتت فالتكسل والهبل
فهناك الأسعاد والتفيل
كذبوا فكُم وعدوا وكم مظلوا
كلّا ولاعن ظلمهم عدلوا
تلك الوعود بروقها قلل
تلك البحار خضمها وشل^(١)
إن قيل إن العرب قد نزلوا

وهذا المقطع يدل على أن نفس الكاظمي تخلى على الاتراك
وان بغضه لهم بلغ حدا لا يطاق ، إذ وصفهم بالظلم والكذب ،
وانهم عدو يجب محاربته وهون من شأنهم "تلك البحار خضمها
وشل" .

وفي قصيدة أخرى يصفهم بالخيانة والقسوة ، وإشاعة
حقوق العرب ويرد على وصف الاتراك للشوار العرب بالخيانة
- إشارة إلى مقام به جمال باشا في سوريا تجاههم -
خلتموننا ولم تراعوا وزدتم
كم أظمتكم حقوقنا وحفظنا
ومدقنا بوعدكم وكذبتكم
فعددتكم رجائنا خائنينا
وابيتم إنمائنا ورؤينا^(٢)
كذبونا إن كنتم صادقينا
والشاعر تلاعب بالالفاظ والمعاني إذ ولد بعضها من الآخر

وهذا دليل على قدرته الشعرية .
(٣)
ونجد "محمد عز الدين" ينمى على القاعدين قعودهم عن
مناصرة الثورة ويؤكد أن المعالي لا ينالها إلا المشمرون ،
وأن من خاف الموت ، وآثر الذل والخنوع قلن ينال العز

(١) ديوانه ١٢٦/١ .

(٢) نفسه ١٦٠/١ .

(٣) لم أعثر على ترجمته .

والمكارم ، ويؤكد وقوف أهل الشام مع الثورة العربية
المشتعلة بالحجاز .

أليف الونى والسلم هيئات يسلم^١
وذو العز في خوض المعامع ينعم^٢
ومن يبتغ العلياء يسفر لنيلها
وذو الحلم بالعلياء لاشك يحلم^٣
عجبت لمن يفضي الجفون على القذى
مخافة ورد الموت وهو محتسب^٤
واعجب منه من يذل لغيره
ولو شاء نال العز وهو مكرم^٥
أرى كل من بالشام يرقب دعوة^٦
حجازية يجبى جوانبها الدم^(١)

وهذا المقطع ذو الغاظ حماسية رائقة ، ولا فرو فقد
استعار بعض الغاظ «المتنبى» ومعانيه . وفي البيت الأخير بشكل
ظاهر ، إذ هو من قول «المتنبى» :
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم^(٢)
ويظهر يوسف مراد الخورى «تجاوب البلاد العربية مع
الثورة ، ويؤنب من انغم للاتراك ، ويوضح مساوئهم ، فقد
عبثوا بالدين ، واجاموا الناس ونكلوا بهم ، ويختتم القصيدة
بتأكيد ولاء العرب للثورة .

(١) القبلة عدد ٢٤ محرم سنة ١٣٣٥ هـ .
(٢) ديوانه شرح العكبرى ١٢٥/٤ .

حَيْتَكَ مَمْرُ وَمَكَّةُ وَالشَّامُ
 وَتَلَا عَلَيْكَ سَلَامَهُ الْإِسْلَامُ
 قُلْ لِلَّهِ مَا لَوْا إِلَى الْإِتْرَاكِ فِي
 حَرْبٍ لَهَا نَارُ الْجَحِيمِ فُرَامُ
 مَاذَا أَتَاهُ التُّرْكُ حَتَّى يُمَدِّحُوا
 وَيُنَالِعَمَ مِنْ شَعْبِكُمْ إِكْرَامُ
 عَبَثُوا بِدِينِ الْمُصْطَفَى وَكِتَابِهِ
 عَمْدًا وَقَدْ فَسَدَتْ لَهُمُ أَحْكَامُ
 وَجَنُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ شَرَّ جُنَايَةِ
 قَامَتْ لَهَا الْأَعْرَابُ وَالْأَعْجَامُ
 إِنَّ الْخِلَافَةَ غَيْرُ وَاثِقَةٍ بِهِمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا كَثُرَتْ لَهُمُ أَشَامُ
 النَّاسُ فِي أَنْجَادِهَا وَسَهْوِلِهَا
 جَاعُوا وَلَمْ يَكُ فِي الْبِلَادِ طَعَامُ
 وَالْجَوْرُ مَكْتُوبٌ عَلَى سَكَّانِهَا
 وَالنَّفَى وَالتَّعْذِيبُ وَالْإِعْدَامُ
 مَهْلًا غَلَاةُ التُّرْكِ إِنَّ أُمُورَكُمْ
 لَمْ يَرْضَ عَنْهَا كَاهِنٌ وَإِمَامُ
 يَنْأَشُرُ الْبَنُوَ الْمُجِيدِ وَخَلْفَهُ
 جَيْشٌ مُكْرِمٌ الذَّبْعَتَيْنِ لُحَامُ
 لَيْسَ الْحِجَازُ مَوَالِيًا لَكَ وَحَدَهُ
 (١) الْعَرَبُ كُلُّهُمْ لَدَيْكَ قِيَامُ

ويبدو من القرائن ان موت المعارضين للاتراك طفق يظهر
 وينتشر ، ولاغرابة ، فالانجليز في مصر حريصون على تقوية هذا
 الجانب ومساندته .

ومن الشعراء الذين اظهروهم هذه الثورة «عبد المحسن
المصافي»^(١) اخذ يتابع اخبارها ، ويحض على استنهاض همم
العرب للانضمام لها فيقول في إحدى قصائده ، داعيا بني قومه
للوقوف في وجه الاتحاديين واصما إياهم بالخيانة ، ويخاطب
الشريف بقوله إن الثوار طوع امره يجيبونه أئى شاء وكيف
شاء .

فهبوا يا بني الاوطان هبوا	لاهل الاتحاد الخائنين
وقوموا يا بني المختار قوموا	لحزب الخزي بل للمفسدين
إلى فتح الامدادى فاشربوا	وتخليص لعرب هاتفين
هلموا وامرموا من كل فج	فإن الله مولى المؤمنين
ومن ذاك السراب فلتخافوا	فانتم ماء كل الظاميين
ايا ملك البلاد اليوم جئنا	لامرك خاضعين وطائعين
فوجهنا إلى ماشئت وامر	تجدنا بالإجابة مسرعين ^(٢)

ولا يوجد في هذا النص قيمة فنية تذكر ، وإنما يكتسب
مكانة من كونه الفاظا حماسية واسلوبا خطابيا يعبر عن
التجاوب مع الثورة ليس إلا .

ويذكر «خير الدين الزركلى» جرائم الاتراك ، من قتل
وإهانة لكل شخصية بارزة ، ويشير إلى الثورة يحدوه الامل ان
تعيد للامة سالف مجدها .

(١) عبد المحسن بن يعقوب المصافي ، ولد في البحرين سنة
١٢٩١هـ / ١٨٧٤م ، انتقل إلى مكة بصحبة والده فتعلم بها
مدح الشريف حسين وناصره في ثورته على الاتراك ، ثم
مدح الملك عبد العزيز ، له شعر كثير في جريدة القبلة
مات سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م .
انظر : الاعلام ٤ /
(٢) السابق عدد ٢٤ محرم ١٣٣٥هـ .

عنا احقاد "جنكيز" فساقوا
فكم قتلوا من الاخيار ميذاً
سلائل يعرب سؤق العبيد
وكم ساموا المهانة من عميد

.....

إلى أم القرى عدت المذاكى
بروق في الحجاز ومفن وهنا
وفي أم القرى خفق البنود
فكان بجلق قمف الرعود^(١)

وكان فؤاد الخطيب من الشعراء البارزين الذين رافقوا
هذه الثورة ، فنجده في إحدى قصائده يحيى الشريف حسين
ويبارك ثورته ويصفه بماحب العمم والشم ، ويقرّع الاتحاديين
ويسمعه بالظلم والجور ، مما كان سببا في نقمة الشعب عليهم
وإشعال نار الثورة التي "تشق البيد والاكما" ، ويصف الشوار
بالكمة الغطارفة . ويدعو "الشريف" أن يخوض بهم غمار الحرب
فد الاتراك الاتحاديين الذين شوهوا صورة الإسلام ، ويصب جام
غضبه عليهم في ثنايا القصيدة ، ويختتمها محييا العرب ،
مستشيرا حميتهم ، ذاكرا ان الناس يرقبون نسام تلك الدعوة
وانها قد انتشرت بينهم حاضرة وبادية ويعرج على مآثر
الاجداد ، ليثير نخوة معاصريه في سلوك سبيلهم .

حي الشريف وحي البيت والحرما

وانهض فمثلك يرعى العهد والذما

ياماحب العمم السماء انت لها

إن كان غيرك يرعى الأين والسما

.....

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ص ١٤٨ ولم
أجدها في ديوانه المجموعة الكاملة ، ط/مؤسسة
الرسالة .

يَا آلَ "جَنْكِيَز" اِنْ تُخَفِّلْ مِظَالَكُمْ
 عَلَى الشُّعُوبِ فَقَدْ كَانَتْ لَهُمْ نِعْمًا
 فَالظُّلْمُ اَيَقْظَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي سِنَةٍ
 مَا كَانَ يَنْهَضُ لَوْلَا اَنَّهُ ظُلُمًا
 اَرَهَقْتُمُ الشَّعْبَ ضَرْبًا فِي مَخَاصِلِهِ
 حَتَّى اسْتَفْأَقَ وَهْلَ السِّيفِ مُنْتَقِمًا
 فَالْشُّنْقُ مِنْ هَلَقٍ مِنْكُمْ وَمَوْجِدَةٌ
 قَدْ اَرَهَقَ الْعَزَمَاتِ الشَّمَّ وَالْعِمَامَا
 فَمَنْ يَكُنْ مِنْ اَبَاةِ الْقِيَمِ فِي مَمَرٍ
 فَلْيَسْمَعْ الْيَوْمَ صَوْتًا يَحْسِمُ الصُّمَمَا
 فَقَدْ تَكَلَّمَ صَوْتُ النَّارِ مُرْتَفِعًا
 مِنَ الْحِجَازِ فَشَقَّ الْبَيْدَ وَالْأَكْمَا

.....
 يَا بَنِي الْكُمَاةِ وَاَنْتَ الْيَوْمَ وَارِثُهُم
 قَدْ عَادَ مَتَّصِلًا مَا كَانَ مُتَفَصِّلًا
 وَالتَّفَّ حَوْلَكَ ابْطِئَالٌ غَطَارِفَةٌ
 شَمُّ الْاَنْوَالِ يَرُونُ الْمَوْتَ مُفْتَنِمًا
 فَاصْدُمْ بِهِمْ حَدَثَانَ الدَّهْرِ مُخْتَرِقًا
 سَدَّامِنَ التَّوَكُّلِ اِنْ تُعَرِّضْ لَهُ اَنْهَدَمًا
 وَابْتَرِ بِسَيْفِكَ عَفْوًا لِحَيَاةٍ لَهُ
 لَوْلَاهُ لَمْ يَكُنِ الْاِسْلَامُ مُتَعَمِّمًا

.....
 اَيُّهُ بَنَى الْعَرَبِ الْاَحْرَارِ اِنْ لَكُمْ
 فَجْرًا اَظْلَ عَلَى الْاَكْوَانِ مُبْتَسِمًا
 يَسْتَقْبِلُ النَّاسَ مِنْ اَنْفَاسِهِ اَرْجٌ
 مَا هَبَّ فِي الشَّرْقِ حَتَّى اَنْشُرَ الرُّمَمَا

تلك الحياة التي كانت مُحجَّبةً
 في الغيبِ لاسمًا خُشى ولاسَمًا
 سارت مع الدهر من بدو إلى حضر
 حتى استحدثت فكانت نُهضةً عَمَّما
 من ذلك البيت من تلك البطاح على
 تلك الطريق مشَّت أجدادكم قُدُما
 لستم بنبيهم ولستم من سُلالتهم
 وإن لم يكن سعيكم من سعيهم أمما
 من كل أروع وثاب إذا انتسبت
 بين الموارم كان الصارم الخدما
 فانقضَّ من عدواء الدار مُتملحا
 وانغلَّ في عُمرات الموت مُقتحما
 إلى الشام إلى أرض العراق إلى

(١)

أقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلما
 والشاعر هنا مجلجل في الفاظه ، وأسلوبه خطابي لا يخلو
 من الصور المثيرة ، نحو مبيى وأنهى ، والنظر وادم وأبتر ،
 وما يوحى به أسلوب الأمر من حماسة ، وانظر إلى قوله "فادم"
 بهم حدشان الدهر" وما يوحى به التركيب من صور حية .
 وظاهر أن الشاعر كان من دعاة القومية العربية التي
 ترد للعرب مجدهم وحقوقهم ، غير متذكر للإسلام الذي وحد الأمة
 ثم يخاطب الاتراك "بال جنكيز خان" مذكرا العرب بمجدهم ،
 وإن عليهم أن يعيدوا إلى الأمة روحها التي أزهقت .

الوقوف ضد الثورة :

وقف بعض الشعراء إلى جانب الدولة العثمانية في تلك
 الفتنة العاتية التي قضت على آخر رمق لها ، وإيماناً منهم
 بوجوب مساندتها مهما وصلت إليه من سوء حال .
 فاحمد محرم - يهوله قيام الحرب ، ويبين أن الإنجليز
 خدعوا الشريف ببريق وعودهم - ومتى وفوا بوعودهم ؟ - ويسخر
 من عمله ذاك ، إذ يصوره جالساً على عرشه الذي يحلم به ،
 والوزراء من حوله ، وخراج البلاد يأتيه مابين ذي - سلم ، إلى
 عسفان ، ويهزا بابنه - فيمل - قائد جيوشه ، ويشير إلى خيائنه
 ويشبهه - بعبيدة بن حمزى الغزاري - في إغاراته على إبل المسلمين
 ويهدده ويدعو الأعراب من حوله إلى طرده ، ويؤكد أن الشرك
 عدة الإسلام .

تُبَيَّنَتْ مَا زَعَمَ الشَّرِيفُ وَقَوْمُهُ
 فَسَمِعْتُ مَا لَمْ تَسْمَعْ الْأُدُنَّانِ
 خَدَعُوهُ إِذْ ضَاقَ السَّبِيلُ بِمَكْرِهِمْ
 وَرَمَوْا بِأَمَالٍ إِلَيْهِ حِسَانِ
 فَابْجَاحَ مَا مَنَعَتْ فُؤَادِي هَاشِمٍ
 وَحَمَّتْ وُلَاةُ الْبَيْتِ مِنْ عُدُنَانِ
 يَا ذَا الْجَلَالَةِ لَا سَعِدْتُ بِتَحَاجُّو
 مُلِكًا سِوَاكَ بِهِ السَّعِيدُ الْهَانِ
 أَمَلَكْتَ مَا بَيْنَ الْبَقِيْعِ فَجُدَّةٍ
 وَأَبَحْتَ جَيْشَكَ مَا وَرَاءَ مَعَانِ
 وَبَصُرْتَ بِالْوُزَرَاءِ حَوْلَكَ خُشْعَانًا
 كَمَفِي أُمُورِ الْمُلِكِ فِي الْإِيْوَانِ

يُجْبَى إِلَيْكَ مِنَ الْبِلَادِ خَرَايِمُهَا
 مَا بَيْنَ ذِي سُلَيْمٍ إِلَى عُثْمَانَ
 مُلْكُ أَمْدَكَ مِنْ خَزَائِنِهِ بِمَا
 أَعْيَا الْحَيَاةَ وَنَاءَ بِالْخُزَّانِ
 الْجَنْدُ مَعْقُودُ اللَّوَاءِ لِفَيْصَلِ
 بَيْنَ الظُّبَى وَعَوَامِلِ الْمُرَّانِ
 يَلْقَى النَّبِيَّ مُدْجَجًا فِي جُنْدِهِ
 وَبَنُو أَبِيهِ عَلَى اللَّوَاءِ كَوَانِ
 أَيْقُودُ جَيْشِكَ أَمْ يَقُودُ "عَيْنَةُ"
 ثُمَّ الْفَوَارِسُ مِنْ بَنِي عُطْفَانَ
 سَلَبُوا اللَّقَاحَ وَإِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
 لَأَمَزُّ مِنْ إِبْلِ عَلَيْهِ وَضَانِ

.....

تَمْحُو السُّيُوفُ وَلِلْحَقَائِقِ حُكْمُهَا
 مَلِكُ الْخِيَالِ وَدَوْلَةُ الْمُبَيَّانِ
 مَا الْمَلِكُ مِنْ عَزٍّ وَبِاسٍ مَادِقٍ
 كَالْمَلِكِ مِنْ كَذِبٍ وَمِنْ بُهْتَانِ
 صَوْنُوا بَنِي الْأَعْرَابِ مِنْ عَوَارِجِهَا
 دَعَايَ لَعْمَرِ اللَّهِ غَيْرُ حَصَانِ
 غَشَى عَلَى أَبْصَارِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ
 كَالْقَيْلِ مِنْ حُجُبٍ وَمِنْ أَكْثَانِ

.....

الْتَرَكُ جَنْدُ اللَّهِ لَوْلَا بِأَسْهُمِ
 لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا مُقِيمٌ إِذَا (١)

وجلى ان المخزون التاريخى من ثقافة الشاعر كان خير
معوان له على المبالغة فى السخرية من الشريف وولده ، وكان
تموره للملك والوزراء من حوله زيادة فى الاستهزاء والسخرية
أضف إلى ذلك الجباية ومكانها ، فمتى كان مابين "ذى سلم
وعسفان" مكان خيرات إذ لم تكن الا صحراء قاحلة .
ويبين «العمري» موقفه بجرأة من تلك الثورة ، إذ الخلافة
بمثابة الحمى من أباحه فقد ساعد فى إذكاء الفتنة ، وهتك
حرمة الإسلام والحرم .

حُدَّ الخَلافةُ مِنْ يَجْتَازُهُ ظُلْمًا وَمِنْ أَيْحَ جِئَاءُ بَنِي مَا اقْتَحَمَا
وَمِنْ نَبَا فَتْنَةٍ عَمِيَاءَ سَاكِنَةٍ فَهُوَ الَّذِي هَتَكَ الْإِسْلَامَ وَالْحَرَمَا (١)

المعارك داخل البلاد العربية :

خاضت الدولة العثمانية معارك طويلة ضد الحلفاء
والشوار العرب فى بلاد «الشام والعراق والحجاز» ، وقيل فى
ذلك قصائد كثيرة شاشير إلى بعض منها كدليل على مواكبة
الشعراء (رحمهم)
عندما تمكنت الجيوش المتحالفة من الاستيلاء على بلاد
الشام سنة ١٣٣٧هـ ، هزل شعراء الثورة فرحا بذلك ، فهذا
«عبد المحسن المحاف» يقول : إن القلم قد أزيح عن «الشام»
بمجيء الأشراف إليها ، وفازت «دمشق» واتممت بها «المدينة» ومكة ،
ويهنئ البلاد المستولى عليها بحسن الرعاية ، ويدعو على
الأتراك ويتمكم بهم .

الشامُ عنها أزيحُ الشؤمُ مذ أفلتُ
عن أهلها وأنجلت تلك المظلاتُ

(١) الشعر الحديث فى الحجاز ص ١٧٦ .

اتى اليها باشراف غطارقة
 لهم زئير وتكبير وصيحات
 فازت دمشق وفاز القاطنون بها
 وقابلتهم من الجيش التحيات
 وطيبة بغواحي الشام فاتممت
 بعد التناهي فمكتها المسرات
 وارض ام القرى قد مرها نبا
 امست بها من عظيم الفخر زينات
 يا اهل حمص ومن احى لدى طلب
 وبعلبك اظلتكم رعيات
 فليهلك الحاسدون اليوم من خجل
 لانهم ببلوغ الفوز قد ماتوا
 ولتخذل اليوم بين الترك مشيخة
 لها من القبح قد باتت مقامات
 اخشاب يا انور اخشاب يا بطل
 لتركيا خلفه كمشى دجاجات (١)

والشاعر ليس على مستوى الحدث الذي آمن به وقاتل من
 اجله اذ هو ضعيف التراكيب والصور ، وإلا فأي شاعرية في مثل
 قوله :

اتى اليها باشراف غطارقة لهم زئير وتكبير وصيحات
 فلم يعد ان جمع الفاظا متجانسة في النغم امتاحها من
 ذاكرته .

وإى صورة بدیعة فى قوله :
 اخشاب يا انور اخشاب يا بطل لتركيا خلفه كمشى دجاجات

ويقول "حسين روى" فى قصيدة مخمسة ، واصفاً بؤس الشام
 إبان عهد الاتراك وفرحها بالعهد الجديد ، مشيداً بجيش الثورة
 الذى فك أسر العرب وأعاد مجدهم ، ويشير إلى ما حل بحكومة
 الاتراك من جراء العزائم المتخالية .

كانت دموعُ بنى الشامِ سواكبا والآنُ نجمُ السَّعدِ يطلعُ مُغرباً
 أدمشقُ قدْ قالَ البشيرُ مخاطباً تيهي عروسُ الشامِ جاءك خاطبها
 بطلُ الحجازِ فحاذرى أنْ تبْخلى

جيشُ الحجازِ أدبَتْ قلباً حقودنا حتى طرَدَتْ الحركَ خلفَ حدودنا
 لله دُرٌّ قدْ فكَّكَتْ قيودنا جيشُ الشمالِ أعدتْ مجدَّ جدودنا
 وبدأتْ بالفتحِ المبينِ تأكمل

حرَّرتْ أوطانكم بسهامكم والحركُ قَلَّتْ من شديدِ هجومكم
 إنْ خافتِ الأعداءُ ضرباً مسامكم فمعانُ شاهدةٌ على إقدامكم
 لما هجمتمُ هجمةً المستقبلِ

قد كان وجهُ التركِ دوماً عابساً ورئيسهم بين الأنامِ مُدارساً
 وبهمُ عدا عدوُّ العدالةِ دارساً ووطنوا أديماً يا أميرُ مقدساً
 فكأنهم ووطنوا أديماً الهيكلِ

قد مكَّهم زمنُ الفناءِ بنايه وهوت وزارةُ أنورٍ وصحابه
 اللهُ يَمْطُرُهم بسوطِ عذابِه قد مَزَقُوا مَكّاً تدوُنُ مابه
 بدمِ الجدودِ السَّيدِ للمستقبلِ (١)

وقد تنازعت "الكاظمى" عاطفتان عندما دخل الإنجليزُ القدس
 وأخرجوا الاتراك منها ، فهو فى فرحٍ إذ يفتحُ القدس على يد
 حلفاء العرب ، ولكنه فرح يخالطه شيء من حزن فقد شق عليه
 أن ينهزم الاتراك المسلمون وهم يدافعون عن بيت المقدس ،
 فهو يزعم أنه لم يمسقط بل أزيح عنه الظلم واللؤم ، ويهتف

(١) السابق عدد ٢٣٠ صفر ١٣٢٧ هـ .

المنتصرين ، ويواسى المنهزمين ، ويقارن بينهما فالغفر لمن
انتصر ، والجنة لمن مات شهيدا مدافعا من الأتراك ،
والقصيدة تعبر عن نفسية «الكاظمي» وموقفه من الحدث .

سقط القدس فالتوت جانحات	وتشتت لآخرين قُدود
وأحاشيه من سقوط ولكن	سقط اللوم منه والتفني
أيها البيت لا تسوك الليالي	حيث ساءت ولا يفرك الحُود
ربما جاوزت يد الظلم حدا	في مقام تقام فيه الحدود
ثم جاء الزمان فاقتن منها	وأراها المبيد كيف يُبيد

.....

نبأ لأقت المسامع منه	مايلاقى المسرور والمكمود
فلهذا هنا به وسرور	ولذاك الزفير والتنهيد

أهتّى به الألى فيه أبدوا

أم أمزى منه الألى قد أعيّدوا

فهنيئاً لمعشر قد أبادوا	وعزاء لمعشر قد أبيدوا
والى الغفر من بقى وشهدنا	منه وجهاً وللجنان الشهيد (١)

هذا عن دور الشعر في معارك الشام ، فأما «العراق» فوقف

بكل إباء وشجاعة في وجه «الإنجليز» ، وانتصر عليهم في بعض

المواقع وسائر الشعر تلك المعارك مشيدا بالبطولات التي

أبداءها العثمانيون ، كما أنه في الجانب الآخر - الأشراف -

مدح بعض الشعراء مهنتا «بغداد» لخروجها من يد الأتراك .

فيصف «عيد المطلب الحلي» دور المسلمين في الذود عن

حريمهم ، وهزيمة «الإنجليز» ، برغم قوتهم التي تتقدمها

المدافع ، إذ ولوا هاربين ، وأضحوا مابين قتيل وأسير .

(١) ديوانه ١٧٨/١ ومابعدها .

هُمُوا مَنَعُوا يَوْمَ السَّوِيحِ حَرِيمَهُمْ
 بَبِيضِ الظُّبَا مِنْ أَنْ يُرَاعَ لَهُمْ سَرَبٌ
 وَفِي يَوْمٍ أَمِ الْمَلِجِ أَبْقُوا مَآثِرًا
 مِنْ الْمَجْدِ فِيمَا لَمْ تَزَلْ تَفْخَرُ الْعُرَبُ
 غَدَاةَ الْبَرِيطَانِي قَدْ قَادَ جَحْفَلًا
 لُحَامًا بِهِ نَارُ الْمَدَافِعِ لَا تَخْبُو
 فَرْدُوهُ لِلْمَقَابِ خَزِيَانٌ نَاصِيًا
 فَوْتَى وَفِيهِ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ وَالسَّلْبُ (١)
 وَيَفْخَرُ مُحَمَّدُ رِضَا الشَّيْبِيُّ بِذَلِكَ النَّمْرِ إِذْ أَنَّهُ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ ، بَعْدَ أَنْ أَكْدَ هَلَكَ الرِّجَالُ وَتَدْمِيرُ الْعِتَادِ .
 تَجَاهُ إِيْوَانِ كَسْرَى مَا زَقُّ مَنِيكَ
 أَوْدَى الرِّجَالُ بِهِ الْخَيْلُ وَالْعَيْرُ
 كَادَتْ تَمَيِّزُ دَبًّا عَنْ حَقَائِقِهَا
 فِيهِ النُّفُوسُ وَتَسْتَقْرِى التَّصَاوِيرُ

 قَتَلَى بِدَجَلَةٍ مِنْهَا دَجَلَةٌ امْتَلَأَتْ
 وَالنَّهْرُ وَانْثَانُ وَالْأَنْقَاشُ وَالْأَدْوَرُ
 مِنْ لَمْ يَلِدْ يَوْمَ "سَابِطٍ" وَلَيْلَتِهِ
 مَوْبُ النَّجَاةِ فَمَقْتُولٌ وَمَاسُورٌ

 رَوَايَةُ النَّمْرِ صَحَّتْ بَعْدَ مَا اشْتُبِهَتْ
 وَحِينَمَا رَجَحَتْ عَنْكَ الْأَخَابِيرُ
 يَوْمٌ أَغْرَ مِنْ الْأَيَّامِ مُنْبَلِجٌ
 وَمَوْقِفٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاشُورٌ (٢)

(١) الشعر العراقي الحديث ص ٨٨ .

(٢) ديوانه ص ٣٠-٣٢ .

وفى قصيدة أخرى يصور الجثث المنثورة هنا وهناك ، وإن
المجاهدين ذاقوا الأمرين فى ليالى الحصار ، وإن المدافعين
المسلمين برغم ما هم فيه من قلة زاد ، إلا أنهم حاولوا
الصمود ، وهجموا على العدو غير هيابين ، وكانت نهايتهم أن
"فل العدو جناحيهم" ، ربما لأن بقية الأعراب لم ينصروا
القائد التركى .

نَبَتْ الرُّبَا حُمُرُ أَشْلَاءٍ وَأَوْرَدَ
منثورةٌ لك بين القَمَرِ والوَادِ
دون "الشَّعْبِيَّةِ" أَجْسَادٌ مَوْزَعَةٌ
فى البِيدِ تَوْزِيعُ أَغْضَاءٍ بِأَجْسَادِ
وفى النُّخَيْلَةِ أَرْمَاسٌ مَوْثَقَةٌ
عَلَانَةً بَيْنَ أَسْيَافٍ وَأَغْصَادِ
جَيْشٌ أَقَامَ ثَلَاثًا فِى خَنَادِقِهَا
خَالِىَ الْحَقَائِبِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ زَادِ
مَاءُ الْفَرَاتَيْنِ مَوْجُورٌ وَحُبُّهُمَا
وَالْجَنْدُ مُلْتَاحُ الْحَشَا مَادِ
عَشْرُونَ الْفَ عِرَاقِيٍّ وَمِثْلُهُمْ
حُمُرُ الْحَمَالِيْقِ مِنْ تُرْكٍ وَأَكْرَادِ
مَجْمُرُونَ تَجَافَوْا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَاسْتَبَدَلُوا الْوَحْشَ مِنْ أَهْلِ وَأَوْلَادِ
مَكَابِدُونَ عَلَى حَالِي حَفَاً وَوَجَى
فى الرَّحْلِ كُفَّةُ الْغَدَاةِ وَأَسْنَادِ
يَهَاجِمُونَ وَهُمْ رَحَالَةٌ كُشْفٌ
فى الْبَرِّ جَمَلَةٌ أَسْوَارِ وَأَسْدَادِ
فَلَّ الْعَدُوَّ جَنَاحِيَهُمْ وَقَلْبَهُمْ
مِنْ قَبْلِ تَجْهِيْرِ أَعْوَانِ وَأَسْدَادِ

ظن الالف من الاعراب تَعَفُّدُهُ

(١) فكان ماظنه قتلاً بأعفاد

والشاعر كان مريحاً في عرضه للمعركة وأوصافه كلها
حسية ، عمد إلى مآرآه بعينه ووصفه كما هو ، ولا يعد ذلك
عيباً إذا ما عرفنا أن الشاعر كان ضمن أفراد ذلك الجيش فنقل
الصورة بعينها .

ويقدم "الزهاوي" التهامي في إحدى الانتصارات للجيش
العثماني ، ويهجو "الانجليز" ، ويمك الطيارة وكيفية هجومها
وقذفها للمتفجرات ، وأن المدافع العثمانية تتصدى لها فتخر
هاوية متناشرة الاشلاء .

وما هذه في الدهر أول مرة
راى الحق فيها الانجليز فأنكروا
بفؤامرة من بعد أخرى فلأنهم

أدى البغي والتاريخ امرؤ مكرور
وقالوا بدت طيارة ستمبها
قدائف من صواعقها تتفجر

أقلب طرفي في السماء فلا أرى
سوى نقطة سوداء تخفى وتظهر
دنت فيأداها كالمقاب تفلها
محركة بالنار تنلى وتزفر
نمبنا إليها مدفعاً فأمابها

(٢) وخرت على آلائها تتكسر

(١) ديوانه ص ٤٨-٤٩ .
(٢) الشعر العراقي الحديث ص ٩٩، ٨٠ ، وانظر بعض هذه القصيدة في ديوانه ص ١٢٠ ، ط/دار العودة .

والشاعر معجب بهذا الإنجاز العلمى ، فحاول أن يصفه فى حدود طاقته .

على أن الزهاوى كان ميالا لوصف المخترعات الحديثة ، محبا للتقدم العلمى ، على أنه استخدم هنا بعض المصطلحات اللغوية الحديثة : الطائرة ، المحرك ، القذائف ، الآلات ، مما يعد بادرة إيجابية ومحاولة لإشاعة تلك المصطلحات فى الشعر أيضا .

وعندما سقطت بغداد بيد الحلفاء وجدنا بعض الشعراء يبتهج بذلك وعلى رأسهم "عبد المحسن الكاظمى" ، إذ يمدح بقصيدة نونية تعبيرا عن فرجه ، قالظم - كما يزعم - قد أزيح عن المدينة وأضحى أهلها لا ينازعون فى إدارتها ، ويشير إلى هزيمة "الأتراك" ومطاردة "الانجليز" لهم ، ويسمى الأتراك بالوجوه الحمر ، بينما الحلفاء بالأكف البيض .

اثانى أن بغداد أُرِيحَتْ	فلا كَذَبَ البشيرُ بما اثنانى
أُرِيحَتْ من ليلٍ كنَّ نارا	فمن يكرِّ حشْبَ وَمِنْ مُوان
وَرَدَ لها التَّراثُ فلا يعيدُ	ينازعُها التَّراثُ ولا مُدان
وقد كَزَلَ الشَّجاعُ النَّدْبُ فيه	نزولُ الخوفِ فى قُلُبِ الجبان
يطاردُ من طغى وبغى عليه	مطاردةُ السَّبيحِ لِلاتان
كأنى بالوجوه الحمرِ ولَّتْ	مجلَّةٌ بمثلِ الزُّعفران
كأنى بالأكفِ البيضِ عادتْ	مخفبةٌ بلونِ الأرجوان ^(١)

ونجد شاعرا يسمى "عز الدين آل علم الدين" ينشر قصيدة قوية السبك بعنوان "دار السلام" يؤكد فيها أسباب النكمة على الأتراك ، وأنهم من نسل "جنكيز خان" ، خربوا البلاد وظلموا العباد ، ويواسى أهل المدينة قائلا :

دَارَ السَّلَامِ وَقِبْلَةَ الْإِسْلَامِ دَارَتْ عَلَيْكَ حَوَادِثُ الْإِسْلَامِ
 فَسَقَطَتْ مِنْ أَيْدٍ مُخَوَّبَةٍ إِلَى أَيْدٍ مُعَمَّرَةٍ لِكُلِّ رِمَامِ
 أَيْدٍ تَحْتَكُ لِلتَّرْقِي وَالْعُلَى وَحَيَاةِ الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِقْدَامِ
 وَنَجَوْتِ مِنْ شُرُوكِ الْجَنَائِزَةِ الْإِلَى ظَلَمُوا وَمَا عُرِفُوا بِرَعَى دِمَامِ
 لَا تَجْزِي بَغْدَادُ إِلَّا قِيلَ عَنْهُ كَ سَقَطَتْ بَعْدَ مَعَارِكِ وَصِدَامِ
 فَلَرَبَّمَا سَقَطَتْ فَرَانْدُ غَادَةٍ ثُمَّ أُرْتَقَتْ لِلجَيِّدِ بَعْدَ نِظَامِ
 وَتَقَلَّبُ الْحَدَثَانِ أَنْفَعُ مُوقِفٍ لِلنَّاسِ مِنْ سَنَةٍ بَعْمِ وَسِثَامِ
 وَيَحْتَسِبُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَسْرِعَ الْخَطَى نَحْوَ الرُّقَى ، وَإِعَادَةِ
 مَجْدِ الْجَدُودِ ، وَيَسْمُ الْإِتْحَادِيِّينَ بِالْبَعْدِ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَانْهَمِ
 ذَهَبُوا لِلْإِعْتِزَالِ بِالطُّورَانِيَّةِ "بَدَلًا مِنْهُ ، لَذَا فَقَدْ طَهَّرَتِ الْعِرَاقَ
 مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ ذَاقُوا الْبَلَايَا الْجَمَامِ ، وَيَخْتَمِ الْقَمِيْدَةُ رَاجِعًا
 مِنَ الْقَائِدِ الْمَلِيْبِيِّ "الذَّيْبِيِّ" أَنْ يَعِيدَ «الشَّامِ» مِثْلَمَا عَادَتْ
 الْعِرَاقَ :

بَغْدَادُ قَدْ فُتِحَ الطَّرِيقُ وَلَمْ تَعُدْ
 ذَلِكَ الْمَقَابُ وَنِلَتْ كُلُّ مُسْرَامِ
 لَا مَعْدَرُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا تَرْجِمِي
 مَجْدَ الْجَدُودِ وَعِزَّكَ الْمُتَسَامِي
 بَغْدَادُ جِدِّي لِلْعُلَى وَلِتُفَرِّبِي
 أَسْمَى قِيَابِ لِلْعَلَا وَفِيَامِ
 يَأْمَلُ "جَنْكِيْزُ" "وَهَوْلَاكُو" الْأَوَّلَى
 جَفَحُوا إِلَى "بُوزْقُورْد" (١) لَا الْإِسْلَامِ
 قَدْ طَهَّرَ اللَّهُ الْعِرَاقَ بِطَرْدِكُمْ
 عَنْهُ فَلَيْسَ لَكُمْ بَدَارُ مُقَامِ

(١) مِنْهُمْ كَانِ الْإِتْرَاكِ يَعْكِفُونَ عَلَيْهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمُ الطُّورَانِيَّةَ
 فَقَامَ دَعَاةُ الْعَمْبِيَّةِ الْحَرْكِيَّةِ يَعْظُمُونَهُ وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ
 وَيَنْظُمُونَ الْقَصَائِدَ فِي تَقْدِيمِهِ .

وإذا أقمكم عود الردى ففررتهم
 جبناءً والجبناءً غير كرام
 فعسى "النبى" ينتفى هندية
 فيعيد للماضى ربوع الشام (١)
 ونظم شاعر آخر بتوقيع "ابن ماء السماء" قصيدة وصف
 فيها ساعات الاضطراب والفوضى التى حلت ببغداد بعد انسحاب
 الاتراك ناعيا عليهم ايام حكمهم فقال :
 ما بال بغداد قد ضاقت بها الحال
 وغف بالاهل منها اليوم كرحال
 بالامس كانت بقايا الجند رابضة
 فيها والناس اشغال واعمال
 وكان للترك فوضى من تجبرهم
 واليوم للترك لاقيل ولاقال
 كانت بها عرفات الظلم شامخة
 ما امبح المبح إلا وهى اطلال
 ثم يصف ليلة سقوطها وما عتري الناس من خوف وهلع ،
 فالمواعق تدك كل شئ ، والزلازل تهدم كل عال ، وللمدافع
 دوى تكاد تسقط النجوم من هولها وللرماس صفير يمم الاذان ،
 وذهب الناس لسوء الحال فى التفكير كل مذهب .
 ليل السقوط بدا بالنحس طالعها
 تصادمت فيه بالاهوال اهوال
 ريح ورعد وبرق وامطدام وغى
 كما انز دحمت فى الاق آجال

للسَّلبِ والنَّهبِ بين النَّاسِ معتركٌ
 لكنَّ قتلهم في السُّوقِ أموالٌ
 وللمدافعِ رعدٌ في سمائهم
 تكادُ منه عقودُ النُّجمِ تُنثالُ
 وللرَّصاصِ صفيحٌ في مسامعهم
 وللخيالاتِ في الأفكارِ أشغالُ
 وبيننا الحالُ كذلك إذ لاحت للشاعرِ امرأةٌ ، يسح دمعها
 على وجنتيها وبيدها طفل ، صارخة بملء فيها "رحمك رباه قد
 ضاقت بي الحال" إذ لاملجأ تناوى إليه ، ولأقريب يواسيها في
 محنتها ، ولأرجل يذود عنها مولة الذناب .
 لاحت لي امرأة في السُّوقِ ماشيةً
 ودمعها فوق صحن الخدِّ هطال
 تقودُ طفلاً صغيراً وهي صارخةٌ
 رحمك ربِّي قد ضاقت بي الحال
 وقد غدوتُ عن الدُّنيا مجردةً
 لا والدٌ لي ولا مُمٌّ ولا خال
 ولا شقيقٌ ولا زوجٌ ولا مِلَّةٌ
 تُرجى ولا لي بها دارٌ ولا مال
 ويسرِّي من المرأة زاعماً أن "الانجليز" الفاتحين يعرفون
 للعرب حقوقهم ، بعد أن ذكر أن العرب نالوا مطلبهم بخروج
 الاتراك ، بفضل الحلفاء "الانجليز" .
 ثم يصف الشاعر هزيمة الاتراك إلى جبل "حميرين" ، وفضل
 هذا الجبل عليهم إذ لولاه لاقى الانجليز جمعهم وأبادوهم ،
 ثم يهاجم الاتراك الذين جحدوا النعمة وابتعدوا عن الهدى ،
 راكنين إلى الظلام مبتعدين عن الحق .

الترك قد تركوا بغداد وانهزموا
 من بعد حرب لها قد شيب أطفال
 لولا الموانع من "حمرين" تمنعهم
 لم يبق منهم بهذا القطر خيال
 اهلهم موقف ضاق الزمان به
 ذرعا وليس له في الدهر امثال
 لانهم جحدوا النعمى وماشكروا
 وعن طريق الهدى في غيهم مالوا
 مالوا على العرب في تبعيدهم فغدوا
 كانوا فوق رعن الطود أو عال

«واسلوب الشاعر ليس من الاساليب العالية ، ولاشعره من
 المثانة مايمل به إلى الشعر المقبول ، وانما نستشهد به
 لانه سجل لنا هذه الفترة تسجيلًا واضحًا^(١) . ولو انه استرسل في
 وصف تلك المراه ومشهدا الإنسانى لكان أجدى قيمة / فكرة وفنا
 شعراء وقفوا مع الدولة :

وكان معروف الرصافي «أوفى شعراء العراق للاتراك ، إذ
 نجده ينظم قصيدة معبرة عن احساسه ، مبيّنا شدة حزنه والمه
 لفراق العثمانيين ، إذ سكب الدموع على ماآل اليه حال
 العراق بيد الانجليز بعد العز الذي كان به ، واظلمت السماء
 في عينيه ، كيف وقد ذهب الحماة واهتت بغداد كسفينة لارباب
 لها ، فهاقت الدنيا في عينيه ، وانهالت الدموع منهما بعد
 ان امسكته الحزن ، ثم يتساءل متحسرا عن الذين تركوا بغداد
 بلاحماس ، ويلقى باللائمة عليهم إذ ولوا عنها مسرعى الخطى ،
 برغم شغل البلاد بهم ، وحنينها إليهم .

(١) الشعر العراقي الحديث ص ١٠٤-١٠٦ .

هي عيني ودمعها ضاح
 كيف لا أدرك الدموع وعي
 قد رمته يد الزمان بخطب
 حيث غمت علي وجه سمان
 وتواري عن أعيني ممحلاً
 يوم امسيت لاحماة تذود الفيل
 هانا اليوم كالسفينه تجرى
 فقت ذراعاً بمحتى فتراءت
 اخرس الحزن منطقي بنحيب
 نحت حتى رضى العدو لحالي
 فمياهي هي انساب دموعي
 اوماتهمر اضطرابي اذا ما
 ليس ذا الموج في موجاً ولكن
 ان وجدى هو الجحيم ولولا
 لو درى منبى بما انا فيه
 عله قد درى بذاك فهذا
 اين اهل الحفاظ هل تركوني
 برحوا وادى السلام عجلاً
 ما لهم يبعدون عني انتزاحاً
 او ما يعلمون ان حريمي
 فلئن يبعدوا فلن فؤادي
 تركوني من الفراق اُقاسي
 لو راوئى سبياً بايدي الاعادي
 لامسائي بعد البعاد مساء
 اتمنى بان اطيّر إليهم
 انا ادري بانهم بعد هجري

كل حزن لها بها يحتاج
 بيد الدل هالك مجتاح
 جليل ماليليه امباح
 ظلمات تحفى بها الاشباح
 شرف في مواطني وضاح
 سم عني ولا تبنى ورماح
 لاشراع لها ولا ملّاح
 قيد شبر لي الفجاء الفساح
 السن الدمع فيه ذلق فمباح
 واعترائي من العويل ببحاح
 وغريبي هو البكا والنواح
 خفقت في جوانبي الارواح
 هو منى قلبي وصباح
 اذ معي احرقني الاتراح
 من اسى جف ماؤه الضحاح
 هو بكاك ودمعه سفاح
 نهبة في يد العدو وراحوا
 افجد براحمهم ام مزاح
 وعزيز منهم علي انتزاح
 للمعادين بعدهم مستباح
 لاكيهم بوده طمّاح
 الما ما تطيقه الارواح
 لبكوا مظلما بكيت وناحوا
 يوم بانوا ولا المباح مباح
 بجناح واين منى الجناح
 لم يدقوا غمّوا ولم يرتاحوا

بل هم اليوم عازمون على الزّح

س بجيش به تَغصُّ البطاح

إِنْ تَأْتَوْا فَرِيقَةَ اللَّيْلِ تَأْتِي
كَيْفَ يُغْفُونَ عَنْ إِغْشَاةِ وَاكِ
فَعَلِيهِ مِنْ فَخْرٍ عَشْمَانٍ تَأْتِي
أَنَا بَاقٍ عَلَى الْوَفَاءِ وَإِنْ كَا
فَالِيهِمْ وَمَنْعَمَ الْيَوْمَ أَشْكُو
بَعْدَهَا وَثْبَةً لَهُ وَكَفَاح
زَانَهُ مِنْ وَدَادِهِمْ أَوْشَاح
وَلَهُ رَايَةُ الْعَمَلِ وَشَاح
نَتِ بَقْلِي مِنْ أَحَبِّ جَرَّاح
بَلَّغِيهِمْ شَكَائِي يَارِيَا ح
(١)

وهذه القصيدة خير معبر عن عاطفة الرماضي تجاه
العثمانيين ، ويدل على تعلقه بهم وجهده بذلك رغم الوجود
الإنجليزي ، وبرغم مذاق العراق من مظالم مر الاتراك مكلما
صرح بذلك :

أَنَا بَاقٍ عَلَى الْوَفَاءِ وَإِنْ كَا
وَوَفَّقَ فِي نَظَرِ الْبَاحِثِ فِي وَصْفِ حَالِ الْعِرَاقِ عَلَى لِسَانِهِ ،
حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْحَنِينِ وَالْعَتَابِ مَعْبِرَانِ عَنِ السَّهُولِ وَالْجِبَالِ
وَالْأَنْهَارِ :

فَمِيَاهِي هِيَ انْسِكَابُ دُمُوعِي
وَإِخْتَارَ الشَّاعِرُ الْفَاطَا حَزِينَةً لِحُكُونِ أَدَلٍ عَلَى مَرَادِهِ ،
فَنَافَقِي بِذَلِكَ عَلَى الْقَمِيدَةِ مَعَانِي ثَرَّةً "دَمْعًا نَفَاحًا" ، "حُزْنَ
لَمَائِمًا يَمْتَنَحًا" ، "أَذْرَفَ الدُمُوعَ" ، "أَخْرَسَ الْحُزْنَ" .

كما أن اختيار بحر الخفيف وقافية "الحا" زادنا من
إظهار الجو العام للقصيدة لمناسبتها لموضوع الحزن .

وحفلت بمجموعة من المور المعبرة نحو قوله :

وتواري عن أعينى مضمحلا
شرف في مواطنى وضاح
فأنا اليوم كالسفينة تجري
لاشراع لها ولاملاح

ليسَ ذا الموجَ فيَّ موجاً ولكنَّ هو منيَّ كَنَقْدٍ ومِياحُ

ويمصّر محمد عبد المطلب في قصيدته الطويلة - التي مرت
بنا في الباب الاول - كيف هجم الحلفاء بجحافلهم على الشام
والعراق ، يقودهم رجل ضعيف احمق وقد اخذ الخوف منهم ماخذه
واميبيوا بداهية حول غزة حتى تفرق جمعهم مابين مقتول وفار .
وحال جيش العراق ليس احسن حالا من جيش الشام ، إذ
ذاقوا الامرين قبل دخولهم بغداد ، وفي الكوت .

والحظُّ انه في حديثه من العراق اعترف بالاستيلاء عليه
فمننا ، اما في الشام فلم يشر إلى ذلك لانه عندما نظم
القصيدة كانت المقاومة مازالت سارية ، او ان الحلفاء لم
يستولوا على الشام كله إبان نظم هذه القصيدة .

عشيرة راحوا ألف ألفٍ يقودها

إلى حَتْفِها جعلُ الزنيمِ الحَفَلُ

تَرى كلَّ ألفٍ منهم فيزُنَ واحدٍ

وقَدْ عَلِقُوا من خوفِهِ كلَّ مَفْلَقِ

فما لبثوا أنْ أرزَمَ الموتُ بيَتَهُم

بداهيةٍ من حولِ غَزَةٍ بَعْلَقِ

فإن اقبلوا طاحوا وإن ادبروا كُنُوا

وإنْ أَبَقُوا فالويلُ للمُحَابِقِ

وماكان جيشُ الشامِ إِذْ هَلَّ كَيْدُهُ

بأشامٍ من جيشِ هُنَالِكَ مُعْرِقِ

حركنا لهم سيفَ العراقِ ليشهدوا

ببغدادَ كَيْدَ الحارِثِ المُتَحَفِّقِ

فما واطسوا ببغدادَ حتَّى تَبَيَّنَ سِوَا

وجوهَ الرُّدى في "سَرٍّ من را" و"سَرِّق

وكم ذا كَوَتْ "كُوتُ الإِمَارَةِ" منهم
 قفا هاربٍ أو ذى إِسارٍ مُخَلِّقٍ
 غداةَ حَزَقْنَا "تَاوُشِيْدَ" فلم يَرَمْ
 ومادت "يُمُودُ" كلَّ مِيشَاءٍ سَمَلَقِ (١)

ومن اللافت أن الشاعر في هذا المقطع عمد إلى المجانسة كثيرا ربما ليحول من شأن ماحل بالحلفاء هنالك نحو قوله "وإن أبقوا فالويل للمتابع" ، وكم ذا كَوَتْ "كُوتُ الإِمَارَةِ" ، "ومادت يُمُودُ" .

وحوى عددا من الأعلام ، كماكن الوقائع ، وقادة الحلفاء ، مما يعد وثيقة يستأنس بها المؤرخ .
 وعندما تمت سيطرة الحلفاء على بلاد الشام ، هال الشاعر «محمود صادق» ذلك الأمر واحزنه ، فمب جام غمبه على العرب الذين تعاونوا مع العدو وآتبهم ، إذ هم سبب ضياع البلاد ، ورشى لحال الأمة وماوصلت إليه من فرقة .

يا جيرة الخُلِّ دمعنى	من قَرُطَ وَجْدَى وَحْشَرْتى
كيف امطبارى وإن أَكُنْ	أُنْحى عليكم بَكُومَتى
أَنتم اضعتم بلادكم	مابين جهلٍ ونشوة
.....	

إِنِّى لارِشَى انْقِسامَكُم	بعدَ اتِّفاقٍ وأُلْفَةِ
إِنِّى لانمى قُتَاتَكُم	بعد اتحادٍ ووحدة (٢)

بينما يشير فى قصيدة أخرى إلى ذلك الحدث ، ويخاطب البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبي، شاكيا حال المسلمين ، إذ الصليبية عادت مجددة أحلام الصليبي "ريكادوس" .

(١) ديوانه ص ١٦٦ .

(٢) ديوانه ص ٣٥ .

عليك "صلاح الدين" نهتاجُ حَسْرَةٍ
 على الدين والدنيا ويبكى المُهَنَّدُ
 عليك سلامٌ اللّو قد كنتَ مُنْجِداً
 ومالكُ منّا اليوم في الخلق مُنْجِدُ
 لقد عاد "ريكادوس" وانتَهك الحمى
 (١) وعاث الصليبيون في المُلْك واعتدوا
 وتنتهي الحرب ويحكم الحلفاء سيطرتهم على البلاد
 الإسلامية جميعاً فهاله ما حل بالامة من فرقة ، فاخذ يتساءل في
 إحدى قصائده عن الوحدة المنهارة على يد الخارجين على دولة
 الخلافة ، وابان ان مرت ذلك هو إباحة البلاد الإسلامية
 للصليبيين ، وان إحسان الظن بهم خطل .
 فاین وحدتکم بَلْ اَیْن قوَّتکم
 بَلْ اَیْن عزتکم یاخیر اقوام
 وایْن اَیْن حِمیّ قد کان یمنعُہ
 فی سالفِ الدهر منکم کلُّ مُرغِیام
 ابعتموہ لمن لا یُسْتَباحُ لہم
 فکان ماکان من بغي وإجرام
 احسنتم الظنَّ فیمن لیس یُحسنُہ
 فیہم سوى سادرٌ فی لیل آوہام
 لقد کَمِمتُم على آحکام مَن سلفوا
 فالیوم قامَ علیکم شرٌّ حُکّام
 یادولۃ العرب اَیْن الیوم ما وعدوا
 (٢) على العراق انبکی ام على الشام

(١) السابق ص ١٣١ .
 (٢) نفسه ص ١٣٢ .

وهذا الشعر وإن لم يحفل صاحبه بالمور والاخليلة إلا أنه
يشفع له عاطفته الصادقة وحنوه على أمته وما ألم بها من
جراح عميقة ، يلهم ذلك من تساؤلاته التي تنبئ عن الحزن
واللوعة لذلك المصير .

وبذلك يتبين مدى الحرب العالمية الأولى داخل البلاد
العربية وأثرها في شعر شعراء هذه الحقبة ، وكيف أنها
أظهرت شعراء مغمورين وانطقتهم بعد أن كاد أن يطمسهم
الزمن . .

الباب الثالث

الخصائص الفنية للشعر في هذه الحقبة

الفصل الأول : الألفاظ والصور .

الفصل الثاني : ظواهر مشتركة .

الفصل الأول

الألفاظ و الصور

(أ) الطبقة الأولى .

(ب) الطبقة الثانية .

إنَّ محاولة الوقوف أمام الظواهر الفنية في هذه الحقبة التاريخية الطويلة من شعر الحرب يحتاج إلى الحيطة والحذر نظراً لتفاوت النماذج الشعرية تبعاً لتعدد الشعراء ، واختلاف أقطارهم وثقافتهم .

لذلك فإن مثل هذه الدراسة تتطلب من الباحث أن يميز المستويات الفنية للشعر الذي حفلت به هذه الحقبة بعضها من بعض ، ويمكن بعامة تمييز مستويين : الأول - وهو كثرة غالبية - ضعيف تعوزه القريحة القوية والروح الوشابة ، والمور البحية المؤثرة ، والثاني - وهو قلة - طفق تتعاضد قوته في خضم التفاعل مع الأحداث ، ومع المؤثرات العامة والخاصة التي تبعث الحياة الأدبية من مرقدتها ، وتقليلها من عشرتها الطويلة ^(١) ، وقد تمثّل هذا التيار في الرواد الذين ساشير إليهم فيما بعد .

لذا ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار مراحل التطور التي مر بها الشعر العربي في ذلك الوقت ، وارهاسات نهضة إلى أن بلغ ما بلغه على يد رواد النهضة .
يقودنى هذا الملحظ إلى تقسيم ما بين يدي من شعر إلى طبقتين :

ويستلقت الباحث في الطبقة الأولى :

ظاهرة الضعف في الإلفاظ والمور عند فئة من الشعراء ، وإلى ظاهرة القوة في نماذج أخرى من الطبقة الثانية .

(١) انظر في المؤثرات العامة : في الأدب الحديث ، د. عمر الدسوقي ، الأدب العربي المعاصر في مصر ، د. شوقي ضيف ، الشعر العراقي الحديث ، د. يوسف عز الدين ، الأدب العربي المعاصر في فلسطين ، د. كامل السوافيري ، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، أنيس المقدسى ، وغيرها .

فأما الطبقة الأولى :

فلاتوليد يذكر عندها ولا تجديد ، وإنما هي الفاظ محفوظة دون معاناة في التجربة الشعرية ، إذ أنهم لم يملكوا المادة اللغوية واسرار تراكيبها ، فكان استعمالهم لها برؤية غامضة ، إما لأن بعضهم لا يعتبر من الشعراء المتفرغين للشعر ، وتعاطى الشعر باعتباره مظهرا للعلم والثقافة ، أو كتبه ولما تكتمل أدواته لديه ، فافتقر إلى الممارسة والدربة .

على أن المصحف إبتان ظهورها قبلت نشر بعض المشاركات الشعرية برغم قفاهتها طلبا للرواج أو تشجيعا للناشئة ، وتوسيعا لدائرة الثقافة ، فلاغرابة في وجود تشابه في لغة الشعر - الفاظه وتراكيبه - بين بعض شعراء هذه الطبقة .

ضعف الالفاظ والتراكيب :

ولو ذهب الباحث يتقصى مور ضعف الالفاظ والتراكيب عند هذه الفئة لطال به المقام ، ولكنى سأقتصر على أنماط الضعف واحاول رتة هذا الضعف إلى علته .

فلانلقى عند هذه الطبقة إلا الفاظا وتراكيبا مرصومة ، وصفات مكررة متاحة من الذاكرة لأرواح فيها ولاحسن ، من ذلك قول "محمد يجيش التّأزى" في حروب الدولة في المغرب العربي عن سقوط "أميلا" :

فهذا هوان" واحتقار" وزله" ومازّ شنيع" تم قلة" حيلة" (١)

فمع صفة الشعر لغويا وعروشيا ، ومع صفة المعنى الذى تضمنه البيت إلا أنه ضعيف النسيج ، مبتذل تشيع جملة وتراكيبه على ألسن العامة .

(١) الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين ص ٢٠٠ .

ولا يبعد عنه في الفجاجة والابتذال قول "محمد بن عبد

الله المستغنى" في مدح والى الجزائر "محمد بكداش" :

أيامكم أقبلت ودولة سعدت وزحمة وسعت في البدو والحضر
بحاكم فاضل وعالم عامل أحيا الحذيفة السحابة كالمطر^(١)

ونحوه قول "إبراهيم الخراط" :

لك فاعزم غازيا واحسم الكفرا

وجاهد قدين الله يهدي لك الثمرا^(٢)

وشامت هذه الظاهرة بين بعض الشعراء العرب في حقبة
النهضة ، لافرق بين مشاركة ومغاربة ، ومن ثم فإن الحظا
بين شعراء مصر والشام كقول "سليمان الصولة" في الحرب
الروسية الثانية :

حظيت بطلمة الملك الممقدي أمين الله سلطان الوجود^(٣)

فاستعمال الشاعر لهذه الصفات المتعددة كأنه ساقها

دون قصد غير الحرص على إقامة الوزن والقافية .

ونحوه قول "علي الليثي" في تلك الحرب أيضا :

فسل عن مساعيه حكومتك التي

قد انتظمت بالحلم والعلم والبر^(٤)

وبرود عاطفة "أحمد أفندي" أدى إلى ضعف تراكيبه

وركاكة شعره إذ يقول في حرب البلقان :

وخوضوا النقع والهيجاء حتى تنالوا منهم أقصى المراد

وتحتلوا العواصم من ملوك مغترسة بأبناء السواد^(٥)

(١) التحفة المرضية ص ١٧٧ .

(٢) عنوان الأريب ٥٤/٢ .

(٣) ديوانه ص ٦ .

(٤) الوقائع عدد ٧٢٢ .

(٥) المقتبس عدد ١٠٣٠ .

بينما نجد "عبد الرحمن المصري" في تلك الحرب ، فقد
الشعور بواقعه الذي تغير ، ولم يعد واعيا به ، لذا أتت
الفاظه وتراكيبه ركيكة ، وتعليله ضعيفا غير مقنع حيث قال :

دَعُّوا الموزَرَ المرتين في الحرب واسحبوا
السيوفَ فان السيِّفَ أحكمُ في القُرْبِ (١)

ومن دلائل الضعف كثرة استخدام أداة الوصل من دون مبرر
يدعو إلى ذلك نحو قول "محمد بن عبد الرحمن المغربي" في
حروب المغرب - استعادة وهران - :

وكيفَ وقد غدوا والرعبُ يَجْرى بهم بين الطريدة والطريدِ
ولولا الليلُ جَنَّمهم لاضحوا نهارا في مغلَّةِ القيودِ
ولولا أنَّهم شردوا بليلى لكان القتلُ أجدرَ بالشريدِ (٢)

فيقول : إن الرعب جعلهم يفرّون بليل من جندنا ، ولو كان
ذلك نهارا لوقعوا في القتل أو الأسر جميعا ، لكن عي الشاعر
اوقعه في العبارة المملوءة ، والتركيب الضعيف نحو "مغلَّة
القيود" ، فضلا عن كثرة استخدام أداة الوصل "الواو" في غير
حاجة .

وكقول "أحمد بن عبد الله القاضي" في الدعوة لإنقاذ

وهران :

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قبائلَ "عامر"
ولاسيَّما مِمَّنْ شوى تحت كافرٍ
وكلَّ كميٍّ من مناديدِ "راشدٍ"
بخيجانها مع رأسها عبدِ قادرٍ

(١) السابق عدد ١٠٣٧ .

(٢) التحفة المرضية ص ٢٦٠ .

وجيرانهم في الغرب من كل ماجد
 طويل القنا أهل الوفا والمغافر
 "وظلحة" والاحلاق في غرب هجرة
 وشيخ "سويد" بل وكل مؤخر
 وشيخ "بنى يعقوب" الحامي الحمى
 بكل قبيل مولى بالعساكر
 ويامشعر الإسلام في كل موطن
 وفي كل ناد سالف ومعاصر
 ويامعشر الاتراك ياكل عالم
 وكل ولي حافظ للأوامر
 ويسادة العربان من "آل هاشم"
 (١) وغيرهم بالله ماصبر مابر
 فالمرخة التي تضمنتها الابيات شريفة نبيلة صادقة ،
 ولو انها صادفت شاعرا موهوبا ، قوى القريحة ، مالكا لاصية
 البيان لخلدت في تاريخ الادب العربي ، غير ان استعداد
 الشاعر محدود ، ولغته الشعرية خالية من الجمال ، وتكراره
 لاداة الومل "الواو" عدة مرات ، أدى كل ذلك إلى ضعف
 تأثيرها .
 ونحوه قول "عبد المحسن الصماف" في الحرب العالمية
 الأولى التي امتدت إلى داخل الوطن العربي :
 إلى فتح الأعادي فاشربوا وتخليص العرب هاتفيننا
 هلموا واهرعوا من كل فج فإن الله مولى المؤمنين
 ومن ذاك السراب فلا تخافوا فانتم ماء كل الظامئيننا
 (٢)

(١) حرب الثلاثمائة عام من ١١٧-١١٨ .
 (٢) القبلة عدد ٢٤ ، محرم ١٣٣٥هـ .

فالضعف باد في استغلاق المعنى وتعقيده ، حيث يذهب
الظن بادئ الأمر إلى أن الظامئين هم العدو الذين وصفهم
بالسراب ، وإنما المقصود بالظامئين بقية العرب من ورائهم
الذين ينتظرون النمر على أيديهم .

ثم إنه كرر حرفي الوصل "الواو والقاء" عدة مرات ،
دونما داع فنى ، مما يدعم القول أن الصحافة كانت من عوامل
ظهور مثل هذا الشعر وبروزه حينما لاتجد شعرا جيدا تزين به
صفحاتها .

فالتراكبة عند هؤلاء تاتى في لغتهم الشعرية بالدرجة
الأولى ، ولا ترجع إلى نحو اللغة واستعمال مفرداتها فيما
وُضعت له ، وإنما إلى التمرق باللغة بحيث تؤدي الأفكار التي
تراود الشاعر ، وتعبّر عن إحساسه تعبيرا مرهفا دالا على ذلك
الإحساس .

ولا يعنى سلامة اللغة في هذه الحالة خلوها تماما من
الخلل ، لأننا قد نجد بعض الشعراء يخلون بالقاعدة النحوية
خاصة في القافية مراعاة لروى القميدة مما يعد في باب
الضرورات الشعرية والذي أطلق عليه علماء العروض "الإقواء"
كقول "محمد المستغاثي" في حروب المغرب العربي : في
الاستمراخ لإنقاذ وهران :

سلطاننا المُرْتضى دامت سعادته

وازداد نصرا على نمر مدى العُمُر

فقد اتى واحدا في عصرنا رافعا

لراية العلم والشرع القويم كَرَى

ياجيشنا فابشروا بالحسنين لكم

(١) أَجَنَّةَ الْخُلْدِ أَوْ فَتَحًا هَنِيئًا مَرَى

فروى القصيدة مكسور ، لذا كسر "مريخا" وحققها النصب .
 ومن هذا الباب أيضا قول "أبى عبد الله حفيد المهدي" :
 وَتَأَهَّبْتُ فِرْسَانُنَا لِقِتَالِهِمْ
 وَالْخَيْلُ تَرَفُلُ فِي السَّرُوحِ وَتَصْهَرُ
 ثُمَّ امْتَطَوْا لظُهُورِهَا وَتَقَلَّدُوا
 بِكَوَاكِبِ الْأَسْيَافِ مِمَّا يُحْمَلُ

.....

وتعلقت ابطائنا بخماتهم
 (١) تبتدى لهم حرباً أمرّ وأهول
 فرفع "أهول" وحققها النصب .

التاريخ الشعري :

ومن الظواهر الموجودة عند قلة من شعراء هذه الطبقة
 ما يسمى "بالتاريخ الشعري" وهي سمة من سمات الضعف الشعري
 الذي تفشى في العصور المتأخرة ، إذ استحال حشوا تيمجه
 الذائقة الشعرية .

ولكن الملحوظ أن الشعراء البارزين لا نجد تلك الظاهرة
 لديهم ، وخاصة في شعر الحرب هنا ، مما يدل على تخلصهم من
 أكثر مظاهر الضعف عند بعض الشعراء المعاصرين لهم .

ومن أمثلة وجود هذه السمة فيما بين أيدينا من شعر
 برغم معاصرة بعضهم لرواد النهضة الشعرية قول "عبد الله
 باشا فكري" في الحرب الروسية الأولى ١٢٧٢هـ :

وجاء بشيرُ الذمير يشدو مؤرخا

(٢) لقد جاء نصرُ الله وانشرح القلبُ

ونحو قول "علي الليثي" في الحرب الروسية الثانية

١٢٩٤هـ :

(١) السابق ص ٢٨٨ .
 (٢) الأشار الفكرية ص ١٣ .

فبهِجَةٌ هَذَا الْعِيدُ بِالسَّعْدِ أَرَّخَتْ

(١)

جلوس الخديوى عيده دام للنصر

ومن ذلك قول "أحمد نامى" فى الحرب اليونانية ١٣١٤هـ:

والعبدُ نامى إلى الاعتبار أَرَّخَهَا

(٢)

النصر فى مُلككم يآل عثمان

على أن هذه الظاهرة قد تلاشت بعد هذا التاريخ فى شعر الحرب ، مما يدل على أن تيار الوعى بدور الشعر على يد زعماء النهضة بدأ يؤتى ثماره حتى عند الشعراء الضعاف .

ومن مظاهر النعف الإخلال بالوزن كقول "محمد بن بجيش

التازى" فى الدعوة لاسترداد "أميلا" :

فقمةٌ أُميلا عرفتكم جميعا

وما فعلَ الأعداءُ من شرٍّ عُذرة

وانحت على الإسلام تبكى رسومها

وسكانها قد صاروا فى أرضٍ غُرْبَة

مساجدُها تبكى على فقدِ أهلِها

كان لم يكن فيها مرددٌ سُورَة

موامعُها قد مُطّلت عن أذانها

كان لم يكن فيها اذانٌ مَمَوّت

فالقמידة من البحر الطويل وقد أخل به فى الشطر الأول

من البيت الأول "فقمة أميلا" ، وكذا عند قوله فى البيت

(٣)

الثانى "قد صاروا فى أرضٍ غُرْبَة" .

ومثله قول "محمد بن يوسف الجزائرى" :

ولقد غَلَا بين الملوك بعدله وجرى من العلواء أقمى مدى

(١) الوقائع عدد ٧٢٢ .

(٢) ديوانه ص ٧ .

(٣) الحركة الفكرية فى المغرب فى عهد السعديين ص ١٠٠-٢٠١

(١)
 فى عسكرٍ من حزبه ذى نجدة فى المُعفلات بهم يُعز ويُهتدى
 فالقميدة من البحر الكامل التام ، بينما التفعيلة
 الاخيرة من الشطر الثانى من البيت الاول لم تكن موافقة
 لتفعيلات البيت .

ونحوه قول "محمد بن عبد الله المستغانمى" :

لزلتُ اقتبمُ الاشارَ حيثُ بدا

لُفَلَنى كوكبٌ بالنصر مُتَزِر

إمامٌ عدلٍ حماه الربُّ حيثُ فدا

(٢)
 معتمداً صابراً لله منحصراً

فالقميدة من البحر البسيط بينما تختلف تفعيلات الشطر
 الاول من البيت الاول عن تفعيلاته الباقية .

وعلاوة على ذلك فان الإقواء ظاهر فى البيتين إذ حق
 متزر ومنحصر النصب على الحال .

وهكذا تتعدد مظاهر السقم والإخلال عند طبقة من شعراء
 هذه الحقبة المبكرة ، فشم تعافت فى المعانى ، وسقم فى
 التراكيب ، وتعقيد فى اللفاظ والمعانى ، إلى صور مختلفة من
 الإخلال بموسيقى الشعر .

والدلالة العامة أن الثقافة العامة صارت ضحلة ،
 والاعتماد بالتراث وعلوم السلف وأهيا ضعيفا ، يضاف إلى ذلك
 الرغبة فى الحياة وروح التوثب والطموح إلى القيم الجميلة
 التى تحض على الفعل وإثراء الحياة .

إن الضعف الذى كانت تعاني منه الحركة الأدبية بعامة ،
 والشعر بخاصة هو هو بعينه الذى لاحت إماراته على الإنسان
 والمجتمع .

(١) التحفة المرضية ص ١٧٥ .

(٢) نفسه ص ١٨١ .

التكالب على المحسنات :

نجد التكالب على المحسنات عند شعراء هذه الطبقة ظاهرة بارزة ، ويبدو أنهم نظروا لها على أنها دلالة البراعة والقدرة الشعرية ، برغم كون بعضهم وصل به استعمالها إلى درجة ممجوجة لا يتقبلها الذوق .

فهذا "أحمد القليبي" عندما احتل الفرنسيون الجزائر سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م ينعى على الوالى "طاهر" تخاذله واستسلامه فيقول :

إنها نارٌ فتنةٍ أوقدوها بيدي نجسٍ وسَمَوه طاهر
أضحك الناس ساعةً ثم أبكى من له مُقْلَةٌ بَدَمَعٍ كَحَادَرِ^(١)

فإصراره على الطباق دون مقتضى من المعنى دفع به إلى التكلف "نجس ، طاهر ، أضحك أبكى" .

وكقول "محمد الشاهد" فى الموقف ذاته :

لبستُ سوادَ الحزن بعدَ مسرةٍ
وعمتْ بواديك الفتونُ بلا حَمَرٍ
رفقتَ بياضَ الحق عنك فاصبحتَ
نواصيك تشكو بالآمان إلى الجور
أُصِبتَ بسهمٍ من عيونِ سفاوهم

تَزِيدُ عن المد بالشفعِ والوترِ^(٢)

فكثرة الفتن ، وشيوع الجور بعد ماكان مستتباً ، لمسها الشاعر ولكن عباراته مجزّت عن الوفاء بهذه المعانى ، فلجأ إلى المطابقة بين "السواد والبياض ، والحزن والمسرة ،

(١) الادب التونسي فى العهد الحسينى ص ٦٠ .

(٢) نفسه ص ٦١ .

والامان والجور ، والشفع والوتر " فبدأ فى هذه الابيات مَعِيًا
متهافتا .

ونحوه قول "حمزة الفقى" فى حرب الروس الثانية :
(١) اذا ما بكت عينٌ لاخذك غيلةً فكم ضحكتُ ممّا فعلتُ كُفُور
فلقد اضحى الطباق والمقابلة مجرد لعب وإظهار براعة ،
بدون أى مبرر او إشعاع فنى يمكن ان يضى بعدا جماليا على
البيت او القصيدة ، مما يعد عاملا من عوامل الضعف والركاكة
عند هذه الطبقة .

وكذا قول "عمر النسي" :
إنى أرى الشرق الرفيع ينال فى
سوقٍ تباع به النفوس وتُشتري
حسبُ الفتى شرفا مَقَالٌ مَدَوَّه
إنى لانتظرُ من فلانٍ قَمُورًا
وكفاه مسارا ان يقول مديقه

(٢)
قد كان زيد فى الحروب مَقَمَرًا
فطابق بين "تباع وتشتري" وبين عدوه ومديقه " ظنا ان
السمى وراء ذلك مما يزيد المعنى إشراقا ، والابيات جمالا .
وإذا كان الطباق والمقابلة بذلك المستوى ، فإن
الجناس لا يقل عنهما فجاجة .

فهذا "سليمان المولة" فى الحرب الروسية الثانية
يقول :

فظَلَّتْ أَمِيرَ أَيَّامِ الْبَرَايَا	وسعدُ سعود أوقاتِ السَّعُودِ
وَمَارَ بِكَ الزَّمَانُ لَنَا جَنَانًا	يَبْشُرُ بِشَاشَةِ السَّمْعِ الْوُدُودِ (٣)

(١) جريدة مصر عدد ٢٧ سنة ١٨٧٨ م .

(٢) ديوانه ص ١١٠ .

(٣) ديوانه ص ٦٦ .

فلا أدل على الفحاشة وسوء الظن بالشعر من أن تصاغ
الصورة بهذه اللفاظ المكررة "وسعد سعود أوقات السعود" ،
"يبش بشاشة" .

ونحوه قول "حمزة الفقى" :

وللروس كم روس من الذل أطرقت

(١)

وقيمرهم عن ملتحاك قمير

فجلى أن التكلف مقيت فج فى "الروس كم روس" ، "وقيمرهم

قمير" .

ومثله قول "عبد الجليل براده" فى الحرب اليونانية

١٣١٤هـ - ١٨٩٧م :

وأدَّهم بالذَّهم الجياد دهاهموا

فحاصوا كحمر الوحش يتبعها نمر

وترحالة عنهما ترحل جمعهم

ودكدك من انحائها السهل والوعر

وغمت غلوص بعد ذاك بريقها

فماساغ لولا أن تداركها البحر

ولاريس "فى لاريس" بعد انهزامهم

(٢)

رئيسهم فوضى كآتهم الحمر

"فادهم بالذهم .. دهاهم" و"ترحالة عنهما ترحل" ،

و"غمت غلوص" ، و"ولاريس فى لاريس" .. كلها أدنى إلى الفجاجة

والعبث باللفاظ من أن تكون أداء فنيا يحمل قيمة جمالية فى

(٣)

المعركة الظافرة التى ينوه بها الشاعر .

(١) جريدة مصر عدد ٢٧ سنة ١٨٧٨م .

(٢) حلية البشر ٧٨٢/٢ .

(٣) سأشير إلى ضعف الصور فى مكانه من هذا الفصل .

ولو ذهب الباحث يحمى الوان الضعف فى هذه الحقبة
لأنها تنتهى إلى علة مشتركة تفشت فى هذه الاحقاب ، وفى
المدر منها اضطلال الثقافة ، والجمود الذى ران على الأمة
مما أقضى إلى خمول العقل والوجدان ، كما نوهت من قبل .

المصورة :

إن الباحث فى شعر الحرب فى هذه الفترة يسترعى
انتباهه التباين لدى الشعراء فى طريقته الشعرية .
وشعراء هذه الطبقة - الأولى - كما يقول العقاد :
"كانوا ينظمون القصائد ويخوضون فى الشعر لأنهم كانوا
يعتبرون النظم حقاً وواجباً على كل من تعلم العروض ودرس
البيان والبديع ، وما إليهما من أصول الصناعة" (١) .
ولذلك فإن الصورة لدى هؤلاء لابد أن تكون ضعيفة ساذجة
فهذا "أبو عبد الله محمد حفيد المهدي" يصف الجيش الإسلامى
اثناء تحريضه لاستعادة "وهران" بقوله :

وتهيات فرساننا لقتالهم

والخيل ترفل فى السروج وتمهل

ثم امتطوا لظهورها وتقلدوا

(٢) بكواكب الاسياف مما يُحمل

فإن صورة جميلة تلمس من قوله : "وتهيات ... " ،
والخيل ترفل ، ثم امتطوا لظهورها ، وتقلدوا بكواكب الاسياف
فالآبيات سردية فحسب ، ومثله فى السردية والسطحية قول "أبي
عبد الله السيد محمد يوسف" فى استعادة وهران :

(١) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ١٠ /

(٢) التحفة المرشدية ص ٢٠٠ .

نزلوا بها وبحيها قد خيموا
والخيل تسعى والجياذ تُخزج
فبّرت جيوش المشركين أمامهم
لما راوا برق العدى يتفزع

.....

فاستفتحوا منها الحصون بعزمهم
(١) ومن المدينة للحصون عرجوا

فالشاعر وصف الواقع بطريقة سردية ، لانشعر معها
بأنفعالاته ومعاناته في التمييز من خلال تجربته .
وماكان هذا الضعف خاصا بعمر الشاعر بل امتد طوال
فترة هذا البحث عند كثير من الشعراء كقول "عبد الحليم
المصري" في حرب "طرابلس" :

يا أيها المسلمون استيقظوا وكفى
نوماً فإن عيون الغرب لم تنم
هذي ممالككم تُفشي وأرضكم
يسومها القوم سؤم الذوق للسلم (٢)

فإحساس الشاعر شريف ، ووصفه للواقع صادق نعم ، ولكن
الشعر لايتفوق بوصفه للواقع فحسب ، بل يتفوق بتأثيره
وجاذبيته ، واشتماله على المور الجميلة التي يتأثر بها
وجدان الملقى .

وكذا قول "محمد بن سعيد العباسي" في تلك الحرب أيضا :
ولا بد إن لم تجعلوا السيف حاكما

(٣) تفور بكم في كل آونة قدر

(١) السابق ص ٢٤١ .

(٢) ديوانه ٨٥/١ .

(٣) ديوانه ص ١٠٥ .

فالمصورة باهتة لم تكن على مستوى الهجمة الاستعمارية
على العالم الإسلامى إبانئذ .

وكقول "عبد الرحمن المصرى" فى حرب البلقان :

خيلى هل شاهدت هجمة جندينا

على دول البلقان بالمارم العُضْب

فلو شاهدت عيناك والنقع شائر

عساكرنا فى مدّ ملحمة الغرب

لشمت بنى البلقان يرجف قلبها

(١) وترعد كالحموم من شدة الرعب

فالمأظفة لم تكن على قدر الحدث وانفعال الشاعر

بالموضوع لائح عليه الفاظه وموره ، قلاتفصيل يوقظ الانتباه

ولاخيال يحملنا على جناحه إلى ما وراء الواقع ، ويبث فى روع

المتلقى أهوال هذه المعركة المظفرة .

(١) المقتبس عدد ١٠٣٠ ذو القعدة ١٣٣٠هـ .

الطبقة الثانية :الالفاظ القليلة الشيوع :

إن من يتأمل شعر «البارودى» ومن خلفوه من الشعراء ،
الرواد يجد أن الفاظهم وتعابيرهم قد تنوعت تنوعاً كبيراً ،
ويلحظ التباين فيما بينهم فى تمثيلهم للغة ، حيث الالفاظ
القليلة الشيوع عند بعض الشعراء مثل البارودى - فى
المرحلة المبكرة - ومحمد عبد المطلب ، وعبد المحسن
الكاظمى ، ومحمد توفيق البكرى ، بينما تقل عند «احمد محرم»
وشوقى ، والرمافى ، وحافظ ابراهيم ... الخ منظومة الشعراء
الذين سلكوا هذا المسلك .

فالبارودى مثلاً فى الحرب الروسية الثانية ينظم قصيدته

التي مطلعها :

هنيئاً لربّي ماتمُّ الجوانح

وإن طوّحت بى فى هواها الطّوائح

ف نجد الفاظاً قليلة الاستعمال فى ذلك العصر "سمّور

الغمام" ، "مُزْنَةُ قُسْطَل" ، "سمهريّ وقائب" ، "شمريّ وسابح" .

فلاجوّ إلا سمهريّ وقائب^(١) ولا أرض إلا شمريّ وسابح^(٢)
وقد نشأت للحرب مُزْنَةُ قُسْطَل لها مستهلّ بالمنية لائح

وأما "محمد عبد المطلب" ، و"الكاظمى" فلا تكاد تجد

قصيدة من قصائدهما إلا تحوى عدداً جماً من الالفاظ قليلة

الاستعمال فى عصرهم ، ومرد ذلك فى ظنى إلى اطلاعهم الواسع

على السّترات العربى وكثرة محفوظهم منه ، وهم بذلك العمل

جددوا تلك الالفاظ باستعمالهم لها .

فعندما نطالع قول "محمد عبد المطلب" في حرب البلقان
نلاحظ العبارات الجزلة :

وَأَعْرِى بَعْمِ أَتَا حَفْظَنَا مَعُودَهُمْ
وَلَا مَعْدُ إِلَّا لِلْخِيفِ الْمَوَارِمِ
عَلَيْنَا مَعُودٌ لِلْمَوَاضِي قَدِيمَةٌ
نَفِيهَا عَلَى رَغَمِ الْآتُوفِ الرُّوَاعِمِ
وَلِلْخَيْلِ مَنَّا ذِمَّةٌ لَانْفِيعُهَا
رَعَيْنَا لَهَا حَقَّ الْعِتَاقِ الْمَلَامِ
تَصِيرُ الْمَنَایَا عِنْدَ بَابِهِ حَقْلًا
إِلَى كُلِّ جِيَاشٍ الْحِصَا وَالزُّمَازِمِ (١)

فقوله : "للخيف الموارم" ، "المواضي" ، "العتاق" ،
"الملام" ، "جياش الحشا والزمازم" كلها ألفاظ قليلة الشيوع
بعث الشاعر فيها الحياة .

ونجده في قصيدته في الحرب العالمية الاولى ، كيف
استرسل مع القافية المعبدة واتى بالالفاظ القليلة الذيوع
مما يدل على غزارته واعتداده بموهبته اللغوية .

فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا مَرِيحًا عَلَى الثَّرَى
وَمُنْتَهَبًا يَقْفُو مَسَابًا بِأَوَّلِ
وَمُخْتَبِطًا فِي الدَّوِّ يَرْكَبُ رَأْسَهُ
فَلَا وَمَنْ يَسْتَكْبِرُ الْهَوْلَ يَخْرُقُ
يَقُولُ أُنْجُ سَعْدًا بِالْهَوَانِ فَقَدْ هَوَى
سَعِيدٌ وَحَاقَ الْبَاسُ بِالْمَتَعَوِّقِ (٢)

فالالفاظ والتركيب الجزلة في شعره عموما تدل على

(١) ديوانه من ٢٧١-٢٧٢ .

(٢) السابق من ١٦٤ .

استيعاب روح الشعر القديم وعلى تمثيل تراكيبه واستحضارها
فى شعره .

و"الكاسمى" من نفس المدرسة ، ويذبح على نفس المنوال
نحو قوله فى حرب طرابلس :

لا يمدقُ السيفُ مالمَ تمدقُ الغممُ
بالتَّساعدِ الفحلُ يَمْضى المارمُ الخدمُ
إذا الهامةُ هبت من مكانِها
تمزقُ الخطبُ وانجابت بها الغممُ
عمَّ البلاءُ إلا حمداً واقيةً
جفَّ الرِّواءُ إلا وطفاءً تُسجِمُ

.....

خبا سناها واقوى دورها وخوت
رباعماً وعفت أثارها القدمُ
وساوس واحاديث ملققة^(١)

(١) تلك الامانى التى يزهو بها الكلام^٣

"التساعد الفحل" ، "المارم الخدم" ، "الهامة" ،
"حمداً واقية" كلها الفاظ نادرة الحضور فى ذهن القارئ ،
فساعد الشاعر على بعضها وتجدها بذكرها هنا ، ثم إن
التركيب على غرار التراكيب القديمة ، بل إن البيتين الأول
والخامس تذكرنا بقول "أبى تمام" :

السيفُ أمدقُ أنباء من الكتبِ
فى حده الحدّ بين الجدِّ واللَّعبِ
تخرمُماً واحاديثاً ملققةً

(٢) ليست بذبح إذا عُدَّت ولا عُرب^(٢)

(١) ديوانه ١٠٨-٩٩/٢ .

(٢) ديوان أبى تمام ٤٥/١ .

وكقوله في "حرب البلقان" :
 سَكَمَ فَعَرَ الطامعين سَكُوتَكُمْ
 إلا كلمة "من دى هزاهز كالسم"
 وكيف ينال الخصم منكم ودونكم
 صراخ أمضى من شجار الصوارم
 وكم ظهر جماع ركبتكم فرقتكم
 به كل جماع من الخطب عارم

.....
 طغوا وبغوا واستمرءوا كل باطل

وهاجوا وماجوا في الربى والمغازم
 أن يقوهم حر الحديد وأوقروا
 مسامعهم بالمُلييات الصوام (١)

فالنص يشتمل على الفاظ كثيرة ليست من الشيوخ بدرجة
 تغنى القارئ عن الرجوع بالكشف عنها في المعاجم مثل
 "هزاهز" ، "صراخ" ، "جماع" ، "الخازم" مما يشى بان
 المخزون اللغوى للشاعر ، وإطلاعه على القديم قوى وزاخر .
 ولايعنى هذا أن بقية شعراء هذه المدرسة - من أمثال
 شوقى ومحرم والرمافى - لم توجد عندهم الفاظ وتراكيب قديمة
 بل هى موجودة ولابد من كثرة المعارضات وتضمين كثير من
 الفاظ ومعانى السابقين كما سأعرضه فى موضعه إن شاء الله .
 فهذا "أحمد شوقى" يقول فى رثاء "أدرنة" :

وخبث مساجد كن نورا جامعا	تمشى إليه الأسد والآرام
وعفت قبور الفاتحين وقص عن	حفر الخلائق جندل ورجام
نُبشت على قعساء عزتها كما	نُبشت على استعلائها الأهرام (٢)

(١) ديوانه ١١١/٢-١١٣ .
 (٢) ديوانه : الشوقيات ٢٣٨/١ .

"فالآرام" ، "جندل ورجام" ، "قعساء" كلها ألفاظ قليلة

الاستعمال في اللغة بالنسبة لعصر الشاعر .

ويقول "الرماني" في حرب البلقان أيضا :

لقد آن يا قوم ترك الولى وترك الشقاق وترك الدد
فهبوا إليه هبوب الميا عسى أن يسح ويغدودقا^(١)

فلفظتا "الدد" ، و"يغدودقا" قليلة الشيوع عند أهل

عصره .

ويقول "أحمد محرم" في إحدى قصائده في حرب طرابلس :

رويذا (بلى روما) فليحرب فتية
تهيج الظبى اطرابهم واللعازم^(٢)
بنوهم الألى لايزمبون بها الردى
إذا اهتزمت في حافتيها الزمام

إذا اقدموا لم يثنهم عن مغارهم
غداة الوغى أهوالها والمأزم^(٢)

فمئاته التراكيب وقوة الأسر فيها لا تخفى على القارئ .
وعموما وإن اختلف شعراء النهضة في نسبة ترسم خطى
الشعر القديم فإن اللغة تنحو منحى الجزالة في التراكيب
والفخامة في الالفاظ والاهتمام بالفصاحة في آشار الحرب .

بعض الالفاظ المحدثه :

ولكن لايعنى ترسمهم خطى القدامى في الالفاظ والتراكيب
انهم لم يسايروا العصر ، كلا فلقد ساعدوا في إشاعة عدد
وافر من الالفاظ العصرية عن طريق التعريب أو التوليد أو
الاشتقاق ، مما كان له تأثير مباشر على اللغة عموما ، وعلى
اللغة الشعرية خصوصا . فالفاظ مثل الدستور ، النواب ،

(١) ديوانه ٤٧٩/٢ .

(٢) ديوانه : السياسيات ١٩٨/١ .

المدافع بمعناها المتعارف عليه ولجت إلى لغة الشعراء،
واستخدمت كثيراً في معجمهم الشعري .

كقول "الكاشف" في ثورة "كريد" الثانية :

إِنَّ الْبَغَاةَ عَلَى الْخَلَاةِ أَصْحَوَا

(١) في ذمة "الدستور" غير بغاة

وكقول "أمين ناصر الدين" في تلك الثورة :

وَفِيهَا سَرِيرُ الْمَلِكِ حُفَّ بِهَيْبَةٍ

ومجلس "نواب" البلاد الموقر

أعاد لها "الدستور" سابق مجدها

وشاد لها الأحرار مالم يس يدشرو

وتزجى الجوارى المنشآت مقلسة

(٢) "مدافع" منهن الردى يتفجر

ويقول "ابن زكري" واصفا قوة المدافع وكشافة نيرانها

في حرب اليونان ١٣١٤هـ :

مُلَّتْ جِبَالُ مَلُونَةٍ بِمَدَافِعٍ وَمُدَافِعِينَ

لِإِيكُم قُلُوبُ مَقْدَرٍ رَقٍ لَكُمْ وَمَقْدَرِينَ

لَاتَقْبَلُ التَّحْرِيفَ عَنْ جُحْمِ الْبَغَاةِ الْمَارِدِينَ

(٣) وترى سحباً دخانها في الجوّ يغشى الناظرين

ويقول "محمد عبد المطلب" في حرب البلقان :

مَدَافِعُهَا عَمَّى الْمَرَامِي إِذَا رَمَتْ

(٤) رَمَتْ لَمْ تَمِزْ دَاشِكَةً مِنْ مَسَالِمِ

ويقول "الزصافي" في حرب طرابلس :

(١) ديوانه ٥٤/٢ .

(٢) العدل أمام الملك عدد ٧ سنة ١٣٢٧هـ .

(٣) ديوانه ص ١٨٥ .

(٤) ديوانه ص ٢٧١ .

فما انْتَبَهَتْ إِلَّا لِمَرْخَةٍ مَدْفَعٍ
 وَمَانَهَتْ إِلَّا إِلَى مَوْقِفٍ مَعْبٍ
 فَامَسَتْ وَأَفْوَاهُ الْمَدَافِعِ دُونَهَا
 تَمَجَّ عَلَيْهَا النَّارُ كَالْوَابِلِ السَّكْبِ (١)

و"البوارج" من اللفاظ التي ساعد شعر البعث على
 إشاعتها نحو قول "شوقي" في حرب اليونان سنة ١٣١٤هـ :
 تَظَلُّ مَهُولَاتُ الْبُورَاجِ دُونَهُ حَوَاطِرُ مَايَدْرِينَ مَاذَا يَخُزِبُ (٢)
 ونحوه قول "خيرى الهنداوى" في حرب البلقان :
 لَمْ يَسْمَعْ غَيْرَ الْمَدَافِعِ ضُجُوءَ
 فَتَسَارَعَا فَإِذَا هُنَاكَ زُجَامُ
 وَإِذَا الْبُورَاجُ فِي الْخُفْمِ كَانَهَا الـ
 أَمْلَامُ تَمَخَّرُ وَالذَّخَانُ قَتَامُ (٣)

ونحوه قول "أحمد محرم" في الحرب العالمية الأولى :
 الْبَحْرُ يَفْتَحُ لِلْبُورَاجِ جَوْفَهُ فَتُفْجِرُ مِنْ مِثْنَى وَمِنْ وَجْدَانِ (٤)
 ويقول في قصيدة أخرى :
 تَرَامَى بِهِمْ اسْطُولُهُمْ فَانْبَرَتْ لَهُ
 بَرُوجُ حُمُبِ الْمَوْتِ أَحْمَرُ قَانِيَا (٥)

ومن اللفاظ التي دونها شعراء الإحياء وأشاعوها :
 الْقَذَائِفُ ، الْكَرَاتُ ، الرَّمَاصُ ، الْمَوْزَرُ .
 يقول "أحمد شوقي" في حرب اليونان ١٣١٤هـ :
 قَذَائِفُ تَخْشَى مُهْجَةَ الشَّمْسِ كُلَّمَا
 عَلَّتْ مَصِيدَاتُهَا لَا تَمُوتُ (٦)

-
- (١) ديوانه ٤٧٩/٢ .
 (٢) ديوانه : الشوقيات ٤٧/١ .
 (٣) خير الهنداوى حياته وشعره ص ١٩١ .
 (٤) ديوانه : السياسيات ٣٠٦/١ .
 (٥) نفسه ص ٢٩٨ .
 (٦) ديوانه : الشوقيات ٤٧/١ .

ونحوه قول "محمد حسين آل كاشف الغطاء" في حرب

البلقان :

سل قذيف المكسيم كم من فِرابٍ سيم خسفاً فيه على العمران (١)

ويقول "شوقي" في القصيدة السابقة :

تُسمرُ في راسِ القلاع كراتُها

ويسكن اعجازَ الحصون المذنب (٢)

ويقول "خيرى الهنداوى" في حرب "البلقان" :

بل فاجأته من الغفاء رصاصة

لر الخوف يدفعها ولا الإقدام (٣)

ويسمى "محمد عبد المطلب" بعض أنواع الجنادى "الموزر"

مبيناً قوتها وأثرها الحربى ، وذلك في حرب "طرابلس" :

وزرق "موزريات" كرام صوانب لا يشطن ولا ينينا

طويلات المتبون بلا اموجاج عن العوج القسى بها غنينا

إذا انبعث الزناد بها أصابت ولم نسمع لمرماها رنينا

كان رصاصها حديق المنايا نميب به ضماير من كقينا

على أفواهها زرق "جدا" بها كفى الخوامر والمتونا (٤)

ولاشك أن ورود الأسلحة الحديثة وشدة فتكها عند شعراء

الحرب في فترة هذا البحث ، أضافت إلى المعجم اللغوى حميلة

مهمة من أسماء تلك المعدات ، وساعدوا على نشرها في الأوساط

الثقافية ، مما يعتبر عاملاً مساعداً في النهضة الشعرية .

ومن الألفاظ التى شاعت في هذا العصر واستخدمها بعض

الشعراء مصطلح الشرق والغرب ، إذ مر مصطلح الشرق خاصة

(١) شعراء الغرب أو النجديات ١٧٩/٨ .

(٢) ديوانه : الشوقيات ٤٩/١ .

(٣) خيرى الهنداوى حياته وشعره ص ١٩١ .

(٤) ديوانه ص ٢٨٧ .

بمراحل حتى أضحت آتخذ دالا على العالم الإسلامى وماجاوره من الدول الواقعة فى آسيا وخاصة "اليابان" ، ويهمنى ان بعض شعراء هذه الحروب استخدموه مفرقين بين الشرق المسلم ، والغرب المسيحى .

فستخدم "محمد حسين آل كاشف الغطاء" مصطلحى الشرق والغرب بنفس تلك الدلالة فى حرب البلقان :

أو سل الشرق مالميت من الـ

(١)
غرب وعدد غرايب العدوان

وكذا قول "الكافى" فى تلك الحرب :

بنى الشرق هبوا إن فى الغرب هبة
(٢)
تعد عليكم كل بار وحاطم

ويقول "سالم بن حميدة" فى حرب طرابلس :

أفيقوا بنى الإسلام إن فى الغرب هجة
(٣)
تناوشكم أيدي العدك وتعود

ويبين "محمد عبد المطلب" فى الحرب العالمية الاولى كيف ان الشرق بلاد المسلمين أضحت نهبا للاستعمار :

إذا الشرق فيما بينهم نهب غالب
(٤)
متى يعتقد رهنا على الشرق يخلق

وكذا نجد "ابن محمود" فى تلك الحرب لايقصد به غير بلاد

المسلمين :

لهملى على الشرق والويلات تقذفه

فى كل ساحقة من يمنها الظامى

(١) شعراء الفرى أو النجقيات ١٧٩/٨ .
(٢) ديوانه ، المجموعة الثانية ص ١٢٠ .
(٣) جريدة الاقبال عدد ٤٣١-١٩١٢ .
(٤) ديوانه ص ١٧١ .

عدا على الشرق اقوامٌ جبابرةٌ
من كلِّ عامٍ شديدٍ البطشِ ظلامٌ
فبدلَ الشرقِ وانذكتْ معالمُه
(١) واظلمَ المبحُ فيه اىَّ اظلام
إلى غير ذلك من الالفاظ والامثلة التى شامت عند شعراء
هذه الحروب ، وكانت الحرب باحداثها ومغالباتها سببا فى
إشاعتها .

(١) . ديوانه ص ١٣١ .

الصورة :

هى عنصر مهم من عناصر العمل الادبى ، وبعد المدام الذى حدث فى مجتمع العصر بين الحضارتين الإسلامية والأوربية وجدت الحركة الثقافية بعامة والأدبية بخاصة الا مئاص من الرجوع إلى مصادر الثقافة العربية وإلى الشعر فى عصور ازدهاره ليجددوا عقولهم وانفسهم ، وليبعثوا مارم من الشعر التقليدى الذى كان يذيع بينهم .

التأثر بالقرآن :

فالقرآن الكريم كان ومايزال مصدرا شرا للمتأدبين والشعراء بشكل خاص ، وهو جزء من البنية الثقافية لشعراء هذه الحقبة ، فوظف بعضهم آيات من القرآن الكريم فى شعرهم من ذلك مثلا قول "ابن زكوى" فى حرب اليونان ١٣١٤هـ/١٨٩٧م :

وجنودكم امست يثر	ناوة حميدا خامدين
وجمعتكم الالاف	من ضرب التعصب والمنين
من كل حدب ينسلو	ن لنمركم متطوعين ^(١)

فواضح ان "حميدا خامدين" ، "من كل حدب ينسلون" مور

قرآنية فمنها الشاعر فى قصيدته الاولى من قوله تعالى :
{فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حُمَيداً خَامِدِينَ} ^(٢)
والثانية من قوله سبحانه : {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} ^(٣) .

ويشبه "خيرى الهنداوى" - فى حرب البلقان - البوارج

فى البحر "بالاعلام" فى قوله :
وإذا البوارج فى الخضم كأنها ال اعلام تمخر والدخان قتام ^(٤)

(١) ديوانه ص ١٨٥ .

(٢) سورة الانبياء : ١٥

(٣) سورة الانبياء : ٩٦

(٤) خيرى الهنداوى حياته وشعره ص ١٩١ .

أخذه من قوله تعالى : {ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام} (١) وقوله : {ولله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام} (٢) ونجد "محمود صادق" في حرب اليونان ١٩٢١م/١٣٤١هـ يصور حالة الأمة - كما يعتقد - قبل مجيء "مصطفى كمال" بأنها كانت على شفير هار فكان أن أنقذها "مصطفى" من الانهيار ، التمس تلك الصورة من قوله تعالى : {أَمْ مَنْ أَسْخُ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْهٍ هَارٍ فَانْهَارٍ بِعٍ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ} (٣) وذلك حين قال :
 بعث إلهكم بكم وكأنت أمة الـ إسلام قبل على شفير هار (٤)
 ونلفي "الرمافي" في تلك الحرب يجعل مقام "مصطفى كمال" في الأمة كمقام "ميسى" عليه السلام في إبرائه للمرضى ، وهذا على ما فيه من مبالغة مقيطة - كما سيأتي - إلا أنه يعطينا مدى تأثره بالأمور القرآنية وذلك في قوله :
 وقُمتَ على البلاد مقام عيسى على مُرباه من عمى وعرج
 فعالجت الفتوق بحسن رُتقٍ ولاءمت الخروق بحسن نُسج (٥)
 ففي ماخوذة من قوله تعالى : {وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} (٦) .
 ومن اللافت عند "أحمد شوقي" في تلك الحرب أيضا عندما عرض لبعض ماجرى في "سقاريا" أنه استخدم صورة قرآنية ، بل تكاد اللفاظ كلها أن تكون اللفاظ قرآنية في قوله :
 ماكان ماء سقاريا سوى سقَر طفت فأغرقت الإغريق في اللهب
 لما انبهرت نأرهم تبغيهم خطبا كانت قيادتهم حمالة الحطب (٧)

-
- (١) سورة الشورى : ٣٢
 (٢) سورة الرحمن : ٢٤
 (٣) سورة التوبة : ١٠٩
 (٤) ديوانه ص ١٢٤ .
 (٥) ديوانه ٤٣٩/١ .
 (٦) سورة آل عمران : ٤٩
 (٧) ديوانه : الشوقيات ٦١/١ .

فالمصورة في البيت الأخير مستأنسة بقوله تعالى :
 {وَأَمْرَاتِهِ حَمَائِلٌ حَاطَّةٌ} (١) .

ومن الصور المأخوذة من القرآن قول "محمد علي
 اليعقوبي" في الحرب العالمية الأولى :
 قَدْ أَقْبَلَتْ تَطْفُو بِهَا الْأَسَاطِيلُ فَنَازَلَتْهَا مِيدُنَا الْبَهَائِلُ
 تَحْسِبُهَا يَوْمَ سَطَتْ أَبَابِيلُ تَرْمِي الْعَدَى حِجَارَةً مِنْ سَجِيلِ (٢)
 حتى انجلي النصر لآل عثمان .

فواضح أنها مأخوذة من قوله تعالى : {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ
 طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ} (٣) .

التأثر بـصور الشعر القديم :

لم يكن مخالفا لطبائع الاشياء أن يلتفت الشعراء في
 زمن البعث إلى الماضي ينهلون من معينه ، حتى إذا استقامت
 لهم اللغة ، عادوا فعاشوا بيئتهم وزمنهم ، وقد ظهر لى
 مجموعة من النماذج متاشرة بـصور من الشعر القديم ، من ذلك
 قول "عبد الله باشا فكرى" في الحرب الروسية العثمانية
 الأولى ١٢٦٩هـ - ١٨٥٣م :

وَلَوْ سَلِمُوا مِنْ مُرْمَرِ السَّيْفِ أَوْ خَلَوْا
 بَأَنْفُسِهِمْ يَوْمًا لَأَفْنَاهُمُ الرُّعْبُ (٤)

فلقد اخذه مع قدر من البراعة من قول أبى تمام :
 لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ
 إِلَّا تَقَدَّمَهْ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ (٥)

-
- (١) سورة المسد : ٤
 (٢) الشعر العراقي الحديث ص ٧٦ .
 (٣) سورة الغيل : ٤١، ٤٢
 (٤) الآثار الفكرية ص ١٣ .
 (٥) ديوانه ٦٤/١ .

ويقول "البارودي" في الحرب الروسية الثانية ١٢٩٤هـ/

١٨٨٧م :

يخورون حولي كالعُجول وبعضهم
يهجن لحن القول حيث يجيد
أدور بعيني لأرى بينهم فتى
يرود معي في القول حيث أرود (١)

فالمعنى والمصورة مأخوذان من قول "المتنبي" مع قدر من

التوليد :

تجمع فيه كل لسن وأمة
فما تفهم الحداث إلا التراجم (٢)
ونجد روح "المتنبي" تسرى في شعر "البارودي" وهو يفخر

في مقارمته للأبطال حين قال :

مؤول وللأبطال همس من الولى
مروبو وقلب القرن في صدره يقدو (٣)

فهذه الصورة البطولية قريبة من قول المتنبي :

فما كنت إلا الليث أنعمه الطوى
وما كنت إلا السيف فارقه الفمد (٤)

و"الكاظمي" في صورته التي يقول فيها - في حرب

البلقان :

يلاقى الردى عن واضح الشفر باسم
وشفر الردى في كفه غير باسم (٥)

متأثر بقول "المتنبي" :

تمر بك الأبطال كلّمى هزيمة
ووجهك وضاح وشفرك باسم (٦)

-
- (١) ديوانه ٨٥/١ .
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي شرح العكبرى ٣/٢٨٢ .
(٣) ديوانه ٥٤/١ .
(٤) ديوان أبي الطيب .
(٥) ديوانه - المجموعة الثانية ص ١١٧ .
(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي .

على أن صورة العدو المهزوم - عند "المتنبي" - أبطال
عدوه مجروحة مهزومة ، بينما جعل "الكاظمي" الموت في يد
ممدوحه .

وفي هذه القصيدة يقول أيضا :

كَانَ نَدَى الْمَوْرِى وَهُوَ سَجِيَّةٌ
(١) نَدَى كُلِّ شُؤْبٍ مِنْ الْغَيْثِ سَاجِمٌ

فقد التحق صورة الكرم وتشبيهه بالغيث الساجم من

"الفرزدق" حين قال :

بَكْفَيْنِ بِيضَاوَيْنِ فِي رَاحَتَيْهِمَا
(٢) حَيَا كُلِّ شَيْءٍ بِالْغَيْثِ السَّوَاغِمِ

ونجد صورة الفخر عند "عمرو بن كلثوم" ماثلة في نونية

"محمد عبد المطلب" حين قال : في حرب طرابلس :

لَيْوُثٌ مِنْ بَنَى الْإِسْلَامِ شَوْيٌ بِهِمْ نَسْطُو وَنَمْلَعُ مِنْ وَلِينَا
(٣) فَلَانَرْمِي لَجَبَّارٍ حَقْوَقَا وَلَا نَقْفِي لَدَى وَتَرٍ دِيُونَا

ويتأثر "الرمافي" في إحدى قصائده في حرب اليونان

١٩٢١م بقول عمرو بن كلثوم أيضا :

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ مَقْوَاً وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينَا
(٤)

وذلك حين قال :

وَتَشْرَبُ كَأْسَ الْمَجْدِ مِرْفَاً وَيَشْرَبُهَا سِوَاؤُكَ ذَاتَ مَرْجٍ
(٥)

فالمعنى واحد والالفاظ متقاربة برغم اختلاف القافية في

القصيدتين .

-
- (١) السابق ص ١١٧ .
(٢) ديوانه ٣٠٨/٢ ، ط/دار صادر .
(٣) ديوانه ص ٢٨٦ .
(٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأثير ،
تحقيق عبد السلام هارون ص ٤١٩ ، ط/دار المعارف .
(٥) ديوانه ٤٣٩/١ .

إلى غير ذلك من النماذج المتناثرة - والتي سأعرض لبعض منها في مبحث المعارضات بل إن الله - الدالة على نظر شعراء البعث إلى الشعراء السابقين .
مور مخالقة :

إن النماذج التي سقتها عند الطبقة الأولى وفيها من الدلالة على ضعف المور كما بينته ، يسوقني ذلك الى ذكر نماذج تضمنت مورا قوية لاتعوزها الجدة والابتكار عند الطبقة الثانية ، كالذي نجده عند "البارودي" وآخرين .
 "فالبارودي" رأس مدرسة الإحياء تحفل قمائده الحربية بمور رائعة تدل حقا على مقدرة فنية ، نحو قوله - في الحرب الروسية الثانية ١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م :

مدافعنا نصبُ العِدَى ومُشَاتْنَا
 قِيَامٌ تَلِيهَا الْمَافِنَاتُ الْقَوَارِحُ
 ثَلَاثَةُ أَمْثَالٍ تَقِيْمُنَّ سَاقِيَّةً
 حَيَالُ الْعِدَى إِنْ صَاحَ بِالْشَرِّ صَاحُ
 فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا كَمَا بَوَاسِلًا
 وَجُرْدًا تَخُوضُ الْمَوْتَ وَهِيَ مُوَابِحُ
 تَغْيِرُ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْمَبْعُ بِاسْمِ (١)
 وَكَأَوَى إِلَى الْأُدْنَى وَاللَّيْلِ جَانِحُ

فهذه المورة البصرية الحسية تقفنا على دور الجند في المعركة مع أسلحتهم وتفظيمهم ، وقت الإغارة والراحة .
 و"شوقي" يصور لنا - في حرب اليونان - ١٣١٤هـ - ١٨٩٧م كيف أن الحيرة تستحوذ على "اليونانيين" عندما يريدون ضرب التحصينات العثمانية ، لذا تطيش سهامهم ، أما العثمانيون

فرميعم هائب ودقيق ، وماذلك إلا لأن "عزرائيل" أتى فى صورة الجنود العثمانية يحمد كل من أدركه .

ولا يخفى أن الكناية هنا أضفت على الصورة جمالا وإشراقا .

تَقَلُّ مَعُولَاتُ الْبَوَارِجِ دُونَهُ
حَوَاطِرُ مَايَدْرِئُنْ مَاذَا كُتِرَبُ
إِذَا طَاشَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالصَّخْرِ سَعْمُهَا
أَتَاهَا حَدِيدٌ مَايَطِيشُ وَأَسْرُبُ
يَسْدَدُهُ "مَزْرِيْلُ" فِى زَيْ قَادِفِ
وَإَيْدِى الْمَنَآيَا وَالْقَهَاءُ الْمَدْرَبُ (١)

فنسبة الحيرة إلى البوارج تزيد من حسن الوصف .
ومن الصور الالفة بلغتها وجمالها قول "البكرى" فى تلك الحرب أيضا :

وَزَجَّوْا جَمُوعًا كَالدَّبَى فِى عَدِيدِهَا
فَالْقَاهِمُ فِى جَوْفِ دُهْيَاءِ سَيْلِمِ
أَسَالَ فَجَاجَ الْأَرْضِ بِالْجُنْدِ يَلْتَوِي
كَأَغْدِرَقِ الْوُدَيَّانِ فِى كُلِّ مُخْرَمِ
يَمُوجُ بِمَا الْمَادِيُّ فِى رُؤْنِقِ الْقَحَى
كَمَا مَاجَ لَجٌّ بَيْنَ آرْجَاءِ عَيْلِمِ
فَمَنْ كُلِّ مِغْوَارٍ تَرَى الرُّومَ دُونَهُ
طَرَانْدُ وَحْشٍ بَيْنَ أَظْفَارِ قَشْعَمِ (٢)

فقد أدى التشبيه هنا دورا بارزا فى الوصف ، وأضحت لفظة "الدبى" وماتمثلة فى الذهن من الكثرة معلما فى تعظيم الصورة لذلك الجيش .

(١) ديوانه : الشوقيات ٤٧/١ .

(٢) معارج الملوك ص ٥٥ .

وصورة الجيش الذى ينسرب من كل فج كأنه غدران تتلوى
 فى مسالك الجبال وشعابها ، وتشبيه السلاح - وقد أعطاه لونا
 أخضر - وهو مرفوع دلالة الأبهة والاستعداد - بالأمواج - ليثبت
 عظمة وكثرة ذلك الجيش ، ثم تتوالى التشبيهات داخل القصيدة
 اتماما لمورة الجيش مما يدل على دور التشبيه فى خلق
 المورة الفنية هنا إلى جانب جزالة التركيب .

ويسوق "أحمد محرم" مقطوعة فنية وهو يصور بمسالة الجيش
 العثمانى وأثر مدافعه فى تلك الحرب :
 إِذَا لَمَسَتْ جَمَنًا هَوَتْ شَرَفَاتُهُ وَإِنْ لَمَعَتْ طُودًا تَدَامَتْ مَنَاكِبُهُ
 ثم ينفى ليمور حال مدينتين يونانيتين وهما تتبادلان
 الحزن والشكوى مما ألم بهما :

تُدِيرَانِ نَجْوَى جَارَتَيْنِ اعْتَرَاهُمَا
 عَلَى الْفَعْرِ هُمُ يَمْدَعُ الصَّخْرَ نَاصِبُهُ^(١)

فالهم الثقيل الذى أصابها يمدع الصخر ، وأصبحت
 الكلمات ذات دور فاعل فى المورة ، فمن يتأمل "المست" ،
 "هوت" ، "لمعت" ، "تدامت" ، يجد أثرها فى تشخيص
 قوة الجيش العثمانى ، ناهيك بالجرس الإيقاعى لتلك الأفعال
 مما زاد من قوة المورة ، زد على ذلك التجريد فى "تديران
 نجوى" إذ جعل منهما فتاتين أبرازا للمعنى .

"وابن محمود" فى حرب البلقان يصف موقف المسلمين من
 سقوط "أدرنة" :

حَزْنٌ أَثَاخَ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلُّهُ فَنَاءٌ بِالْعَبَاءِ إِعْيَاءٌ وَمُشْطَلَعَا
 وَبَاتَ يَهْدَى كَمَحْمُومٍ تَعَاوُدُهُ حِمَاءُ أَوْ شِبْهَ مَنْ قَرَسَ أَوْ مَرَعَا^(٢)

(١) ديوانه : السياسات ٢٩/١ .

(٢) ديوانه ١١٤/٢ .

الناخ الحزن بكليله على الشعب لما حاقت به الهزيمة ،
فامسى ليله يهدى من شدة الوجد والقهر هذيان المحموم ، أو
كمن مسه طائف من جنون ، تبياناً لواقع الهزيمة على
المسلمين بسقوط "أدرنة" .

وهذا الشعر وغيره مما يقطع بأن حركة البعث كانت
أصيلة إذ لم يقتصر أمرها على الرواد بل امتدت بعض هذه
الأشار إلى الشعراء المغمورين .

ومن صور "محمد عبد المطلب" التي تدل على حس شعري
مرفود بقوة أداء قوله في حرب "البلقان" وهو يبين المعاناة
التي واجهها العثمانيون :

إن طفلاً أتى له الموت في غير أوانه ، من جراء طعنة
هوجاء لم ترحم صغره ، وإذا ما تحركت وشائج الأمومة من قبل
أمه لم تشعر إلا بالسيف يفتك بها .
وطفل يعاني سكرة الموت في الظل

ويكرع من كاس الردى غير هائم

إذا ما بكته أمه فتككت بها

(١)
ذباة هندی من البيض صارم

فبراعة الشاعر تأتي من أن الذي يعاني الموت طفل ،
بسبب طعنة غير راحمة . واخت الأفعال لتزيد من هول المنظر ،
يعاني ، يتزعج ، والاستعارة في "كاس الردى" وزيادة التوهم
في "غير هائم" زادت المبرة الشعرية مكانة .

ومع ذلك فلقد كان "شوقي" في تلك الحرب أيضاً أبهى
بياناً في الثقاط نفس المنظر حين قال :

كم مريض في حجر نعمته غدا
وله المأجد السيوف فطام

فالطفل رضيع لاحول له ولاطول لايميز من حوله حان أو ان
 فطامه فكان السيف له فطاما ، ياله من منظر تقشعر منه
 الابدان .

لقد أدت اللفاظ دورا مهما في الصورة الشعرية "كم
 مريض" للتكثير ، "في حجر نعمته" ، "حد السيوف فطام" .

وقوله في البيت الثاني :
 (١)
 ومبيرةً هتكت خميلةً طهرها وتناشرت عن نوره الاكمام
 كان شوقي مجيدا حقا فهي "مبيرة" أصيبت في أعز ماتملك
 "عرضها" ، وصوره "بالخميلة" وكنى عن الافتفاف بقوله
 "تناشرت عن نوره الاكمام" مما زاد من جمال الصورة وتفردها .
 ونلقى "خيرى العداوى" في هذه الحرب نفسها يمدنا
 بقصيدة تحوى صورا ماثعة وكلها صور حسية من طبيعتها ان
 يبقى اثرها في الذهن .

وبكت فبدلت الدموع بخدّها
 دروا لها الحسن البديع نظام
 ظلت تودعه وتلحم فسرّه
 والموت نحوهما له إرزام
 فمضى نجيبا غيسر موجس خيفة
 في كفه الباس الشديد حسام
 متلفتا ليصيب آخر نظرة
 منها فلم تسمع له الاقسام
 بل فاجأته من الغفاء رماصة
 لا الخوف يدفعها ولا الاقدام

فهوى يَجُودُ بنفسِهِ متَعَفِّراً
(١) يعلوه من مَرِّ الرِّيحِ رَغَامُ

فالدُموعُ دررٌ مننظمة ، وهى تقبله بلعفة ووداع لان
الموت من حولهما له "إرزام" ومع ذلك فلقد مضى "نجيب" دون
وجل ، ويرسم الشاعر لحظة الوداع مما يزيد الصورة توهجا
"مختلفا" ، ولكن "فاجأته" رصاصة طائشة ، "لا الخوف يدفعها
ولا الإقدام" ، ويصور لحظة إصابته وكيفية نهايته "فهوى يَجُودُ
بنفسه متعفرا" .

ويوافينا "أحمد شوقي" فى حرب طرابلس بصورة حافزة على
البذل والعطاء ، خاصة عندما أعطانا صورة مجسدة للبائع
والمشتري ، وإسناد ذلك للملائكة من جهة ، وظالب الثواب من
جهة أخرى .

كثُرْتُ عليك أَكْفُهُمْ فى سَوْبِهَا
فَكَأَنَّهَا قَطَعُ الغَمَامِ الممطرُ
لو يعلمون السُّوقَ ما حَسَنَاتُهَا
بيعَ الحصى فى السُّوقِ بَيْعُ الجَوهَرِ
جبريلُ يَعْرِضُ والملائكُ باعَةٌ
(٢) أينَ المساومُ فى الثَّوابِ المُشْتَرى

ويمف "أحمد محرم" فى تلك الحرب جهود المتبرعين
بمجموعة صور متراكبة "كديمة من فضة وغمامة من عسجد" وفى
هذه الصورة نلاحظ أن الشاعر مازال مرتبطا بالصورة القديمة
حين كان الأقدمون يشبهون الجود بالمطر ، ولكن الشاعر جعل
من ماء المطر فضة لتشابههما فى اللون وهو ما يقدمه

(١) خيرى الهنداوى حياته وشعره ص ١٩١ .
(٢) ديوانه : الشوقيات ١/١٥٠ .

المحسنون لفضايا الحرب .

ويصف تراحمهم على العطاء بأنهم "مثل العِطاش الورد" ويزيد ذلك إيضاحاً بقوله "يتنازعون مدى الفخار" إذ أن الفعل "يتنازعون" فيه دلالة على زيادة وقوة الرغبة في العطاء .

لِلَّهِ دُرُّ الْمُتَّعِمِينَ بِمَالِهِمْ
فِي اللَّهِ لَانْزُرًا وَلَا بُمَصْرَدٍ
ظَلَّتْ أَكْفَهُمْ تَحْجٌ قَدِيمَةٌ
مِنْ فَخْرٍ وَغَمَامَةٍ مِنْ عَسَجَدٍ
صَاحِ «الْمُؤَيَّد» أَذْرَكُوا جَرْحَى الْوَعْسَى
فَإِذَا بِهِمْ مِثْلُ الْعِطَاشِ الْوَرْدِ
يتنازعون مدى الفخار وعلانية

(١)

من يحوها يعظم بها ويسود

ويأتينا في قصيدة أخرى بصور عديدة ينبىء فيها عن عاطفته وحزنه لما أصاب "طرابلس" من جرائر «الطليان» ، ويجعل المصاب مصاب الإسلام عامة ، ويتخذ من الهلال شعار العثمانيين دلالة على ذلك ، إذ أصابه الهم ، وكذا الأماكن المقدسة بمكة والمدينة ، ويجعل منها أشياء تحس بعول ماجرى ، واختياره لللفاظ ذات الحركة "مضطرب" ، "منفجر" ، "يخفق" ، "يرقب" ... الخ جعل الصورة حية مؤثرة .

كَيْفَ الْقَرَارُ وَنَارُ الْحَرْبِ تَسْتَعْرِ
وَالهَوْلُ مُضْطَرِمُّ الْبَرْكَانِ مُنْفَجِرُ
وَيْحَ الْعَيُونِ أَيَّغْشَاهَا النَّعَاسُ وَقَدْ
شَقَّ الْهَلَالُ عَلَيْهَا الْحَزْنَ وَالسَّهْرُ

يَبِيتُ يَخْفُقُ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرٍ
 حَزَّانُ يَرْقُبُ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
 رِيحُ الْحَظِيمِ قَامَسَى وَهُوَ مُنْتَفِضٌ
 وَأَقْلَقَتْ يَثْرِبُ الْأَحْزَانُ وَالذِّكْرُ
 أَيَطْرِبُ الْبَيْتُ أَمْ تَبْكِي جَوَانِبُهُ
 حَزْنًا وَيُعُولُ فِيهِ الرِّكْنُ وَالْحَجَرُ (١)

وفى أبيات "محمد عبد المطلب" صور لمجموعة من المعدات القتالية فى حرب طرابلس أيضا إذ يفرد كل عدة بمجموعة من الأوصاف ، يخرج القارئ منها بقدرة الشاعر على جمعها مع تفرد كل عدة عن الأخرى ، فالخيل وجولانها وميلانها على العدو وقدرتها على الإحساس الدقيق ، حتى لتخال أن النامة فى صدورها دبيب عدو مغير فتجيش وتكسر الشكايم من شدة البأس ، والسمر وخوف أبطال العدو المدرعين من بأسها ، وإذا ما التقت الرماح خلعتها شجرا ، وكونت لأمة لنا ، فكاننا آساد فى غيلها .

وهكذا يبنى فى إجلاء عدد من المعدات ، ويظهر مواكبتها للمعصر بذكر "البنادق الموزرية" وأما طولها وقدره رصاصها - كما مر بنا - مما يؤكد مقدرته الشعرية .

وخیلٌ کَلَّمَا جَاءَتْ أَمْسَالَتْ	بجندِ البغى معقله الحمينا
یخلن دبیبا أنفسنا مغیرا	فیكسرن الشکیم وینبرینا
مبترناها على الغارات حینا	ورفناها على النجدات حینا
وسمر کَلَّمَا خطرَتْ أطارَتْ	مخافتها قلوب الدار عینا
نواهل کَلَّمَا اشتجرت علینا	وقمنا تحتها مستلثمینا
رایت الغیل مشتبك الخواحی	على الآساد تسكنه عرینا

وبيض قد خلقت مذربات
بواتك مانصوبهن إلا
إذا نحن انتفضيناها أضاءت
يشطن إذا غمدناهن غيظا
وزرق موزريات كرام
لوامع ماشحذن ولاجلينا
تقط العام أو تغرى الوتينا
من النقع الحنادس والذجون
فياكلن الحمائل والجفونا
موايب لايشطن ولاينينا^(١)

ويأتى "أحمد أبى النجاة" فى حرب اليونان ١٣١٤هـ
بمجموعة من الصور المميزة بتركيبها البيانى برغم كونه من
الشعراء المغمورين ، مما يؤكد ماقرره الباحث ، من أن حركة
الشعر إبانئذ لم تقتصر على الشعراء المشاهير .

وسلخت فجر الشرق من غسق المطا
مع وانتبذت سياسة التتليل
ساقوا جيوشهم إليك تبججا
سوق النعاج إلى أسود الغيل
فتركتهم مرمى تسيل نفوسهم
من كل منهوك القوى مخدول
وملات من أشلائهم حفر الردى
من كل مجروح وكل قتيل
وسقيت روض المجد بعد ذبوله
بدم الغزاة فجادكم بجزيل
أرويت من تلك الدماء أسنة^(٢)
ظماى ولا تروى بغير جليل

فجلى أن الشاعر قد أسند الأفعال إلى غير ما هو لها
"سلخت فجر الشرق" ، "تسيل نفوسهم" ، "ملات من أشلائهم حفر

(١) ديوانه ص ٢٨٦-٢٨٧ .

(٢) ديوانه ص ٧٠ .

الردى" ، "سقيت روض المجد" كل ذلك مما ساعد على جمال الصورة ، لما تضمنه من أخيلة خصبة مثيرة .
 "وشوقى" فى بائيته الشهيرة فى "ممطفى كمال" يصف بأس

الجنود الاتراك ودورهم فى تلك الحرب :

المابرين اذا حلَّ البلاءُ بهم
 كاللَّيْثِ عَضَّ عَلَى نَابِيهِ فِي الثُّوبِ
 والجاعلين سيوفَ العنْدِ أَسْنَمَ
 والكاتبين بِأَطْرَافِ الْقَنَا السُّلْبِ
 قَوَادُ مَعْرَكَةٍ وَرَادُ مَهْلِكَةٍ
 أَوْتَادُ مَهْلِكَةٍ أَسَادُ مُحْتَرَبِ
 وهم كالسَّيْلِ العَرَمِ ، والرياح العوج لم يتركوا مكانا

إلا اتوا عليه :

زَحَفَتْ زَحَفَ اتَى غَيْرِ دَى شَفَقٍ
 عَلَى الْوَهَادِ وَلَا رَفَقٍ عَلَى الْهُسْبِ
 قَذَفْتُمْ بِالرِّيَّاحِ الْعُوجِ مُسْرَجَةً
 يَحْمِلُنْ أَسَدَ الشَّرَى فِي الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ

هَبَّتْ عَلَيْهِمْ فَذَابُوا عَنْ مَعَالِيهِمْ
 وَالتَّلَجُّ عَنْ قُلُوبِ الْأَجْبَالِ لَمْ يَذْبِ

لَمَّا مَدَعَتْ جَنَاحِيَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ
 طَارُوا بِأَجْنَحِي شَتَّى مِنَ السَّرْعِ (١)

فتشبيهم بالليوث تعض على أنيابها فى الثوب يوحى
 بمزيد الإصرار والعزم ، والتفزه عن الخور والوهن ، وهذه
 المعانى من الجملة الفعلية "عض على نابيه فى الثوب" ،
 وهؤلاء الجنود فعالون لاقوالون ، فالسنتهم التى يتكلمون بها

هى سيوف الحديد ، واقلامهم التى يكتبون بها هى اطراف
الرماح ...

وبعد ان انزلوا بعدوهم ما انزلوا ، وصدعوا قلب جيشه
وجناحيه ، طار هذا الجيش باجنحة من الرعب .

والمشاكلة هنا بين جناحى الرعب اللذين طارا بهما
وبين جناحى الجيش نقلة رائعة يستريح إليها المتلقى .

ويوافينا "احمد محرم" بصورة مأسوية عن الجرائم التى
ارتكبها اليونانيون فى تلك الحرب ، فهذه امرأة على صدرها
طفل وسيم ، تلثمه بين الغيلة والغيلة ، اتى الموت على
اهلها ، فلم يعد احد يعطف عليها فتحولت حياتها إلى كدر ،
ولاتريد إلا مايسد رمقها :

وَنَاعِمَةُ الشَّبِيْبَةِ ذَاتِ طِفْلِ	يُضِيءُ وَكَامَةً وَيَرِفُ حِينَا
تَلُوْدٌ بِمَعْدِهِ وَتَلْمَمٌ مِنْهُ	رِيَّاحِيْنَ الرِّيَّافِ إِذَا نَدَيْنَا
دَهَاهَا الْخَطْبُ أَحْمَرُ فِى نَفْسِ	لَبْسُنَ الْمَوْتِ اسْوَدَ إِذَا دُهَيْنَا
فَعَادَ النَّدَى فِى فَمِهِ لَهِيْبًا	وَعَادَ الْمَهْدُ فِى يَدِهَا أَتُونَا
تَشْوَرُ فَلَاتَرِيدُ سِوَى طَعَامِ	وَلَا يَفْقَى الْقَرَى فِى الْمُطْعَمِينَا ^(١)

فهى صورة إنسانية من مخلفات الحروب ومآسيها ، كم
هاجت قرائح الشعراء ، وغمن الكتاب اقلامهم فى مدادها ،
صورة الفتاة الناعمة الندية ، ذات الحسن الوضى ، الجذاب ،
خلفها زوجها الذى استشهد فى الميدان ، وحرك فى حضنها
رضيعا فتح عينيه على صورة اليتم البشعة .

والشاعر فى هذه الصورة يضى عليها من مشاعره وخياله
ما يجعلها اوقع واعمق تأثيرا ، فهى ناعمة الشبيبة ، تلون

بمحمد طفلها الذى يفوق كريحانة ندية ، مما نزل بها مارت
إذا القمته شديها صار لهيبا ، وإذا اقتربت من معده خيل
إليها . أنه اتون يتسعر .

إنها فى حاجة إلى من يعوضها ، فيبذل لها العون
والحنان .

وفى قميدة "السالم بن حميدة" لوحة شعرية عن الجيش
العثمانى فى معارك "طرابلس" ، والتفافه حول الراية
العثمانية ، وهم أشبه حينئذ بالملائكة الكرام فى دفاعهم
واستبسالهم ، وجُلّ تلك الصور بصرية متحركة :

رمىْتُ بناظريَّ إلى ذراه	أسيروا إلى الحقيقة والسلام
فألفينا السماءَ بها صفوُّ	تدوُّدٌ عن الهلال أو الزمام
وقد حُفَّتْ طرابلسُ بطوِّدٍ	به زمر الملائكة الكرام
فخابعتُ الخطى أبغى معودا	إلى الملا العلا وإلى المقام
وملت إلى ذرى فلقيت تركيا	وعربا رابضين إلى الأمام
نظرتُ وجوههم فنظرتُ نارا	مسيرةً بفرط الاحتدام ^(١)

ويمور "محمد فاضل حرب" بمسألة الاتراك يقودهم "مصطفى
كمال" ويشبهه بالليث الظامى ، وإلى هنا والمورة البيانية
عادية ، إلا أنه يفجؤنا بالجمال الحماسية المتخالية ، "هزوا
الحسام" ، "فهللوا وتمايحوا" .

ثم إنهم يهجمون على العدو بعزيمة صادقة ، ثم يعيد
تشبيههم بالأسود إلا أنه يفهم بأنهم جاثعون مما يجعل
هجومهم أسرع وأعنف إذا ما فتكوا بعدوهم .

على أن هذه الصور لاجديد فيها إلا أن العاطفة الإسلامية
التي تخرق فيها تعكس رؤية الشعراء لهذه الحرب ، وأنها

(١) الحركة الأدبية والفكرية فى تونس ص ٨٢ .

حرب دينية ، هدفها إضعاف المسلمين ، وفل غريبهم ، مما
جعلها تعد في مفاك الشعر الجيد .

ريحُ اللالُ وريحُ كلِّ موحِدٍ

فَقَبُوا لِاحْمَدَ غُصْبَةَ الْقَرَّامِ

عقدوا البنودَ لمصطفى وتقدّموا

وكمالُ قائدُهم كليثُ ظامى

هزّوا الحسامَ فعللوا وتمايَعُوا

النارُ أولى بالفجى المقدام

فجمّوا على الأزوامِ هجمةً صادقِ

ماضى العزيمة شابتِ الاقدام

هجموا كأنهم أسودٌ جوعتْ

شعراً على سرج من الاغنام

فتكوا بهم فتكاً دريماً فانثنوا

(١) يعمدون دون رويّة ونظام

ويوافينا "الشبيبي" في الحرب العالمية الاولى بمرور
عديدة لاحدى المعارك الحربية في العراق ، فالجيش اقام ثلاثة
ايام في الخنادق متاهبا لملاقاة العدو ، ولكنه كان خاليا من
الزاد والماء نتيجة لتقمير الولاة ، وإن لم تكن هذه الصور
بمستوى فننى إلا أن جدتها تنبى من مراحتهما في بيان حال
القوات العثمانية في العراق إبان تلك الحرب ، إلى جانب
لغته الجزلة .

جيشٌ أقامَ خلافاً في خنادقها

خالى الحقائق من ماءٍ ومن زادٍ

ماءُ الفراتين موقورٌ وحَبُّهما
 والجنْدُ ملتحاحُ الحشا مَادِ
 عشرون ألفَ مراقيٍّ ومثلُهم
 حمُرُ الحماليقِ من تركٍ واكراد
 مَجْمَرُونَ تجافوا عن ديارهم
 واستبدلوا الوحشَ من أهلِ واولاد
 مكابدون على حالي جفاً ووجىً
 فى الرّحلِ كلفةُ اغذاءٍ وإسناد
 يهاجمون وهمُ رحالةٌ كشفٌ
 فى البرِّ جملةُ اسوار واسداد
 قلّ العدوُّ جناحيهم وقلْبُهم
 من قبلِ تجهيرِ أعوانِ واسداد (١)
 ويخط "احمد محرم" لوحةً فنيةً محسةً لهزيمة الحلفاء فى
 السردنيل والرعب الذى حل بهم من جراء الحصار العثماني
 عليهم ، اذ تعاونت القوات البحرية والبرية على ضربهم .
 فى الدردنيل وفى الجزيرة بمده
 رعبُ المياهِ وروعةُ النيرانِ
 ناران برّحَ بالكثائبِ منهما
 حالان فى العِجاءِ مُختلفان
 هذى تَفِيضُ من البروجِ وهذه
 تنسابُ بينِ اباطحِ وِرعانِ
 البحرُ يفتحُ للبسوارِجِ جوقه
 فحفورٌ من مثنى ومن وُحدانِ

والبَرُّ مُلْتَهَبُ الجَوَانِحِ مُضْمَرٌ
 حَقَّقَ المَغِيظُ ولَوْعَةَ الحَرَّانِ
 شَرِبُوا المَنَايَا الحُمُرُ يسْطَعُ مَوْجَهَا
 بَيْنَ المُرُوجِ الخُفْرِ والغُدْرَانِ
 ترمي بها لَجَجٌ يَظَلُّ شَوَاطِئَهَا
 متدفقاً كمتدفق الطوفان (١)

وقدرة الشاعر التصويرية تتبدى في التراكيب المجازية
 الجيدة "البحر يفتح للبوارج جوفه" ، "والبر ... مضمر حنق
 المغيظ" ، "شربوا المنايا الحمر" .

المحسنات البديعية :

على أن هذه الطبقة الرائدة التي جدت في إقالة الشعر
 العربي من عشرته لمسا عندهم إشارة من الضعف الذي لازالوا
 متأثرين به في أحقاب سلفت من تاريخ الشعر العربي ، إذ أن
 هذه الطبقة استخدمت بعض المحسنات البديعية على اختلاف
 مستوياتهم ، ولا تعد عيباً في حد ذاتها ، ولكن الإسراف فيها
 هو المعيب ، وحسبى أن أدلل على وجود هذه الظاهرة بالأمثلة
 التالية :

"فالبارودي" مثلاً يقول في حرب الروس الثانية :
 (٢) فأنجأها للكاسراتِ معاقلٌ واغوارُها للمعاسلاتِ مسارح
 فنجد كل لفظة في الشطر الأول لها مايقابلها في الشطر
 الثاني ، وتضخيم صورة المكان وما فعل العثمانيون بعدوهم
 قاد البارودي إلى هذه المقابلات .

(١) ديوانه : السياسيات ٣٠٦/١ .

(٢) ديوانه ١٦٠/١ .

أما "شوقي" فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من المقابلة والطباق ، فهو يقول في حرب اليونان ١٣١٤هـ / ١٨٩٧م :

مَلَكْتَ سَبِيلَهُمْ فِي الشَّرْقِ مُضْرِبًا
لجيشك ممدودٌ وفي الغرب مُضْرِبٌ
إِذَا حُلِمْتَ فالشُّرُ وسنانُ حالمٌ
وإن غفبت فالشُّرُ يقظانٌ مُغْضِبٌ
وتصبحُ تلقاهم وتُصَيِّ تمدُّهم
وتظهرُ في جدِّ القتال وتلعب
تلوحُ لهم في كلِّ أَقْفٍ وتَعْتَلِي
(١) وتطلع فيهم من مكانٍ وتغرب

فالتقابل والتطابق بين اللفاظ ، بين الشرق والغرب ، تصبح تلقاهم ، وتمسى تمدهم ، ... سواء كان عن طريق الأفعال أو الأسماء ، أمان على تجهيز صورة الجيش في خيال المتلقي وإيقاظه للمورة بتفاصيلها .

وكذا قوله في حرب اليونان ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م وهو بمدد تموير شجاعة ممطفى كمال كما خيل إليه آنذا .

لم يدرِ قائدُهم لِمَا أَحْطَّتْ بِهِ
(٢) هَبَطَتْ مِنْ مُدَدٍ أَمْ جُنَّتْ مِنْ مَبِيبٍ

فلتخيم دور المفاجأة ومورتها طابق بين "هبطت من معد" ، و"جئت من مبيب" .

ونحوه قول "عبد المحسن الكاظمي" في حرب البلقان :

فإِذَا إِلَى مَدَاحٍ تَطْرُبُ الْوَرَى
(٣) وَإِذَا إِلَى نَوَاحٍ فِي الْمَآثِمِ

(١) ديوانه : الشوقيات ١/ ٤٤-٤٥ .

(٢) نفسه ص ٦٢ .

(٣) ديوانه - المجموعة الثانية ص ١١٠ .

فقد جرحه إما التفصيلية إلى المقابلة بين الشطرين
لتكمل الصورة ، وكذا قوله في تلك القصيدة :

وَنَبْخُلُ بِالظِّلِّ الْيَسِيرِ وَخَصْمُنَا
(١) يَجُودُ بِمَوْبِرِ الْعَارِضِ الْمُتْرَاكِمْ

فللحث على البذل والعطاء نمرة للمجاهدين ، طابق بين
صورة بعض المسلمين المعرفين عن الجهاد بالمال ، وبين
الكافرين الذين يجودون بأكثر ما يملكون .

ويقول "الرمافى" مهوراً جريمة الظليان في حرب طرابلس:
عُدَّتْ تَرْتَمَى فِيهَا عَشِيًّا وَبُكْرَةً
(٢) فَلَا يَا بَسًا أَبْقَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ رُطْبٍ

فقابل لتفخيم آثار الحرب بين "عشياً وبكرة" ، وبين
"يابساً ورطب" .

ويفخر "محمد عبد المطلب" بإبطال الإسلام على مر
التاريخ ليخلص إلى بيان نسبة أهل عمره لهم بطولة وفداء ،
وذلك في "حرب طرابلس" .

(٣) أولئك هم آباؤنا ولأنتم كآبائكم والفرعُ للأصل ينسب
فقابل بين "الفرع والأصل" لبيان تلك الحقيقة .

ويصور في الحرب العالمية الأولى قوة نيران العثمانيين
وانتشارها :

(٤) طَغَتْ نَارُنَا فِيهِمْ فَمَا لِمَغْرَبٍ مِنْ النَّارِ مَنْجَاةٌ وَلَا لِمَشْرِقٍ

فقابل بين "مغرب ومشرق" لتفخيم صورة تلك النيران .
ويربط "أحمد محرم" في حرب "طرابلس" الأحداث التي امت
وتكلم بالمسلمين في بقاع الأرض بسالبية الحرام على أنه

(١) السابق ص ١١٨ .

(٢) ديوانه ٤٧٩/٣

(٣) ديوانه ص ٢٨ .

(٤) ديوانه ص ١٦٥ .

موتلهم ومرجعهم في أحزانهم ومسراتهم ، وهذه الإيماء
الطيبة - وامثالها - تنم على حقيقة عاطفته وولائه لدينه .

أيطربُ البيتُ أم تبكى جوانبه
حُزْنَا وَيُعُولُ فِيهِ الرِّكْنُ والحجرُ (١)

فقابل بين "يطرب ، وتبكي" .

ومن المحسنات البديعية التي تشكل ظاهرة تسترعى
الانتباه عند طبقة الرواد المبالغة التي قد تصل إلى درجة
الغلو .

من ذلك قول "محمود صادق" في مدحه "المصطفى كمال"
وبأن انخداع المسلمين به :

وإنك حامى الدين والمجد والحمى
وحارسُ دِيَاكِ اللّوَاءِ ورائعُ

وجامعُ شمل المشرقين وطالمبا
تفرق^ل دون الشَّئْلِ من هو جامع (٢)

فجميعه لهذه المفات إنما هو من باب المبالغة في
الإشادة به .

وكقول "أحمد محرم" في الموضوع نفسه :

مسيحٌ من بنى عثمان مسحٌ يرينا الحق أسطع واليقينا
مضى يلتمس مكان السوء منهم يُمِته وينزع الداء الدافينا (٣)

فمقارنته بالمسيح عليه السلام غلو لا يقبل مهما كانت
نية صاحبه ، إذ ينبغي أن ينزه الأنبياء عن المؤازرة .

وكقوله واصفا المحاربين الأتراك في تلك المطولة :
خُلِقْتُمْ للجِياذِ وأَرْضَعْتُمْ حُدَى الأمهاتِ مُدَرَّبِينَا (٤)

(١) ديوانه : السياسيات ١٧٩/١ .

(٢) ديوانه ص ١٥٤ .

(٣) ديوانه : السياسيات ٥٧٣/٢ .

(٤) نفسه ٥٨١/٧ .

فلا شك أن هذا من باب التهويل والإغراق في المدح .
 واشد مما سبق تشبيه "الرمافى" "مصطفى كمال" في خطبه
 بالنبي صلى الله عليه وسلم حين قال :
 (١) وتخطبُ في الجموعِ بيومٍ حفلٍ كما خطبَ النبيُّ بيومٍ حجٍّ
 وهى مبالغة مسرفة إذ لم يبلغ الانبياء عليهم السلام
 شأو النبي صلى الله عليه وسلم فكيف "بمصطفى كمال" الذى
 خدع به الشعراء فى غمرة الظلام والفراغ السياسى الذى حل
 بهم من الجيوش النمرانية المتحالفة .
 ومن هذا الباب مقارنة "شوقى" فى تلك الحرب "بخالد بن
 الوليد" حين قال :

اللهُ أكبرُ كم فى الفتح من عجب
 (٢) ياخالدُ الحرك جدد خالد العرب
 ويصف "أحمد محرم" الجنود العثمانية ودورها فى معركة
 "الدردنيل" ويبالغ فى ذلك إلى درجة الإسراف برغم الهزيمة
 التى منى بها الحلفاء فى ذلك الهجوم .
 (٣) لَمَّا تَرَدَّدَ فى "فروق" زئيرُهُ رَجَفَتْ جِبَالُ الصَّيْنِ وَالْيَابَانِ
 إذ أضحى قول "المتنبى" معقولا أمام هذا :
 (٤) ورد إذا ور البحيرة شارباً ورد الفرات زئره والنيل
 ونحو ذلك من الامثلة الظاهرة عند هذه الطليقة .

(١) ديوانه ٤٣٨/١ .
 (٢) ديوانه : الشوقيات ٥٩/١ .
 (٣) ديوانه : السياسيات ٢٠٦/١ .
 (٤) ديوانه : شرح العكبرى ٢٣٨/٣ .

الفصل الثانى

ظواهر مشتركة

- * المنزع التاريخى .
- * النزمة القممىة .
- * الأساليب الإنشائية .
- * المعارضات .

المنزعة التاريخية :

إن كان يحمل بعض النقاد المحدثين على الشعر الوثائقي ويعتبرونه من قبيل النظم التعليمي ، فإن منه ما يحمل إشارات تاريخية لاتنفص من قيمته ولاتذهب بجماله ، إذ هو تسجيل للحرب بروح الشعر ، وقد يطنى فيه جانب الخيال على الحقيقة التى هى نشدان المؤرخ ، ولكنه يبقى شذرات هنا وهناك لايمكن أن تظمص .

تسجيل أسماء الوقائع والأماكن التى دارت رحى الحرب فيها ، كذا أسماء القادة والمعارك والملوك والسلاطين مما قد يساعد المؤرخ على تلمس بعض القضايا التى قد يغفلها مسجلو الأحداث التاريخية ، وقد يساعد الشعر على فك بعض الرموز التاريخية وحلها ، وهذا فى حد ذاته يعتبر جانبا مهما مما يؤكد دور الشعر فى هذا الجانب التاريخي .

فتسجيل أماكن الصراع يعتبر معلما تاريخيا بل وجغرافيا :

فلقد حرص بعض شعراء هذه الحقبة على تسجيل بعض أماكن الصراع وإن وجدوا بعض العنت فى إخضاعها للوزن العربى لأن بعضها يخالف أقيسة الكلمة العربية :

"فشوقى" ذكر أماكن كثيرة فى قصيدته فى حرب اليونان ١٣٥٤هـ / ١٨١٧م نحو "ملونا" و"فرسال" و"طرناو" و"دموقو" :

جبال "ملونا" لاتخورى وتجزعى

إذا مال راس أو تضعع منكسب

و"طرناو" إذ طار الدّهل بجيشها

وبالشّعب فوضى فى المذاهب يذهب

و"فِرْسَالٌ" إِذْ بَاتُوا وَبَحَنَّا أَعَادِيَا
عَلَى السَّهْلِ لَدَا يَرْقُبُونَ وَنَرْقُبُ

.....
وَحَمْنٌ تَسَامَى مِنْ "دُمُوقُو" كَأَنَّهُ

(١)
مَعَشَشُ نَمِرٍ أَوْ بِهَذَا يَلْقَبُ

بل إن هذه القصيدة تعتبر علامة بارزة في شعر الحرب في
هذه الحقبة لأنها تناولت بعض المعارك بشكل تفصيلي لانجده
أصلاً في كتب التاريخ التي منح لى الاطلاع عليها .

ويقول "أحمد نامى" فى تلك الحرب أيضا :
ونخبةٌ من بریطانيّا، محتكةٌ

كذا "سُمُولِيَسْكِي" مارشال "سَيَدَان"

بِأَلِّهِ مَلْ يَا امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدَعِ

(٢)
هم يستغيثون بِإِفْرَتْسِ وَطَلِيَانِ

وكقول "محرم" فى تلك الحرب :

"أَلَمْتُ "بَلَارِيْسَا" فَحَلَّ رَبِوَعْمَا

عَذَابٌ إِذَا مَا اسْتَمَرَّخَتْ لَحْ وَأَصْبَه

وكقول "شوقى" فى حرب البلقان مخاطباً "أدرنة" :

(٣)
مَبْرَأُ أَدْرَنَةِ كُلِّ مَلِكٍ زَائِلٌ يَوْمًا وَيَبْقَى الْمَالِكُ الْعَلَامُ

ونحو قول "الرَّصَافِي" فى تلك المدينة :

(٤)
أَدْرَنَةُ مُهْلَا فَإِنْ الظُّبَى سَتَرَعَى لَكَ الْعَمَدُ وَالْمَوْشَقَا

و"خَيْرَى الْهَنْدَاوَى" فى تلك الحرب أورد اسم مدينة

"سُلَانِيَك" :

(١) ديوانه : الشوقيات ١/٤٩-٥٥ .

(٢) ديوانه ص ٧ .

(٣) ديوانه : الشوقيات ١/٢٣٨ .

(٤)

(١) ذهبت "سُلَانِيكُ" الغداة مضاعاً فتَنَكَّست لذهابها الاعلام
إلى غير ذلك من الأماكن التي يكثر ذكرها هنا عند شعر
الحرب مما يعد ظاهرة وجب الإشارة إليها .

أما بالنسبة للجانب الآخر ألا وهو ذكر أسماء القادة
سواء من قواد المعارك المتعلقة بهذا البحث أو ممن له دور
في التاريخ الإسلامي ، فإننا نلاحظ استلھام بعض الشعراء لعدد
وافر من الشخصيات ، فالمعجم الشعري لحروب هذه الحقبة ملئ
باسماء وكنى وألقاب شتى .

فأسماء القادة "عثمان باشا" و"أدهم باشا" و"أنور
باشا" ، ناهيك بأسماء السلاطين العثمانيين ، إلى غير ذلك
وردت بكثرة من ذلك قول "حمزة الفقى" في الحرب الروسية
الثانية :

و"عثمانُ باشا" قطبُ كلِّ كتيبةٍ
(٢) يناديكمو هل من مُنجد ومجير

وكقول "عبد الجليل براده" في حرب اليونان ١٨٣١هـ /
١٨٩٧م :

وأدهمُ بالدهم الجيادردهامو
(٣) فحاموا كحمر الوحش مادفها نمر

وكقول "محمد مهدي البصير" في الحرب العالمية الأولى
خارج الوطن العربي :

(٤) كم ظلمةٍ للظلم أنتِ جلوتها وبخورِ عدوكِ اشُرقتِ يا أنور
وكقول "أحمد شوقي" في حرب اليونان ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م في

(١) خيرى الهنداوى حياته وشعره ص ١٩١ .
(٢) جريدة مصر عدد ٢٧ ، ١٨٧٧م .
(٣) حلية البشر ٨٢/٢ .
(٤) الشعر العراقى الحديث ص ٩٩ .

"عممت باشا" :

اتاهم منك في "لوزان" داهية^١
جاءت به الحرب من حياتها الرقب
أصم يسمع سر الكائدين له
ولا يفريق بجهل المحنق^(١) المحنق

وأما استلهام اعلام التاريخ الإسلامى فى شعر الحرب ،
وما يوحى به من حنين لإظهار مجد الإسلام ، وذكر عظمائه للناسي
والاقتداء ، فموجود بكثرة كعمر وعثمان وعلى وخالد وحمزة
وغيرهم رضوان الله عليهم .
"فخالد بن الوليد" ورد ذكره مرات عديدة مقرونا
بالبطولة والشجاعة .

يقول فيه وفى حمزة بن عبد المطلب "وفى الله عنهما
"أحمد محرم" فى حرب اليونان ١٣١٤هـ / ١٨٩٧م :

كتائب من أقوامنا خالدية^٢ وما الحرب إلا "خالد" وكتائبه
"حمزة" حد منه غير مكذب وحد سيف الله شتى مناقبه^(٢)

وكذا قول "محمد عبد المطلب" فى حرب طرابلس :
كذلك سيف الله إما نفيته^٣

على الكفر لا ينبو لحديه^(٣) مفرب

وكقول "شوقى" فى حرب اليونان ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م :

الله أكبركم فى الفتح من عجب
يا "خالد" الترك جد "خالد" العرب^(٤)

ونحوه قول "أحمد محرم" فى الحرب العالمية الاولى خارج

(١) ديوانه : الشوقيات ٥٩/١ .
(٢) ديوانه : السياسات ٣٨/١ .
(٣) ديوانه ص ٢٨ .
(٤) ديوانه : الشوقيات ٥٩/١ .

الوطن العربي يصف بسالة الجيوش العثمانية في "الدردنيل" :

جيشٌ يسيرُ به النَّبِيُّ وحولُه

جندٌ من الملائكِ بينَه العُمران

يَهْتَزُّ "عمرو" في اللّواءِ وخالدٌ

(١) ويمور "حيّدره" بكلِّ مَنان

(١) ديوانه : السياسيات ٣٠٣/١ .

النزعة القصصية :

قصيدة الحرب قصة في ذاتها لما تحويه من الحديث من المعارك وصفاتها وسير الأبطال والمزائم ، وأشار الحروب المدمرة .

ولا يعنىنى الوقوف عند هذه الجوانب بعد أن اشرت إليها في ثنايا البحث ، ولكن الذى يعنىنى هو الإشارة إلى أن بعض الشعراء مقدوا قصائد مستقلة ، وآخرين في ثنايا بعض القصائد ، وكانت المرأة عنصرا مهما دار حولها هذا القصص ، وما أجروه على لسانها بشكل حوارى سواء على شكل رمز هدفه التفجع على ما آلت إليه مدن الدولة من ضياع وخراب ، أو بقصد إظهار بطولة بعض النسوة ، وما أبدينه من شجاعة .

"فأمين ناصر الدين" - كما مر بنا - ينظم قصيدة في جزيرة "كريت" جعل الجزء الأول منها على لسان فتاة كريتية تستنطق همم العثمانيين لاستنقاذها ، بينما أدار الجزء الثانى على لسان فتى يلجى نداء تلك الفتاة ، ويطمئنهما إلى أن صرختها لن تذهب سدى .

فكان هذا الشكل الحوارى مع سرد بعض الأحداث ، إذ يبدأ المقطع الأول على هذا المنوال :

أَيْمَلُكُنَى الْيُونَانُ وَالْحَرْكُ تَنْظُرُ
وَلِلْعُرْبِ أَسْيَافُ بِهَا الْغَيْدُ تَخْفُرُ

.....

بَنَى الْعُرْبُ وَالْأَتْرَاكُ أَيْنَ حَمِيَّةً
يُرْوَعُ الْعَدُوُّ مِنْهَا الْلُظَى الْمَتَسَعِرُ
وَإَيْنَ الْمَنَاءِ الْجَمُّ وَالْهَمُّ الْحَى
غَدَّ دَوْنَهَا الشَّعْبُ الْخَوَاقِبُ تَصْعَرُ

.....
 وَاَيْنَ نَفْسٍ مَّا فَتَمُنُ إِلَى الْعِلَا
 طَوَامِحُ قِيَمِنُ الْإِبَاءِ الْمُوقِرُ

.....
 أَسَى وَلِي مِنْكُمْ حِمَاةٌ وَلِلوَرَى
 عِيُونٌَ إِلَى شَعْبٍ "ابن عثمان" تَنْظُرُ
 أَحْيَيْنَ غَدَتُ تَرْكِيَّةَ وَهَى حُرَّةَ
 يَخَالُ الْعَدَا رَقَى فَلَا اتَحَرَّرُ
 السُّتْمُ بَنَى قَوْمٍ أَرَاقُوا دِمَاءَهُمْ
 لِأَجْلِ وَشَارِي الْمَجْدِ بِالْذَّمِّ يُشْكِرُ

.....
 فَمَنْ لَمْ يَغُبْ فِي الشَّعْبِ يَدْعُو لِلنَّصْرَةِ
 فَذَاكَ لِعَمْرِى الْخَائِنِ الْمُتَنَكَّرِ
 بَيْنَمَا يَأْتِي الْمَقْطَعُ الثَّانِي عَلَى شَكْلِ جَوَابِ لَذَلِكَ
 التَّسْأُولِ :

رَوَيْدَكَ يَا حَسَنَاءُ إِنَّا لَأَمَةٌ
 دِمَاءُ بَنِيهَا الْمَيِّدِ دُونَكَ تُهْدَرُ

.....
 سَلَحْمِيكَ يَا حَسَنَاءُ مِنْ كُلِّ مَعْتَدٍ
 بِبِئْسَ لَهْ خَدُّ الْعَزِيزِ يَمْعَرُ
 سَنَحْمِيكَ مَا دَامَتْ ظُبَانَا مُوَاضِيَاً
 وَمَا حَمَلْتُ مِنَّا إِلَّا شَاوِمَ ضَمَرُ
 فَشِيمَتُنَا صَوْنُ الْعِذَارَى وَشَانُنَا
 صَدَامُ الْأَعَادَى كُلَّمَا شَارَ عِخْرُ
 أَظَنَّ بَنُو الْيُونُسَانِ أَنْ سَيُوقَفَا
 تَحْلُمُنْ أَمْ أَضْنَى عَلَيْهَا التَّأَخُّرُ

الْمُ يَذْكُرُوا بِالْأَمْسِ مَا كَانَ بَيْنَنَا
عَلَى حِينٍ خَمْنَا الْمَوْتَ وَالْمَوْتَ يَزْفِرُ

.....

إِذَا نَحْنُ لَمْ نَحْمِ الدَّمَارَ قَلَّا بَدْتُ
لَنَا فِي سَمَا الْعُلْيَا كَوَاكِبُ تَزْهَرُ (١)

بيننا نجد "خيرى الهنداوى" فى حرب البلقان ينظم قصيدته التى سميت "فتاة ملانيك" ينظمها على شكل قبة ويجرى فيها حوارا جذابا بين فتى وفتاة ، كانا يعيشان فى انعم حال واهدا بال ، فيدهمهما العدو فيعكر صفو عيشهما ، ويتبادلان أجمل كلمات الود والوفاء فى لحظة يبين فيها الفتى ان ليس بد من القتال حتى الشهادة ، وكان الامر كذلك إذ تاتيه رماصة وهو فى طريقه لمنازلة العدو فيخر سريعا على مرأى من فتاته ، فتحزن أشد الحزن عليه . ويمضى الشاعر على هذا الشكل إلى أن يختم القصيدة بالهدف الذى من أجله نظم القصيدة ، إذ تمرخ الفتاة مرعوبة فيلتف العدو عليها ويأخذها أسيرة مقيدة .

كَمْ رَوَّعْتَ فِي سَاحَتِيكَ لَدَى الْوُغَى
خَوْدٌ وَكَمْ لَفَظَ الْحَيَاةَ غَلَامٌ
عَاشَا زَمَانًا فِي بُلْهَنْيَةِ الْمُبَا
غَرِيرَيْنِ لَمْ يَزَعْجَهُمَا التَّمَامُ
لَمْ يَسْمَعَا غَيْرَ الْمَدَافِعِ ضَحْوَةَ
فَحْسَارَعَا فَإِذَا هُنَاكَ زِحَامُ

.....

(١) جريدة العدل أساس الملك عدد ٧ ، ١٣٢٧ هـ .

رجعا وقد أخذ العدو عليهما
سبل الرجوع وليس ثم تمام

.....
أسماء إلهنا ألكا ميت فتأملنى

هل تذكرينى والعظام رمام
ويختتم المقطع القمى بقوله :
مرخت بأعلى موتها مرعوبة
فالتفت حول صراخها الأقوام

أخذوا الفتاة أسيرة لأميرهم
تدعو الكرام وما هناك كرام
يا هذه كفى الدماء فقومنا

(١)
لو تعلمين عن الدعاء نيام

ونلاحظ أن الشاعر هنا كان متشائما في خاتمته على عكس
"أمين ناصر الدين" .

ومن الجوانب القومية في قصيدة الحرب هنا ما عرض له
"أحمد شوقي" في حزب اليونان ١٣١٤هـ / ١٨٩٧م أبان فيها عن
بطولة المرأة التركية في تلك الحرب ممثلة فيمن أسماها
"زينب" .

وكذا الشجاعة التى أبداها الكهول الاتراك ممثلين في
الحاج "عبد الأزل" ، فساعد هذا الجانب الفنى على تماسك
موضوع القصيدة برغم طولها .

إذ يبدأ على لسان تلك المرأة بوصف الجيش العثمانى
وبطولته ، والعلاقة التى تجمع المسلمين ببعضهم البعض -
ثم يتحدث عن دور المرأة التركية ، متسائلا بادية الأمر

(١) خيرى الهنداوى حياته وشعره . ص ١٩١-١٩٢ .

عندما رأى شبحاً يعصف بالعدو ولم يتبينه ، ثم يحاكد له انه
- زينب - ويدير حواراً بينه وبينها تؤكد هي فيه ان من
واجبها الدفاع عن ديارها . ويبدأ الحديث عنها بقوله :

تَحذِّرُنِي مِنْ قَوْمٍ هَا التَّرِكُ زَيْنَبُ
وتعجم في وصف الليوث وتعرب
وتكثير ذكر الباسلين وتثني
بعز على عزّ الجمال وتعجب

.....

وماراعنى إلا لواءٌ مَخْضِبٌ
هناك يحميه بَنَانٌ مَخْضِبٌ
فقلت من الحامى اليك عَفْوَ
من الحرك هارِ آمَ غَزَالٌ مُرَبَّبٌ

.....

إذا ما الديارُ استمرخت بَدُرَتْ لها
كرائمٌ منا بالِقِنَا تَنَقَّبُ
أما الحاج "عبد الأزل" الرجل الطاعن في السن يمجبه
جواد متموس في الحرب ، وكيف تعامل العدو معه لما أبداه من
بسالة ، فيمطره بوابل من الرصاص .
ثم يدخل الشاعر شخماً ثالثاً يحاور ذلك البطل المعجوز
يشير عليه بترك الفرس لينجو بنفسه ، ولكن للعلاقة التي تربط
بينهما يؤكد إخبار الموت معه على الحياة بعده ، إلى غير
ذلك من الجوانب التي زادت من حرارة الجانب القصصى في هذا
المقطع مما عرفت له في بابهِ :

(١) لعل اختيار الشاعر لهذا الاسم فيه إيحاء إلى الفروسية
العتيدة والمجد الخليلد اللذين تمتع بهما الفارس
التركي .

وَاشْمَطَ سَوَّاسِ الْخَوَارِسِ أَشْيَبُ
يَسِيرُ بِهِ فِي الشَّعْبِ أَشْمَطُ أَشْيَبُ

ويختمه بقوله :
أَيَحْمَلُنِي عَمْرًا وَيَحْمِي شَبِيبَتِي
وَإِخْذُلْهُ فِي وَهْنِهِ وَأُخَيِّبْ
إِذَا نَحْنُ مَتْنًا فَادْفِنُونَا بِبَقْعَةٍ
يُظَلُّ بِذِكْرَانَا شَرَاهَا يُطَيَّبُ (١)

أما "محمد فاضل حرب" قيدور حديث بينه وبين ابنته في
قميدة له في حرب اليونان ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م إذ تساله عن سبب
ذهوله وجريان دمومه :

فجيبها أنه يبكي على الأبطال الذين ذهبوا للذود عن
حمى الإسلام ، ويمس بطولسة الأتراك بقيادة "مصطفى كمال" ،
ويبشر ابنته بأن الله أعز دينه بظهور القائد التركي - حيث
كان ممن خدع ببطولاته الممنوعة - على أن هذا الدور للمرأة
في القميدة الحربية بالأسلوب القصمي عند هذا الشاعر لم يكن
ليرقى إلى مستوى الشعراء السابقين سواء من جهة النفس
الشعري ، أو الصورة الشعرية ، أو الحبكة القصمية وإنما
أشرت إليه هنا لتأكيد تنامي هذا الجانب عند عدد من
الشعراء مما يشكل ظاهرة استرعت انتباهي .

قالت ودادُ وقد راتني باكياً
لِمَ تَبْكُ يَا ابْنَتِي بِدَمْعِ هَامِسِ
أُبْتِي قَدْتُكَ النَّفْسُ هَلْ بِكَ عِلَّةٌ
أَمْ أَنْتِ تَشْكُو حَادَثَ الْإِيَّامِ

إِنْ كَانَتْ الْأَوَّلَى دُمُوتٌ طَبِيبُنَا
 فَعَسَاهُ يَدْقَعُ مَادِي الْأَسْقَامِ
 أَوْ كَانَتْ الْآخَرَى فَلَاتَحْفَلُ بِهَا
 فَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ كَالْأَحْلَامِ
 فَاجِبَتْهَا أَبْكَى عَلَى قَوْمٍ مَشُورًا
 (١)
 لِلْمَوْتِ كَيْ يَحْمُوا حِمَى الْإِسْلَامِ

وليس الغرض بيان مواقف المرأة في شعر الحرب بطولية
 ومأساة فذلك أيضا موجود بكثرة عند شعراء آخرين "كأحمد
 محرم" في حرب اليونان ١٣٤٠هـ/١٩٢١م إذ تحدث عن دور "خالدة
 أديب" التركية ، وكذلك "مبد الرحمن البنا" في الحرب
 العالمية الأولى داخل الوطن العربي ، وإلى غير ذلك من
 الإشارات عند بعض الشعراء مما أشرت إلى بعده في ثنايا هذا
 البحث .

ولاريب أن النزوع إلى الشعر القصصي في شعر الحرب الذي
 ظهر آنذاك مرده إلى وجود تيار قوى للقصص المترجم ، وجنوح
 كثير من الكتاب العرب إلى مجارات القصة الأوروبية في نسقها
 وتكوينها ، وطريقة الحوار فيها ، واعتبار المرأة عنصرا
 أساسيا فيها .

ولم يعد غريبا أن يجارى الشعراء الكتاب في هذا اللون
 الأدبي ، لاسيما بعد أن كثر الاطلاع على الشعر الأوربي وما فيه
 من قصص شعري ، وكان الشاعر "خليل مطران" واحدا ممن دعوا
 إلى هذا الاتجاه ، وتبنى ذلك في مجلته "المجلة المصرية" إذ
 حملت دعوة صريحة لهذا القصص الشعري بل نُشرت نماذج متعاقبة
 (٢)
 من الأقاصيص الشعرية .

(١) شعراؤنا الضباط ص ١٣٩ .
 (٢) انظر : الصحافة الأدبية بمصر إلى سنة ١٩١٤م ، رسالة
 ماجستير لم تنشر ، د. محمود عبد ربه فياض .

الاساليب الانشائية :

إن خوض الشعراء بلسانهم معترك الحرب يجعلهم يستظهرون في قصائدهم بعض اساليب انشائية كالامر والاستفهام والنداء ، والتي تؤدي دورا مهما في تحريف المثلث واستشارته ، التي هي من صميم وظيفة قميدة الحرب .

لذا فإن شعراء الحرب هنا استخدموا هذا الجانب الاسلوبى وشاع في قصائدهم .

فالامر مثلا ورد كثيرا في شعر الحرب في هذه الحقبة ، فهذا "عبد العزيز الغشائي" يدعو الملك "المنصور" أن يجرد الجيوش لاستعادة الاندلس :

أوطىء جيوشك أرض اندلس
فقد نذرت تطيعك كي يوقى نذرها
واحمد رؤوس المشركين بها فقد
أن الحصاد لها وأرطب بسرهما
واملك جميع الأرض على وراثة^(١)
وإليك بالفتح يسند أمرها^(٢)
وكنول "أحمد فارس الشدياق" في الحرب الروسية الاولى

١٢٦٩هـ - ١٨٥٣م :

فالقوهم بهما كفاحا تظفروا
وعليهم مولوا وطولوا وانفروا
واغزوهم بحرا وبرا واحشدوا^(٢)
ركبا وفرسانا ونسرحهم انسروا

(١) روضة الآس ص ١٢٣ .

(٢) الساق على الساق ص ٦٥٤ .

وظاهر أن الشاعرين محرضان ، ولكن لمعقهما الفنى اتت
 الاوامر على شكل الفاظ مرسومة بعيدة عن روح الشعر .
 ولكن لو نظرنا مثلا إلى قول "شوقى" لرأينا كيف ادخل
 الحكمة فى الدلالة على دور القوة فى حرب اليونان ١٣١٤هـ /
 ١٨٩٧م وإسداء النصح والإرشاد مع المحافظة على تلازم الالفاظ
 وتماسكها .

وما السيفُ الا آيةُ الملكِ فى التَّوَرَى
 ولا الامرُ إلا للسَّدى يتغلب
 فادَّب به القومُ الطُّفَّاةَ فإنه
 لنعم المربى للطفَّةِ المؤدَّب
 ودأب به الدُّولات من كلِّ دائِمْ
 فنعم الحسامُ الطبُّ والمُتَطَبُّ (١)
 ويحذر "عبد المحسن الكاظمى" الامة من كيد العدو ، وان
 اتساع رقعة الدولة وبعدها عن العاصمة قد يؤدى إلى استغلال
 العدو لها وذلك فى حرب البلقان حين قال :
 خذ الحذر من ناي التَّخوم ونَبِّهوا
 طُبَّاكم إلى كيد العدو المتأخم
 أريشوا سهامُ الموت واستهدفوا لها
 قلوباً براها الحِقْدُ غيرَ رَوَّاحِم (٢)
 ويقول "محمد عبد المطلب" معرضا بمباركة "البابا"
 للمهجوم الإيطالى على طرابلس :
 سلوه أفى الإنجيل للحرب آيةُ
 إذا كان فى إنجيله ليس يكذب

(١) ديوانه : الشوقيات ٤٢/١ .

(٢) ديوانه ١١٧/٢ .

سلوا جنة البابا بماذا تزيّنت
 لخلقى الاولى فى لجة الحرب غيبوا (١)
 ويعبر "محمود صادق" عن عاطفة صادقة بعودة مدينة
 "ازمير" إلى الاتراك فى حرب اليونان ١٣٤٠هـ - فیدعوها قائلا :
 ازميرُ هبى عانقِ الشرق طالما
 لاجلك امُنَّته النوى والوجائع
 تعالى تعالى اسعدينا فرانما
 غرامك اقوى ما احتوته افالاع
 تعالى فتاة الشرق والدرّة التى
 يعالجها عن مغرق الشرق نازع (٢)
 ويقول "الرصافى" داعيا إلى مساعدة الخلافة العثمانية
 فى الحرب العالمية الاولى :
 ياقوم إن العدو قد هاجموا الوطننا
 فانفوا الموارد واحموا الامل والسكنا
 واستنفروا لعدو الله كل فتى
 ممن نأى فى اقاصى ارضكم ودنّا
 واستقتلوا فى سبيل الذود عن وطن
 به تقيمون دين الله والسّنن (٣)
 واما الاستفهام والنداء فهما يكشران أيضا فى قصائد
 الحرب هنا وجلى انهما يؤديان دورا كبيرا فى استلهاف الهمم
 لمداغة العدو ومقاومته .
 فهذا "اليوسى" فى حروب الدولة فى المغرب يحرض اهل
 المغرب على الجهاد ، وينادى اهل الاندلس بالذات مستجيشا

(١) ديوانه ص ٣٠ .
 (٢) ديوانه ص ١٥٨ .
 (٣) ديوانه ٤٨٩/٢ .

عواطفهم لاسترداد بلادهم :

يا أمة المختار أحمد شَمِّروا
لِقِتَالِ مَنْ هُوَ بِالنَّبِيِّ مَكْذِبُ
يا أهل اندلسِ المِ تَسْتَخْرِجُوا
مَنْ أَرْضَكُمْ وَدِيَارَكُمْ أَوْ تَنْكَبُوا
هَلَّا انْتَصَرْتُمْ مِثْلَمَا انْتَصَرَ الْعَدُوُّ
هَلَّا تَحَزَّبْتُمْ غَدَاةَ تَحَزَّبُوا
هَلَّا جَعَلْتُمْ فِي نَحْوِهِمْ الْقَنَّا
وَدَعَوْتُمْ رَبَّ الْعِبَادِ يَتَقَلَّبُوا
أَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْحِفَاطِ وَأَنْتُمْ
عَرَبٌ وَلِلْعَرَبِ الْحِفَاطُ تَنْسَبُ (١)
ويقول "حمزة الفقى" داعيا إلى القتال في الحرب

الروسية الثانية :

أَنَادَى لِيُوْتُ الشَّرْقِ يَا عَمْبَةَ الْحَقِّ
وَيَا مَنْ إِلَيْهِمْ بِالْكَمَالِ أَشِيرُ
أَفِيكُمْ فَتَى يَمْخُو عَنِ الدِّينِ عَارُهُ
لَهُ اللَّهُ يُجْزَى وَاللَّهُ شُكُورُ
فِيَانْخَوْهُ الْإِسْلَامُ هُزَّى رَجَالُنَا
وَيَا غَيْرَةً لَا يَمْتَرِيكَ فَتُورُ (٢)
ويعقد "أمين ناصر الدين" - في قميدته التي قالها
بمناسبة احتلال اليونان لجزيرة "كريت" ١٣٢٧هـ / ١٩٠٨م - عددا
من الاستفهامات محرفا على استرجاع تلك الجزيرة المهمة من
يد اليونانيين ، فيبدأ القميدة بأداة الاستفهام حين قال :

(١) الأدب المغربي ص ٤٦٢ .
(٢) جريدة مصر عدد ٢٧ ، ١٨٧٧م .

ايملكنى اليونان والترك تنظر
 وللعرب اسياك بها الفيد تخفر
 ثم يسترسل في ايراد عدد من الاستفهامات :
 بنى العرب والاتراك اين حمية^(١)
 يروع العدائنها اللظى المتسفر
 واين السناء الجم والعمم التى
 فدت دونها الشهب الجواقب كصفر
 واين نفوس ماقتلن الى العلا
 طوامع فيهن الالباء الموقر
 واين مواضع تنقضيها اكفكم
 فيبدو عليهن الحمام المصور^(٢)
 ويدعو "احمد محرم" فى حرب طرابلس الى الوحدة لمد
 العدو منكرا الاذمان للبغاة ، مادام الترك والعرب امة
 واحدة .
 انذعن للبغى ونعطيهم حكمه
 وفى الترك مقدم وفى العرب حازم
 وكيف نطيع العادلين وترتقى
 ايننا وشايات المدى والثمان
 انصدع ركن الدهر من بعد مارسا
 وقرت اواسيده بنا والقوائم^(٢)
 ويتساءل "حافظ ابراهيم" سؤال المحزون المتذلل لله
 بمناسبة سقوط "ايا صوفيا" بيد الحلفاء فى الحرب العالمية
 الاولى :

(١) العدل اساس الملك عدد ٧ ، ١٣٢١ هـ .

(٢) ديوانه : السياسات ٢٠١/١ .

أَيُّرُضِيكَ أَنْ تَفْشَى سَفَابُكَ خِيْلَهُمْ
حِمَاكَ وَأَنْ يُمْنَى الْحَطِيمُ وَزُمُزَمُ
وَكَيْفَ يَسْذُلُ الْمَمْلُومُونَ وَبَيْنَهُمْ
كِتَابُكَ يُحْلَى كُلُّ يَوْمٍ وَيُكْرَمُ (١)
وَيَسْتَنْهَضُ "مَبْدَ الرَّحْمَنِ الْبَنَّا" الْعِرَاقِيِّينَ لِمَقَاتِلَةِ
الْإِنْجِلِيزِ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ حِينَ قَالَ :
بَنَى الْعِرَاقِيِّينَ لَا تَنْحَطُّ هَمَّتُكُمْ
فَرُبُّ بَارِقَةٍ تَجْلَى بِهَا الظُّلُمُ
بَنَى الْعِرَاقِيِّينَ حَلَّ الْخَصْمِ سَاهَتُكُمْ
وَفِي حِمَاكُمْ لَهُ مَرَعَى وَمُقْتَنَمُ
وَكَيْفَ يَهْنَأُ لَكُمْ عَيْشٌ بَارِئُكُمْ
وَالْإِنْجِلِيزُ لَهَا يُرْسِي لَعْمُ قَدَمُ (٢)
وَبَنَاءٌ عَلَى مَا سَبَقَ مِنَ الْأَمْثَلَةِ وَغَيْرِهَا اخْتَصَحَ دُورَ الْأَسَالِيبِ
الْإِنْشَائِيَّةِ فِي شَعْرِ الْحَرْبِ وَأَنْ جَلَّهَا تَحْرِيسٌ عَلَى الْإِسْتِيسَالِ
وَالْمَقَاوِمَةِ .

(١) ديوانه ٨٩/٢ .
(٢) الشعر العراقي الحديث ص ٨٢ .

المعارضات الشعرية :

من الظواهر اللاحقة للنظر في شعر حقبة الانبعاث كثرة المعارضات الشعرية ، وبشكل أظهر في شعر الحرب ، ولا يغير الشعراء ذلك ، فقد اتخذ شعراء البعث الشعر العربي القديم نهجا يهتدون به .

والمعارضة تعنى : " أن يقول شاعر متأخر عن شاعر متقدم في الزمان قصيدة مشابهة لقصيدته بالغرض والموضوع ، مع الالتزام بالوزن والقافية وحركة الروى وعندها تكون المعارضة تامة ... وقد يكون في الموضوع اختلاف وانحراف يسير أو كثير ... فهي معارضة ناقصة " ^(١) . وهي بهذا المفهوم كانت سائدة منذ شعراء الحرب هنا .

وتفاوت الشعراء فيما بينهم في معارضة الآخرين ، كذلك نجد بعض القصائد ذات حفر قوى عند مجموعة كثيرة من الشعراء ، نظرا لقوة القصيدة المعارضة في الحدث والمعنى . ولعل نظرة إلى قصيدة الحرب في هذا الوقت ، تظهر بجلاء مدى تاثر شعرائها بقصائد الشعراء السابقين .

وقد بدا للباحث أن قصائد الشعراء العباسيين الكبار هي أكثر حفورا وأكثر في قصيدة الحرب التي بين أيدينا ، مما يدل على كثرة النظر فيها ، وكونها صادرة عن شعراء كبار لهم وزنهم في شعر العربية جودة معنى وأداء أسلوب . ومن خلال هذا البحث وجدت أن باثية أبي تمام الشهيرة :

(١) تاريخ المعارضات في الشعر العربي ص ١٣ ، ط/مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ ، د. محمد محمود قاسم نوفل .

السَّيْفُ اِصْدُقْ اَنْبَاءً مِنْ الْكُتُبِ
(١) فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

من اكثر القمائد دورانا في المعارضة الشعرية كأنها
(٢) راية مرسومة ابدا على قمة عالية في التاريخ وفي الشعر ،
فهي لوجودتها وفنيتها في الذروة من الشعر العربي ، ناهيك
بان مناسبة القصيدة في حد ذاتها ، والانتصار الذي حمل
للمسلمين في "معمورية" جعلتهم يتعلقون بها على مر العصور
قادة وعامة ومتأدبين .

فيعارضها "أحمد شوقي" في قصيدته المعروفة في حرب
اليونان ١٩٢١هـ - ١٩٢١م :

اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ فِي الْفَتْحِ مِنْ عَجَبِ
(٣) يَا خَالِدَ التَّوَكُّلِ خَالِدُ الْعَرَبِ

فيستعير الوزن والروي ، بل وينظر إلى كثير من
معانيها وصورها ، فقوله :

يَوْمَ "كَبِدِرٍ فَخِيلُ الْحَقِّ رَاقِمَةٌ"
على الصَّعِيدِ وَخِيلُ اللَّوِّ فِي السُّحُبِ

عُرِّ تَظَلَّلَهَا غُرَاءُ وَارْفَةٌ
(٤) بِدَرِيَّةِ الْعُودِ وَالذَّيْبَاجِ وَالْعَذَبِ

فقد ولَّده من قول أبي تمام :

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رُحْمِ
مَوْصُولَةٍ أَوْ زِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي تُمِرَّتْ بِهَا
(٥) وَبَيْنَ أَيَّامٍ بَدُرَ أَقْرَبُ النَّسَبِ

(١) ديوان أبي تمام ٤٤/١ .
(٢) دراسات في النظم الشعري العصر العباسي ص ١٩ .
(٣) ديوانه : الشوقيات ٥٩/١ - .
(٤) نقضه ٦٢/١ .
(٥) ديوانه ١٣/١ .

وكثير من قوافيه مأخوذة من قوافي "أبي تمام" نحو :
الخطب الكتب الريب منقلب ... الخ ، وغلبة المحسنات على
الشاعرين في النظمين متشابه .

كنَّ الرجاءَ وكنَّ اليأسَ ثم محا
نورَ اليقين ظلامَ الشكِّ والريب
قد آمنَ اللهُ مجراها وأبدلها
بحسنٍ عاقبةٍ من سوءٍ مُنقلبٍ

.....

ماكان ماءُ "سقاريا" سوى سقر
طَفَّتْ فَاغْرَقَتْ الْإِغْرِيقَ فِي اللَّهَبِ (١)

والمهم ان "شوقيا" احتذى حذو "أبي تمام" في هذه
القصيدة ، ولكنه كان واضح الشخمية فلم يذب في نص "أبي
تمام" بل كانت شاعريته واضحة مما جعل هذه القصيدة ترقى
إلى مصاف الشعر العربي الجميل .

ويعارضها "أحمد خير الدين" في قصيدته التي مطلعها :
يا بارقا قد هفأ يسمي على حبيب
انعمتُ منا فؤاداً بات في تعب (٢)

وذلك في تلك الحرب أيضا بقيادة "مصطفى كمال" .
فالتشابه واضح بين القصيدتين مثلما هو عند "شوقي"
وإن كان هذا الشاعر دون "شوقي" براعة
فتضمينه لبيت "أبي تمام" أنزله من عليائه الذي كان
في قوله :

(١) ديوانه : الشوقيات ١/٦٠-٦١ .
(٢) الأدب التونسي في القرن الرابع عشر ٩٣/٢-٩٤ .

سَلِ القَوَاطِعَ تَنْبِيْ بِالَّذِيْ صُنِعَتْ
فَالسَّيْفُ اَمْدَقُ اَنْبَاءٍ مِنْ الْكُتُبِ

وقوله :

اَنْتُمْ اَسْوَدُ ضَوَارٍ فِيْ مَخَالِبِهَا
خَلَامَةُ الْقَوْلِ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
فلقد اضحى الشطر الثاني متحافتا أمام قول "ابى تمام"
السيف امدق انباء من الكتب
فى هذه الحد بين الجد واللعب
واخذ كثيرا من قوافى "ابى تمام" : تعب ، لعب ، كرب ،
طرب ، هرب ... الخ
ثم إن الشاعر هنا كرر قوافيه على الرغم من اخذها من
"ابى تمام" مما يشى بضعف الشاعرية كقوله :
كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ هَهَا
تبسم الاسد التركى فى لعب
اَنْتُمْ اَسْوَدُ ضَوَارٍ فِيْ مَخَالِبِهَا
خَلَامَةُ الْقَوْلِ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
ونحو قوله :

وَقَالَ لِي الْبَرْقُ هِيَ لَا تَكُنْ كَسَلَا
مَنْ وَاجِبُ الْحَمْدِ وَاشْكُرْ مَفْرَجَ الْكُرْبِ
كرر القافية فى قوله :
وَالْاَنْجَلِيْزُ الَّتِي لَا قَتَ بَوَاخِرُهُمْ
بِالدَّرْدَنِيلِ هُرُوبُ الدَّلِّ وَالْكُرْبِ
أما الشاعر الثالث الذى عارض "ابا تمام" فى هذه
القصيدة فهو "محمد الشاذلى خزنة دار" فى قصيدته التى قيلت
فى تلك الحرب أيضا :

يَا مَقْرُ "سَيْفَرُ" إِنَّ خَطُّوكَ بِالذَّهَبِ

(١) السيفُ اصدقُ انباءٍ من الكتبِ

إذ نجد في هذه القصيدة ، أثرا واضحا المعالم لأبي تمام
في قصيدته السالفة ، ففي مطلع القصيدة يضمن شطر بيت "أبي
تمام" .

واستخدم المحسنات البديعية هنا وفي مواضع أخرى ، وإن
لم ترق إلى جودة "أبي تمام" وقدرته في توظيفها ، فإن من
يتمعن في البيت السابق سيمد من أول وهلة "بالجناس" ، وكذا
قوله :

لأَمَامُ اليوم من "مَمَّتْ" فينقذُها

ولات رافة من "رافت" على الغلب

وكيف استحال البيت إلى لعب بالالفاظ ، وهذا الشاعر
وأمثاله بهذا المنيع في هذه الحرب المتأخرة يدل على أن
الشعراء ما يزالون يجرون وراء المحسنات البديعية المتكلفة .
وبناء على ذلك يظهر أثر قصيدة أبي تمام في قصائد
"الحروب العثمانية" إذ تأثر المذكورون بها في المعاني
والالفاظ والمحسنات البديعية ، فدل على أن الشعراء نظروا
لهذه القصيدة في معارضتهم لها .

ومن قصائد "أبي تمام" التي عورفت في شعر الحرب في
هذا الزمن قصيدته في رثاء "محمد بن حميد الطوسي الطائفي"
التي مطلعها :

كذا فليجلُ الخطبُ وليفدحُ الأمرُ

(٢) فليس لعينٍ لم يقض ماؤها عذرُ

(١) ديوانه ١٣٣/١ وما بعدها .

(٢) ديوانه ٧٩/٤ وما بعدها .

إذ عارضها "محمد بن سعيد العباسي" في قصيدته في حرب

طرابلس :

مَكَانَكُمْو إِنْ الْفَخَارُ هُوَ الْمَبْرُ
(١) إِذَا اشْتَكَبَتْ بَيْضُ الْقَيْسِ وَالْقَنَا السَّمَرُ

وعارضها "مبد الجليل براده" في حرب اليونان ١٣١٤هـ/

١٨٩٧م في قصيدته التي مطلعها :

كَذَا فَلْيَكُنْ مَا يَحْرُزُ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ
(٢) كَذَا فَلْيَكُنْ مَا يُجْمَعُ الْفَتْحُ وَالْظَمْرُ

ويأخذ بعض قوافيها نحو : الظمر ، اجر ، مبر ، ذكر ،

قبر ... بل وبعض معانيها نحو قوله :

كَذَا فَلْيَكُنْ سَعَى الْمُلُوكِ مَقْدُوسًا
يرافقه نَسْكَ وَيَتَّبِعُهُ أَجْرُ

فالشطر الثاني قريباً من قول أبي تمام :

غَدَاغِدْوَةٌ وَالْحَمْدُ نَسْجٌ رَدَائِهِ
فَلَمْ يَنْمَرْقُ إِلَّا وَاعْكَافُهُ الْأَجْرُ^٣

ونسبة الفرج إلى القبر في قوله :

وَقَبْرٌ لَخَيْرِ الْخُلُقِ سُرٌّ بِطَيْبَةٍ
وَحَقٌّ لِهَذَا الظَمْرِ أَنْ يُفْرَجَ الْقَبْرُ

قريباً من قول أبي تمام :

مَضَى طَاهِرُ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقُ رَوْضَةٌ

غَدَاةٌ شَوَى إِلَّا اشْتَمَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

وقصيدة "أبي تمام" في وصف معركة من معارك المأمون

التي مطلعها :

(١) ديوانه ص ١٠٦-١٠٧ .
(٢) حلية البشر ٧٨٢/٢-٧٨٣ .

(٣) ديوانه ص ٢٤/٤

(١) دَمْنُ الْمَ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ
كَمْ حَلَّ عَقْدَةُ صَبْرِهِ الْإِلْمَامُ
عارضها "أحمد محرم" في قصيدته في حرب اليونان سنة

١٣١٤هـ / ١٨٩٧م :

(٢) إِنَّا بَنَوْهُ مِثْلَ أَعْلَامِ الْوَرَى
وَالْأَرْضُ تَشْرِقُ فَوْقَهَا الْأَعْلَامُ
إلا أن محرمًا لم يبلغ في استهلاله ووصفه للمعركة شأو
أبى تمام، ربما لأن محرمًا كان يافعا لم يحمر من بعد بقول
الشعر .

وكان للمتنبى أثر جلي في شعر هذه الفترة إذ عارضه كل
من "شوقي" و"عبد المطلب" و"الكاظمي" و"أحمد محرم" و"شكيب
ارسلان" .

"شوقي" عارض "المتنبى" في بائيته التي مطلعها :
بَسِيفِكَ يَمْلُؤُ الْحَقُّ وَالْحَقُّ أَغْلِبُ
وَيُنْمِرُ دِينَ اللّهِ أَيَّانَ كُفْرٍ (٣)

إذ اتت على وزن وروى بائية المتنبي :

أَغْلِبُ فَيْكَ الشُّوقُ وَالشُّوقُ أَغْلِبُ

(٤) وَاعْجَبُ مِنْ ذَا الْمَجْرِ وَالْوَمَلِ اعْجَبُ

"وإذا نظرنا إلى قصيدتي "شوقي" و"المتنبى" نرى
"المتنبى" يبدأ قصيدته بمدح "كافور" ثم يصف شجاعته
ويختتمها بالفخر بشعره ... وعلى نحو هذا سار "شوقي" في
قصيدته ، فابتدأ بمدح "عبد الحميد" ثم وصف شجاعة الأتراك
في الحرب العثمانية اليونانية ، واختتم القصيدة بالفخر
(٥)
كما فعل المتنبي" .

(١) ديوانه ١٥٠/٣ .

(٢) ديوانه : السياسيات ٤١/١ .

(٣) ديوانه : الشوقيات ٤٤/١ .

(٤) ديوان المتنبي شرح العكبري ١٧٦/١ - ١٨٦ .

(٥) شوقي وشعره الاسلامي ص ١٧٩ ، ط/دار المعارف بمصر ، د .
ماهر حسن فهمي .

وأثر قصيدة المتنبي واضح في قصيدة "شوقي" سواء في
المعاني أو اللفاظ .

قالشطر الأول من مطلع قصيدة "شوقي" وهو "بسيّفك يعلو
الحقّ والحقّ أغلب" تآثر في نظمه بقول "المتنبي" : "أغالب
فيك الشوق والشوق أغلب" ، وقوله :
ومملكة اليونان محلولة العرى
رجاؤك يعطيها وخوفاك يسلب

متآثر تآثرا جليا بقول المتنبي :
إذا لم تحط بي فيمة أو ولاية
فجودك يكسوني وشغلّك يسلب

وقول شوقي :
وهل أنت إلا الشمس في كل أم
فكل لسان في مديحك طيب

متآثر بقول المتنبي :
وكل امرئ يولى الجميل محب
وكل مكان ينبت العز طيب

إلى غير ذلك من المواضع التي أوجت لشوقي بكثير من
معانيه والفاظه .

ويعارض "محمد عبد المطلب" قصيدة "المتنبي" هذه في
قصيدته البائية التي قالها في حرب "طرابلس" والتي مطلعها :
بنى أمنا أين الخميس المدرب

وأين العوالي والحسام المدرب^(١)

ويستعير بعض اللفاظ ومعانيه نحو قوله :
أولئك أنصار الخبي ورهطه
لعم يتناهى كل فخر وينسب

(١) ديوانه ص ٢٥ وما بعدها .

ويُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسَبُ النَّاسُ إِنَّهُ
أَخَذَهُ مِنَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :
(١) إِلَيْكَ خَفَاهِيَ الْمَكْرُمَاتِ وَتُنْسَبُ
وَقَوْلُهُ :

فَمَا شَهِدَ الْإِسْلَامُ رَأْيًا كَرَاهِيَةً
وَقَدْ قَامَ فِي يَوْمِ السَّقِيفَةِ يُخَاطِبُ

أَخَذَهُ مِنَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :
سَلَّتْ سَيْوْفًا عَلِمَتْ كُلَّ خَاطِبٍ
عَلَى كُلِّ مَوْءٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيُخَاطِبُ

ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ قَوَافِي "عَبْدِ الْمَطْلَبِ" مَاخُوذَةٌ مِنْ قَوَافِي
الْمُتَنَبِّي نَحْوُ : "تَلْعَبُ ، خَيْبُوا ، يَذْهَبُ ، كَوَكَبُ ، تَنْهَبُ ، يَغْلِبُ
أَرْكَبُوا ، تَغْرِبُ ، يَكْذِبُ ... الخ" .

وَمِنْ قَصَائِدِ "الْمُتَنَبِّي" الَّتِي عَوْرَتِ فِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ
قَمِيدَتُهُ الَّتِي مَظْلَعُهَا :

إِنَّا لَا نَمُوتُ إِنْ كُنْتَ وَقْتَ اللَّوَاثِمِ
(٢) عَلِمْتُ بِمَا بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

إِذْ عَارَضَهَا أَيْضًا "مُحَمَّدُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ" فِي قَمِيدَتِهِ فِي حَرْبِ
الْبَلْقَانِ الَّتِي مَظْلَعُهَا :

مَرِيْفُ الْمَنَآيَا أَمْ صَلِيلُ الصَّوَارِمِ
(٣) وَلَيْلُ الرَّدَى أَمْ نَقْعُ تِلْكَ الْمَلَاخِمِ

فَالْقَمِيدَتَانِ مِنَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ وَذَاتِ رَوْيٍ وَاحِدٍ .
وَيَسْتَعِيرُ "عَبْدُ الْمَطْلَبِ" بَعْضَ قَوَافِي "الْمُتَنَبِّي" نَحْوَ مَنْاسِمِ
رَاحِمِ ، مَزَائِمِ ، قَشَاعِمِ ، الصَّوَارِمِ .
ثُمَّ إِنَّ "الْمُتَنَبِّي" يَمُكُّ بِطَوْلَةِ مَقْدُوحِهِ وَدَوْرِهِ فِي الْمَعْرَكَةِ
فِي قَوْلِهِ :

وَلَا يَتَلَقَّى الْحَرْبَ إِلَّا بِمَهْجَةٍ
مَعْظَمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلْعِظَائِمِ

(١) دِيوَانُ الْمُتَنَبِّي شَرَحَ الْعَكْبَرِيُّ ١٨٦/١ .

(٢) نَفْسُهُ ١١٧-١١٠/٤ .

(٣) دِيوَانُهُ ص ٢٧١-٢٧٣ .

فذلّفى "عبد المطلب" يصف المعركة أيضا ولكنه يصفها
وصفا عسريا خاصة عندما بين دور المدافع فى هذه المعركة فى
قوله :

مَدَافِعُهَا عُمِّي المَرَامِي إِذَا رَمَتْ

رَمَتْ لَمْ تَمِزْ ذَا شَكَّةٍ مِنْ مُسَالِمٍ

ويعارض "عبد المحسن الكاظمى" تلك القصيدة أيضا فى

حرب البلقان فى قصيدته التى مطلعها :

حُماةُ العِلا قد آنَ حَصْدُ الجَمَاجِمِ

(١)

أَقِيمُوا العِلا واستأصلوا كلَّ هَادِمٍ

ويستعير أكثر قوافيه وبعض معانيه ، فالقوافى مثل

"الجماجم ، الموارم ، الفلاصم ، نائم ، سالم ، قشاعم

... الخ" .

وأما معانيه فمن ذلك أن "المتنبى" عندما وصف ديار

محبوبته وعرض لبعض نساء تلك الديار فقال :

حَسَانَ التَّحَنَّى يَنْقُشُ الوَشْيُ مِثْلَهُ

(٢)

إِذَا مِثْنٌ فى أَجْسَامِهِنَّ النِّوَاعِمِ

أخذه "الكاظمى" ليصف به جنود العدو فقال :

وَلَا تَمْطِقُنَّكُمْ رِقَّةٌ فى خُدُودِهِمْ

فَتَحْنُو عَلَى تِلْكَ الخُدُودِ النِّوَاعِمِ

ويلتحق فى وصف جنود العثمانيين مع "المتنبى" الذى وصف

ممدوحه ، فيقول الكاظمى :

حِماةُ العِلا ضَاقَ الزَّمَانُ بِجُلُومِكُمْ

أَلَا غُفْبَةٌ تَأْتِي بِعَذْرِ الحِوَالِمِ

(١) ديوانه ١١٠/١-١٢١ .

(٢) ديوان المتنبى شرح العكبرى ١١١/٤ .

وداويتم بالحلم داء غرورهم
 ورباً جروح أفسدت بالمراهم
 تحوم على طيب الورود قلوبكم
 وعند الصبي رى القلوب الحوام
 وكيف ينال الخمم منكم ودونكم
 صرائم أمسى من سفار الصوارم

بينما يقول "المتنبي" في ممدوحه :
 هم المحسنون الكثر في حومة الولى
 وأحسن منه كرمهم في المكارم
 حبيون إلا أنهم فى نزائهم
 أقل حياء من سفار الصوارم (١)

إلى غير ذلك من المعانى والالفاظ التى أخذها
 "الكاظمي" من "المتنبي".
 ويعارض تلك القصيدة "شكيب أرسلان" فى إحدى قصائده فى
 حرب طرابلس التى مطلعها :

سلا هل لديهم من حديث لقادم
 عن الغرب يروى فيه غلة هائم (٢)
 يلتقى مع "المتنبي" فى مدد من القوافى ، ويورد بعض
 معانيه كحديثه عن المدافعين عن طرابلس ومدحه لهم ووصف
 بطولتهم فى قوله :

فشاروا وماكانت زمانف رومة
 من العرب أكفاء الليوث الفراغم

(١) السابق ١١٥/٤

(٢) ديوان ص ١٠٨ .

وَنِعَمَ سُقَاةُ الْمَوْتِ هُمْ ظَلَمًا بَدَتْ
 بِرُوقِ الْمَوَاضِي فِي رُغُودِ الْغَمَائِمِ
 وَحُسْبُكَ مِنْهُمْ كُلُّ قَوْمٍ نَمْتَعُكُمْ
 أَرْوَمَةٌ قَحْطَانٍ وَتَبَعَةٌ هَاشِمِ
 فَهُوَ يَلْتَقِي مَعَ «الْمُتَنَبِّي» فِي وَصْفِهِ لِبَطُولَةِ مَمْدُوحِهِ كَمَا سَبَقَ
 أَنْ ذَكَرْتُ .
 ثُمَّ إِنَّ «الْمُتَنَبِّي» فُخِرَ بِنَفْسِهِ فِي تِلْكَ الْقَصِيدَةِ وَكَذَلِكَ
 «شَكِيبٌ» حِينَ قَالَ :
 وَقَدْ ظَالَمَا أَرَهَقْتُ حَدَّ كِرَاعَتِي
 فَلَمَّا تَعَالَى الْخَطْبُ عُدْتُ لِمَارِمِي
 وَأَمَّا «أَحْمَدُ مُحَرَّمٌ» فَيُعَارِضُ قَصِيدَةَ «الْمُتَنَبِّي» فِي مَعْرَكَةِ
 «الْحَدَثِ الْحَمْرَاءِ» :
 عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَائِمُ
 (١) وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
 بِقَمِيدَتِهِ فِي حَرْبِ طَرَابِلُسَ الَّتِي مَظْلَعُهَا :
 هَلِ الْحَرْبُ إِلَّا أَنْ تَطِيرَ الْجَمَاجِمُ
 (٢) أَمْ الْبَأْسُ إِلَّا مَا تَجِيءُ الْفُرَاغُ
 وَيَسْتَعِينُ بِبَعْضِ قَوَائِمِهِ ، الْجَمَاجِمُ ، الْفُرَاغُ ، الزَّمَاظُ
 الْمَوَارِمُ ، الْعِظَائِمُ ، وَيَأْخُذُ بِبَعْضِ مَعَانِيهِ نَحْوُ قَوْلِهِ :
 أَلَسْتَ تَرَى ذُؤْبَانَ «رُومَا» وَمَائِعَهُمْ
 مِنْ الْحَتَفِ فِي بَطْحَاءٍ بِرَقَّةٍ عَاصِمُ
 أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

(١) ديوانه شرح العكبري ٣٧٨/٣ .
 (٢) ديوانه : السياسيات ١٩٨/١ .

ألا أيها السيف الذي لست مفمداً
ولافيك مُرتاب ولا منك ماصم

وقوله :

وما المُلْكُ إلَّا ما اطالت وأثَلَّت
طوائُ العوالى والرقائق الصوارم

ماخوذ من قول المتنبي :

ومن طلبَ الفتحَ الجليلَ فإنما

مفاتيحه البيضُ الخفاف الصوارم

ويعارض "الكاظمي" المتنبي في قصيدته التي بعنوان

"حرب المجد والشرف" في حرب طرابلس ، التي مطلعها :

لا يَمْدُقُ السيفُ ما لم تَمْدُقِ العممُ

بالمساعد الفتل يَمْضِي الصارمُ الخِدمُ^(١)

فهى معارضة "المتنبي" - برغم مشابهة المطلع لمطلع

بائية "أبى تمام" - في قصيدته التي مطلعها :

واحرَّ قلباهُ مِنَّ قلبه شَبِمْ

وَمَن بجسمى وحالى عنده سَقَمُ^(٢)

فالقصيدتان متماثلتان في الوزن والروي ، وإن اختلف

الغرضان إلا أن "الكاظمي" أفاد من "المتنبي" بعض القوافي

نحو : سقم ، عزم ، القلم ، الحكم ، العمم ، وكذا بعض

معانيه نحو قوله :

أبغى النهوضَ فاهوى من أسىٍّ وُصْنَى

وكيف ينهض عانى شَغَى السَقَمُ

فمعناه وبعض الفاظه ماخوذة من بيت المتنبي السابق

الذكر .

(١) ديوانه ٩٩/١ - ١٠٨ .

(٢) ديوانه شرح العكبري ٣٦٢/٣ - ٣٧٤ .

وممن عورض شعره في قصائد الحرب هنا "بشار بن برد" في
قصيدته المشهورة التي قالها في "مروان بن محمد" وضمنها
مدحا "لقيس ميلان" وفخرا بهم والتي مطلعها :

جفا وده فازور أو ملّ صاحبه
وازرى به ألا يزال يُعاجبه^(١)

إذ عارضها "أحمد محرم" في قصيدته في حرب اليونان
١٣١٤هـ/١٨٩٧م التي مطلعها :

حميت لواء الملك فارتدّ طالبه
وصنت دمار الحق فاعتزّ جانبه^(٢)

فالقصيدتان من البحر الطويل وذات روى واحد ، علاوة
على أخذ "محرم" كثيرا من قوافي "بشار" نحو طالبه ، جانبه
غواربه ، صاحبه ، مساربه ، كتائبه ، كواكبه ...

ثم إن قصيدة "بشار" حوت مدحا ، ووصفا للجيش ، وكذلك
كانت قصيدة "محرم" إلا أن الاختلاف يأتي بينهما في أن
"بشارا" ذكر وصف الليل والخمر ... بلفة موهلة في الجزالة
بينما كانت قصيدة "محرم" قريبة سهلة المأخذ لمعاصريه من
القراء ، إلى جانب كونها ذات موضوع واحد تقريبا ، إلى غير
ذلك من الفوارق مما هو واضح للنظر في القصيدتين .

ولما كانت قصيدة "عمرو بن كلثوم" ذات شهرة في تاريخ
الادب العربي .

ولا تبقى خمور الاندريثا^(٣)
فقد تعلق بها "أحمد محرم" و"محمد عبد المطلب" .

(١) ديوانه تحقيق الشيخ محمد الطاهر عاشور ص ٣٠٦-٣٢٢
لجنة التأليف والترجمة .
(٢) ديوانه : السياسيات ١/٣٧-٤٠ .
(٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري
ص ٣٧١-٤٢٧ .

أما "محرّم" فقد عارضها بقصيدته التي ناهزت خمسمائة بيت في حرب اليونان ١٣٤٢هـ/١٩٢٢م ومطلعها :

ردوا غمراحتها في الواردين
وسيروا في الممالك فاتحين^(١)

فالقصيدتان متفقتان في البحر والروى ، ويأخذ "محرّم" كثيرًا من الفاظ "عمرو بن كلثوم" وقوافيه ، نحو ساجدينا ، سخينا ، الأكرمين ، جونا ، طحين ، مدربين ، مجرمينا ... إلخ ، وقد يكون هذا طبيعياً مع طول القصيدة ، ولكنه يأخذ بعض معانيه والفاظه أيضاً نحو :
مشى جبريل يَدْعُو القوم شتى
فلبوه وخرّوا ساجدينا

فواضح أنه نظر إلى قول "عمرو" :
إذا بلغَ الفطامُ لنا مبياً
تخِرُّ به الجبابرُ ساجدينا
وقوله :

وهد ببايه أُمماً شادداً
نُحِيبُ بها وكأبى أن كلينا
ماخوذ من قول "عمرو" :

وإنّ قناتنا "يا عمرو" أعيت
على الأعداء قبلك أن تلينا
ثم إنه يلتقى معه في مواضع المدح والفخر ، ودور النساء ، إلا أن محرّماً صورها مشاركة في المعركة - كما مر بنا - بينما "عمرو بن كلثوم" اقتصر على إقائتهن للجياذ في قوله :

يَقْتَنُ جِيادَنَا وَيَقْلُنُ لِسْتُمْ
بعوكتنا إذا لم تمنعونا
وأما "محمد عبد المطلب" فقد عارضه في إحدى قصيدتيه

في حرب طرابلس والتي مطلعها :
هي الهيجا كم طحنت قرونا
وكم سكنت حوادكها قرونا^(٢)

(١) ديوانه : السياسيات ٥٦٩/٢ - ٥٩٠ .
(٢) ديوانه ص ٢٨٥ - ٢٩١ .

ويستعيز كثيرًا من قوافيه والغاظه ومعانيه نحو :
 مصفدينا ، جونا ، ولينا ، لاعبيننا ... الخ وقوله :
 ليوث^(١) من بنى الإسلام شؤن^(٢) بهم نسطو ونمنع^(٣) من يلىنا

.....
 فاطفال تَنَاجَوْهَا العوالى كرات بين أيدي لاعبيننا^(١)

ماخوذ من قول "عمرو بن كلثوم" :
 ونحن إذا عماد^(٤) الحرب خرت^(٥) على الأحقاد^(٦) نمنع^(٧) من يلىنا
 كان سيوفنا فينا وفيهم مخاريق^(٨) بأيدي لاعبيننا

ونحو ذلك من معاني الفخر والمدح .

وبناء على ما سبق من مرش لبعض المعارضات الشعرية في
 قصائد الحرب التي عرفت لها ، يتبين لنا أثر المعارضة في
 شعر الحرب ، إذ كانت أداة قوية ساعدت الشعر العربي إبانتد
 على التجدد ، بما بعثه وأحياه ويحمد ذلك للشعراء في تلك
 الحقبة التاريخية الحرجة التي كانت تمر بها الأمة على كل
 المستويات .

وإن الشعراء كانوا يتقيلون الشعر القديم ، والشعر
 العباسي بشكل أقوى وأظهر .

ورأينا بعض الشعراء يعارض قصيدة الحرب بموضوع آخر
 كالذي رأيناه عند "محمد سعيد العباسي" ، و"عبد الجليل
 براده" ، و"عبد المحسن الكاظمي" .

(١) شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٩٣، ٢٩٧ .

الخاتمة

خرجت من هذا البحث بمجموعة من النتائج أجملها فيما

يلى :

- (١) إن الشعر كان مواكبا لحروب العثمانيين الدفاعية ، وأنه مع هبوة الأحداث وتوالى المدام بين العثمانيين والاوربيين كان يزداد كما وكيفا ، تظاهره عوامل كثيرة محدثة ساعدته على الظهور والذیوع ، وأفسحت المجال لكثير من الشعراء كان يمكن أن يعيشوا مغمورين وأن يظلوا بقية حياتهم كذلك ، ففي الحرب الروسية الاولى ، رأينا قلة الشعراء وضعف شعرهم ، بينما ازداد عدد الشعراء في الثانية ، وظهر «البارودي» بروائعه ، وما إن رمى الناس حقيقة الأحداث ، ورجها لوجداناتهم حتى خلنا الشعر يشتمل في كل مكان في الحرب الطرابلسية مثلا .
 - (٢) إن بعض الشعراء قد سجل الحرب تسجيلا وافيا بمظولات لايعوزها الجمال الفني ، ولا الوعي بالأحداث ونتاجها ، كمظولات "شوقي" ، و"أحمد محرم" ، و"عبد المحسن الكاظمي" ، و"محمد عبد المطلب" ، وأنهم يملكون نفسا شعريا طويلا ، فكان شعرهم اقرب إلى الملاحم .
- إنه مع شدة وقع هزيمة الدولة وحليفتها في الحرب العالمية الاولى ، وسيطرة الدول المتحالفة على كامل ممتلكات الدولة ، أمّل الشعراء في حركة "ممطفي كمال" خيرا واعتبروها المنقذ من الظلام الذي حل بالامة ، على أنهم كانوا متشبهين بالخلافة ، ووقفوا معها حتى في اشد أوقاتهما سوءا ، نظرا لما تمثله من رمز للوحدة الإسلامية ، واجمعت كل الطوائف المنتسبة للإسلام على ذلك .

لهذا لم ينفك الشعراء عن مدح السلاطين لأنهم رمز لوحدة الأمة والتفافها .

(٣) إن بعض الشعراء أعادوا إلى الأذهان فن رشاء المدن خاصة "شوقي" ، و"الهنداوى" ، و"أمين ناصر الدين" ، مما يعد عاملا من عوامل الانبعاث الشعري .

(٤) إن شعر الحرب في المغرب ، خاصة تلك الاستغاثات يقطع بأن مجيء العثمانيين إليها كان بدعوة وتحريض من أهلها مما أحر المد الصليبي على تلك البلاد ودحا من الزمن .

(٥) إنه لم يكن معزولا عن الأحداث التي كانت الأمة تصطلى باتونها حتى في زمن ضعفه وجموده .

(٦) وإن بعض شعر هذه الحقبة وخاصة في المغرب ، والحرب الروسية الأولى ، وبعض شعراء «المقربين» وغيرهم ، على تفاوت فيما بينهم ليس من القوة ، ولا مستوى الإبداع الفني بحيث يكتفى به وحده ، وإنما كان أقرب إلى أن يكون تدوينا للحوادث التاريخية ، اشترك فيه العلماء والشعراء وكل من يستطيع القول .

(٧) إن شعراء الانبعاث والتجديد كانوا ينطلقون من قدم راسخة في التراث ، ولذلك لحظنا مدى تأثيرهم به من خلال معارفهم للقوائد البارزة فيه ، وأن شعرهم دل على تمتعهم بمخزون شعري ولغوي ضخم مما أتاح لهم القدرة على التجديد ، وأنهم ساعدوا على نشر بعض الألفاظ والمصطلحات الجديدة التي املتتها ظروف العصر .

(٨) إن الشعر كان واضحا لاغموض فيه لأنه قائم على الحث والاستنهاف لجميع الطبقات مما جعل عنصر الوضوح هو الطريق الأمثل لإيصال الفكرة .

- (٩) من بين القصائد التى أوردتها آثار لشعراء نشرت دواوينهم ، ولكنها خلت من هذه الآثار ، مما يجعل هذا البحث وثيقة لها مثل "على أبو النصر" ، "مبد الحليم المصرى" ، "أحمد الكاشف" وغيرهم .
- (١٠) فى حرب اليونان ١٣١٤هـ يتسامى صوت "أحمد شوقى" معلنا أن الشعر العربى شرع ينهض من كبوته التى لازمته ، فبرغم طول القصيدة إلا أنها كانت مثالا حيا على قوة أدائه الفنى وثقافته الواسعة وقدرته على تتبع سير المعركة وإفغائه عليها من خياله حتى خيل للقارئ أن "شوقيا" حضر المعارك بنفسه .
- (١١) إن الاتجاه إلى إخراج شعر الحرب مخرجا قصصيا يكشف عن محاولة تجديد الشعر العمودى دون خروج على أوزانه وقوافيه ، وهى تدل على تجدد الحس الفنى ، والرغبة فى انعتاق الشعر من مظاهر الجمود .
- (١٢) وعلى الشعراء بالاحداث وذلك فى ربط الحاضر بالماضى ، فسقوط بعض البلدان الإسلامية يذكركم بأسى المسلمين فى الأندلس ، كما نلاحظ ذلك ظاهرا فى أثناء حديثهم عن حرب البلقان .
- (١٣) كان ظهور الصحافة العربية بجناحيها الخبرية والأدبية سببا فى أن يؤازر النشر الفنى الشعر ، وأن يواكبا الأحداث معا مما جعل بعض الشعراء يقترحون بعض المعانى التى ردها الأدباء ، أصحاب البيان الرفيع أمثال "حمزة فتح الله" فى صحيفة "البرهان" ١٨٨٠م ، و"أديب اسحق" فى "مصر" ١٨٧١م ، و"الهلال" ١٨٩٢م لجورجى زيدان والشيخ "على يوسف" فى "المؤيد" ١٨٩٠م .

(١٤) المسميات التي ظهرت في ميادين الحرب ولم يكن لها أسماء حديثة دفعت الشعراء إلى الرجوع إلى التراث العربي وإلى معاجم اللغة واستخراج ما يصلح أسماء لهذه المسميات عن طريق الاشتقاق مثلا نحو : المدفع والطائرة وهو ما عاد على مفردات اللغة بالشراء .

كما ان فعل الاحداث بالنفوس وما ينشأ عنها من الفعالات متنوعة متجددة كان يؤدي بهم لظهور صياغات وتراكيب جديدة في اللغة لا أقول إنها كانت خاصة بالشعر بل ربما شارك فيها النثر أيضا .

مقترحات

- هنالك بعض المقترحات عنت اثناء كتابة هذا البحث :
- (١) إن كثيرا من الشعراء المشهورين ناهيك عن المغمورين يستحقون أن تقام حولهم دراسات ، نظرا لدورهم في شعر النهضة مثل : "محمد عبد المطلب" ، "أحمد محرم" ، "أمين ناصر الدين" ، "محمد بن محمود" ، "محمود صادق" وغيرهم .
 - (٢) إن تاريخ هذه الحقبة أدبا ولغة وسياسة واجتماعا بحاجة ماسة إلى القاء مزيد من الانواء ، ولن يتم ذلك في نظري إلا بقيام لجان متخصصة تتمع بالقدرة والنزاهة العلمية لتباعد عن الاحكام الجاهزة والمقررة سلفا .
 - (٣) مدى اثرها على تاريخنا المعاصر على كل المستويات لنتمكن من وعى كثير من قضايانا المعاصرة ذات الجذور الضاربة باعماقها في ذلك العصر .
 - (٤) ظاهر النشر الفنى الشعر وتطرق به الكتاب إلى شتى المجالات التى تعرف لها الشعراء في هذا المجال فصار هذا النشر قمينا بالدرس والتمحيص للوقوف على ما بلغه بفضل الحرب من مكانة فنية رفيعة .

قائمة المراجع

المراجع العامة :

- * ائمة اليمن بالقرن الرابع عشر
محمد محمد المنعاني
المطبعة السلفية ١٣٧٦هـ .
- * ابن الرومي حياته من شعره
عباس العقاد
دار الغلال ١٩٦٩م .
- * الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث
انيس المقدسي
دار العلم للملايين ١٩٧٧م .
- * الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر
محمد محمد حسين
دار النهضة العربية ، بيروت ١٣٩٢هـ .
- * الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي
محمد عفيفي
دار الكشاف ، بيروت ١٣٨٩هـ .
- * الاثار الفكرية من نظم ونثر عبد الله باشا فكري
عبد الله باشا فكري ، جمع امين فكري
المطبعة الاميرية ببولاق ١٣١٥هـ .
- * الادب التركي الاسلامي
محمد عبد اللطيف هريدي
مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٧هـ .
- * الادب التونسي في العهد الحسيني (١٧٠٥-١٨٨١م)
الهادي حمودة الغزي

الدار التونسية ١٩٧٢م .

* الادب العربى الحديث - بحوث ومقالات نقدية

يوسف عز الدين

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

* الادب المغربى

محمد بن تاويت ومحمد عفيفى

مكتبة المدرسة ، دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٣٨٩هـ .

* ازهار الرياض فى اخبار القاضى عياض

شهاب الدين احمد المقرئ

مندوق احياء التراث العربى المشترك ، الرباط ١٣٩٨هـ .

* الاستقما لاخبار دول المغرب الاقصى

احمد الناصر السلاوى

المطبعة البهية المصرية ١٣١٢هـ .

* الاعلام

خير الدين الزركلى

دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م .

* البعثة العلمية الى دار الخلافة العثمانية

محمد كرد على وآخرون

المطبعة العلمية يوسف صادر ١٣٣٤هـ .

* التاريخ الإسلامى - العهد العثمانى

محمود شاكر

المكتب الإسلامى ، بيروت ١٤٠٧هـ .

* تاريخ أوروبا فى العصر الحديث (١٧٧٩-١٩٥٠م)

هـ ال فشر ، تعريب احمد نجيب ، وديع الضبع

دار المعارف ، مصر ١٩٧٦م .

* تاريخ الدولة العثمانية

على حسون

المكتب الاسلامي ، دمشق ١٤٠٠هـ .

* تاريخ الدولة العلية العثمانية

محمد فريد "المحامي"

تحقيق إحسان حقي ، دار النقائص ، بيروت ١٤٠١هـ .

* تاريخ المعارضات في الشعر العربي

محمود محمد قاسم

مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان ١٤٠٣هـ .

* التحفة المرفية في الدولة البكداشية في بلاد الجزيرة
المحمية

محمد ميمون الجزائري

تحقيق محمد عبد الكريم ، الشركة الوطنية ، الجزائر

١٣٩٢هـ .

* جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية

المعتمد بالله ابراهيم شعوط

رسالة ماجستير مخطوطة بمركز البحث العلمي ، جامعة ام

القرى .

* حاضر العالم الاسلامي

لوشروب ستودارد

نقله إلى العربية عجاج نويهيض ، تعليقات شبيب أرسلان ،

دار الفكر ، بيروت ١٣٩٤هـ .

* حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر واسبانيا

أحمد توفيق المدني

الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر .

- * الحركة الأدبية والفكرية في تونس
محمد فاضل عاشور
دار الهداء ١٩٥٦م - معهد الدراسات .
- * الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين
محمد حجي
مطبعة فضالة ، المغرب ١٣٩٧هـ .
- * حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر
عبد الرزاق البيطار
تحقيق محمد بهجة البيطار ، المجمع العلمي العربي ،
دمشق ١٣٨٢هـ .
- * الحماسة لأبي تمام وشروحاتها
تحقيق عبد الله عبد الرحيم عسيلان
دار اللواء للنشر ، الرياض ١٣٩٩هـ .
- * خل وبقل
عبد الله كنون
المطبعة المهدية ، تطوان .
- * خيرى الهنداوى حياته وشعره
يوسف عز الدين
لجنة البيان العربى ، بغداد ١٩٧٤م .
- * دراسات في النص الشعري في العصر العباسي
عبد بدوى
دار الرفاعي ١٤٠٥هـ .
- * الدولة العثمانية دولة إسلامية مخترى عليها
عبد العزيز الشناوى
مطبعة جامعة القاهرة ، نشر مكتبة الانجلو ١٩٨٠م .

- * الدولة العثمانية والمسألة الشرقية
محمد الدسوقي
الثقافة ، القاهرة ١٩٧٦ م .
- * الرّجل المزم "كمال اتاتورك"
ضابط تركي
ترجمة عبد الله عبد الرحمن ، الرسالة ، بيروت ١٣٩٨ هـ -
- * روفة الأمن العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من اعلام
الحفرتين مراكش وفاس
أحمد بن محمد المقرئ
ط/الملكية ، الرباط ١٩٦٢ م .
- * الساق على الساق فيما هو الغاريق
أحمد فارس الشدياق
دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- * شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات
ابن الانباري - تحقيق عبد السلام هارون
ط/دار المعارف ، مصر ١٩١٠ هـ .
- * شعراء السودان
سعد ميخائيل
بدون تاريخ ولادار طبع .
- * شعراء الغرى أو النجفيات
على الخاقاني
الجديدة بالنجف .
- * شعراؤنا الضباط
محمد عبد الفتاح ابراهيم
ط/عبد الحليم الحسني ١٩٣٥ م .

- * شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي
عباس محمود العقاد
مكتبة النهضة ١٩٦٥ م .
- * شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام
امجد الطرابلسي
نهضة مصر ١٩٥٧ م .
- * الشعر السوداني في المعارك السياسية (١٨٢١-١٩٢٤م)
محمد محمد علي
الكتبات الازهرية .
- * الشعر العراقي اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر
يوسف عز الدين
الدار القومية ، القاهرة ١٣٨٤ هـ .
- * الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه
يوسف عز الدين
الدار القومية ، القاهرة ١٣٨٥ هـ .
- * الشعر العراقي في القرن التاسع عشر
ابراهيم الوائلي
العاني ، بغداد ١٩٦١ م .
- * الشعراء والشعراء في ليبيا
محمد صادق عفيفي
مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٧ م .
- * شوقي او صداقة أربعين سنة
شكيب أرسلان
عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٥ هـ .

- * شوقى وشعره الاسلامى
ماهر حسن قهسى
دار المعارف بمصر ..
- * الصحافة الادبية بمصر ... - ١٩١٤ م .
محمود عبد ربه فياض .
رسالة ماجستير لم تنشر .
- * مغاريح اللؤلؤ
محمد توفيق البكرى
شرح احمد امين وابو بكر محمد ، الحلال ١٩٠٦ م .
- * العثمانيون والروس
على حسون
المكتب الاسلامى ١٤٠٢ هـ .
- * كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب
جمع اديب اسحاق ، ط/الجوائب الاستانة ١٢٩٢ هـ .
- * محمود سامى البارودى شاعر النهضة .
على الحديدي
النهضة المصرية .

الدواوين الشعرية :

* ديوان ابن زكري

مصطفى زكري ، تحقيق على المصراحي

دار الفكر ، طرابلس ١٩٧٢م .

* ديوان ابن محمود

محمد بن محمود

الاعتماد ، القاهرة .

* ديوان أبي تمام

حبيب بن اوس

* ديوان أبي الطيب المتنبى بشرح أبي البقاء العكبري -

التبيان في شرح الديوان -

أبو البقاء العكبري

تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، دار المعرفة ، بيروت

١٣٩٧هـ .

* ديوان أحمد أبي النجاة

أحمد أبي النجاة

علبة ، الاسكندرية ١٩٢٤م .

* ديوان أحمد الشارف

أحمد الشارف

دراسة على المصراحي ، دار مكتبة الفكر .

* ديوان أحمد شوقي "الشوقيات"

أحمد شوقي

دار الكتاب العربي ، بيروت .

* ديوان أحمد الفقيه

أحمد الفقيه

وزارة الاعلام والثقافة الليبية ١٣٨٦هـ .

* ديوان أحمد الكاشف

أحمد الكاشف

المطبعة الجديدة بمصر ١٣٣٧هـ .

* ديوان أحمد محرم "السياسيات"

أحمد محرم

تحقيق محمود أحمد محرم ، مكتبة الفلاح ، الكويت

١٤٠٤هـ .

* ديوان أحمد نامى

أحمد نامى

الآداب والمؤيد ، مصر ١٣٢٠هـ .

* ديوان الأمير عبد القادر الجزائرى

عبد القادر الجزائرى

التعاونية اللبنانية ١٣٨٤هـ .

* ديوان البارودى

محمود سامى البارودى

نقطة ومحله على الجارم ومحمد شفيق معروف ، دار

المعارف ١٩٧١م ، ١٩٧٦م .

* ديوان بشار بن برد

بشار بن برد

تحقيق محمد الطاهر عاشور ، لجنة التأليف والترجمة ،

مصر .

* ديوان جعفر الحلى "سحر بابل وسجع البابل"

جعفر الحلى النجفى

العرفان ، صيدا ١٣٣١هـ .

* ديوان حافظ ابراهيم

حافظ ابراهيم

مخطوطه وصححه وشرحه ورتبه احمد امين ، احمد الزين ،
ابراهيم الابيارى ، دار العودة ، بيروت .

* ديوان الحويزى

عبد الحسين الحويزى

جمع حميد مجيد هدو ، بيروت ١٣٨٤هـ .

* ديوان خزنة دار

محمد الشاذلى خزنة دار

الدار التونسية ١٣٩٢هـ .

* ديوان الخطيب

فؤاد الخطيب

دار المعارف ، القاهرة ١٣٧٨هـ .

* ديوان الرصافى

معروف الرصافى

الاستقامة ، القاهرة ووزارة الاعلام العراقية .

* ديوان سليمان المولة

سليمان ابراهيم المولة

المعارف ، مصر .

* ديوان الشبيبى

محمد رضا الشبيبى

لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٣٥٩هـ .

* ديوان الشرقى

على الشرقى

تحقيق ابراهيم الواصل ، موسى الكرباسى ، وزارة

الاعلام العراقية ، دار الرشيد .

* ديوان شكيب ارسلان

شكيب ارسلان

المنار بمصر ١٣٥٤هـ .

* ديوان صادق

محمود صادق

المطبعة التجارية الكبرى ، القاهرة .

* ديوان صالح السويسي القيرواني

صالح السويسي

تحقيق نجوى الكافي ، الدار التونسية للنشر .

* ديوان العباسي

محمد سعيد العباسي

* ديوان عبد الباقي العمري "الترياق الفاروقى"

عبد الباقي العمري

دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف ١٣٨٤هـ .

* ديوان عبد الحليم المصري

عبد الحليم المصري

المعارف ، مصر ١٩١٠ م .

* ديوان عبد الحميد الفراهي

عبد الحميد الفراهي

المطبعة المحمدية ومكتباتها ، الهند ١٣٨٧هـ .

* ديوان عبد الله الباروني

عبد الله الباروني

بدون دار طباعة ولا تاريخ نشر .

* ديوان عمر أنسي "المورد العذب"

عمر أنسي

جمعه عبد الرحمن أنسي طيب ، بدون دار طباعة ولا تاريخ

نشر .

* ديوان الفرزدق

همام بن غالب

دار صادر ، بيروت .

* ديوان الكاظمي

عبد المحسن الكاظمي

طبعة ابن زيدون ، القاهرة ١٩٤١م .

* ديوان محمد عبد المطلب

محمد عبد المطلب

شرح وتصحيح ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ،

مطبعة الامتداد ، القاهرة .

* ديوان محمد العبيدي

محمد حبيب العبيدي

حققه احمد الفخري ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ١٣٨٦هـ -

* ديوان محمد الهاشمي

محمد الهاشمي

تحقيق عبد الله الجبوري ، وزارة الثقافة العراقية .

* ديوان ممطفي الغلاييني

ممطفي الغلاييني

المطبعة العباسية ، حيفا ١٣٤٣هـ .

* ديوان نسيب ارسلان "روض الشقيق"

نسيب ارسلان

جمع وتحقيق شبيب ارسلان ، ابن زيدون ، دمشق ١٣٥٢هـ .

* ديوان ولي الدين يكن

ولي الدين يكن

المقتطف ، مصر ١٣٤٣هـ .

الدوريات :

(أ) الجرائد :

- * الأخبار
- * الاقبال
- * جريدة مصر
- * العدل أساس الملك
- * القبلة
- * المقتبس
- * الوقائع

(ب) المجلات :

- * كلية الآداب جامعة بغداد
- * المجتمع الكويتية
- * المقتطف
- * الملل

فهرس الموضوعات

المفحة

١ المقدمة
١ التمهيد

الباب الاول

٦	<u>الشعر وحروب الدولة العثمانية في اوربا</u>
٦	<u>الفصل الاول : الشعر وحروبها مع روسيا</u>
	المبحث الاول : الحرب الروسية العثمانية ١٢٠٩هـ /
٧ ١٨٥٣م
٨ بواعث الحرب
١١ تركيز المدائح للخليفة على سجايا القائد
١٦ الجيش في المعارك
٢٥ وصف المعركة
	المبحث الثاني : الحرب الروسية الثانية ١٢٩٤هـ /
٣١ ١٨٧٧م
٣٢ الاشادة بالسلطان تاييدا للخلافة
٣٦ الاشادة بقواد الجيش العثماني
٤٠ في سوح المعارك
٤٢ تعبئة الجيوش
٤٧ استنفار المسلمين للجهاد
٥١	<u>الفصل الثاني : حروبها مع اليونان</u>
٥١	فتح القسطنطينية في وعى الاوربيين

الصفحة	
٥٥	ثورة كريد الاولى
٦٣	ثورة كريد الثانية
٧٥	حرب اليونان ١٣١٤هـ
٧٥	تمجيد الخليفة رمز الاسلام
٨١	اسباب الحرب في منظور الشعراء
٨٣	وصف الجيش العثماني
٨٧	وصف المعارك
١١٨	هجاء العدو والاستخفاف به
١٢٤	نشوة النصر
١٢٦	نزعة الفخر
١٢٩	حرب اليونان ١٣٤٠هـ
١٣٠	الانخداع بمصطفى كمال والولاء للخلافة والخلفاء ..
١٦٠	استعداد اليونان للقتال
١٦١	جرائم اليونانيين
١٦٥	هزائم اليونان
١٧٤	وصف المعركة
١٧٨	جوانب انفراد بها "محرم"
١٨٤	ذكرى وقائع "غاليبولي"
١٨٥	المعدات القتالية
١٨٩	الجرحي والبر بهم
١٩٢	الدافع الديني
١٩٥	نشوة الظفر على اليونان
٢٠٤	قيم ابرزتها الاحداث
٢١٠	<u>الفصل الثالث : حرب البلقان</u>
٢١١	تحالف دول البلقان

المفحة

٢١٢ فزع الشعراء لتماقط المدن العثمانية
٢٢٠ الطابع الصليبي للحرب
٢٢٧ وصف المعركة والجند
٢٣٩ تصوير الجرائم التي ارتكبها العدو
٢٤٤ استنهاض المسلمين والاستغاثة بهم
٢٦٨ الاتحاد ونبذ الفرقة
٢٧٤ الموقف من السلم
٢٧٧ القوة هي الفيصل في التعامل مع الغرب
٢٧٩ الدعوة إلى الأخذ بأسباب العلم
٢٨٠ الفخر والامل في غد مشرق
٢٨٧ الحجاج
٢٨٩ المعدات القتالية
	<u>الفصل الرابع : من معارك الحرب العالمية الاولى</u>
٢٩١ في أوروبا
٢٩٢ مقدمة تاريخية
٢٩٣ الدعوة لنصرة العثمانيين والإشادة بهم
٣٠٠ الدعوة إلى مساعدة الخلافة
٣٠٣ معركة "الدردنيل" "غاليبولي" ومداهما في الشعر..
٣٠٧ وصف هزيمة الحلفاء والتهكم بهم
٣١٨ وصف الجيش والإشادة به
٣٢٣ من آثار الحرب
٣٢٣ سقوط "ايا صوفيا" ومراشى الشعراء لها
٣٢٨ غروب الشمس
٣٣٨ مصير روسيا

المفحةالباب الثاني

٣٤٤	<u>الشعر وحروبها داخل الوطن العربي</u>
٣٤٥	<u>الفصل الاول : حروبها في المغرب العربي</u>
٣٤٦	تمهيد
٣٤٨	استغاثة الاندلس المجهول
٣٦٠	معركة وادي المخازن
٣٦١	اثرها في الشعر
٣٦٢	صورة الجيش البرتغالي
٣٦٤	صورة الجيش الاسلامي والثناء عليه
٣٦٥	صورة المعركة
٣٧٠	سقوط اميلا
٣٧٥	استقرار العثمانيين
٣٧٥	إنقاذ وهران
٣٨٣	ظلم الاستعمار
٣٨٥	الدعوة لإنقاذ وهران مع وصف الجيش المنقذ
٣٩٨	وصف المعركة
٤٠٤	الحث على الجهاد واسترداد "العرائش"
٤١٤	ملاقاة فرنسا في حلق الوادي
٤١٨	احتلال الجزائر
٤٢٤	<u>الفصل الثاني : حرب طرابلس</u>
٤٢٥	اضاءة حول الحرب
٤٢٦	الدعوة إلى الاتحاد
٤٣٣	الدعوة إلى الجهاد بالمال
٤٥٢	الدعوة إلى الجهاد بالنفس

المفحة

٤٨١ شوق بعض الشعراء للجهاد
٤٨٤ نصرانية المعركة
٤٨٨ وصف المعركة والجيش
٥٠٥ اثنين الجريح
٥١١ البعثات الطبية
٥١٤ المعدات القتالية
٥١٧ تفنيد دموع السلم الأوروبية
	<u>الفصل الثالث : الحرب العالمية الاولى داخل</u>
٥٢٢ الوطن العربى
٥٢٣ الشفاء على الدولة وولاتها
٥٢٨ الدعوة لمساعدتها
٥٣٣ الثورة العربية
٥٣٣ تأييد الثورة والتعريف بالاتراك
٥٤٢ الوقوف ضد الثورة
٥٤٣ المعارك داخل البلاد العربية : الشام - العراق ..
٥٥٤ شعراء وقفوا مع الدولة فى تلك الحرب

الباب الثالث٥٦١ الخصائص الفنية للشعر فى هذه الحقبة

٥٦٢ <u>الفصل الاول : اللفاظ والصور</u>
٥٦٤ الطبقة الاولى
٥٦٤ ضعف اللفاظ والحراكيب
٥٦٩ التاريخ الشعرى
٥٧٠ الاخلال بالوزن

المفحة

٥٧٣ التحاليل على المحسنات
٥٧٥ الصورة
٥٧٨ الطبقة الثانية
٥٧٨ الالفاظ القليلة الشيوع
٥٨٢ بعض الالفاظ المحدثه
٥٨٨ الصورة
٥٨٨ التاثر بالقرآن
٥٩٠ التاثر بالشعر القديم
٥٩٣ صور متألقة
٦٠٧ المحسنات البديعية
٦١٢ <u>الفصل الثاني : ظواهر مشتركة</u>
٦١٣ المنزع التاريخي
٦١٨ النزعة القصصية
٦٢٥ الاساليب الانشائية
٦٣١ المعارضات
٦٤٧ الخاتمة
٦٥٢ قائمة المراجع
٦٦٥ فهرس الموضوعات